شخابيط وردية

... عشق الملك ...

رواية

هدية واحة شيخاط

هدية واحة شيخاط

جروب

شخابيط وردية

إبداع الحرف وعشق الأبجدية

بقلم

إكرام يوسف

تصميم الغلاف

صابرين الديب

تصميم داخلي

إكرام يوسف

.. المقدمة ..

جلس الملك بهيبته متربعاً علي عرشه العالي الوثير، تعلو وجهه ملامح الراحة والإنتصار، متكأ بيديه على مسندي عرشه المرصع بالجواهر والأحجار الثمينة

وعبائته المصنوعة من الحرير الخالص تدلت أطرافها على الأرض ويظهر من خلالها حذائه اللامع المحلى بالألماظ الخالص

رفع يده وأشار بأصبعه الذي يحمل خاتم بفص زهري ساحر

إشارة تنتظرها بشغف من كانت تقف في زاوية غرفته، أسرعت إليه بقلب يخفق، بصوت تمنت أن يحدثها قال:

- اركعي ياجارية

استجابت لأمره وإنحنت أمامه بقلبها قبل جسدها وهي تحاول أن توقف رعشة جسدها ، فهي تهابه وتعشق جواره

- اقتربي

قالها بصوت أفزعها ولكنها إستجابت على الفور، مد يده ولامس وجهها بأنامله ورفعه ليتفحصها قائلاً:

- كم أنتي جميلة أيتها الملعونة.. اجلسي

وهو يشير إلى الأرض جانب قدمه فجلست وهي تشعر بالسعادة فها هو مليكها قد أسكنها جنتها تحت قدميه فذلك أبلغ ما تتمناه جارية مثلها تعشق مليكها ومالكها

أراحت رأسها علي قدمه بابتسامة هائمة فبدأ يملس هو على شعرها بحنان يتقنه وقت ما يشاء، وهو يقول:

- أظني غارق في بحرك ياأسيل

- أسيل.. أسيل.. أسيل

- مممممممم

- يابنتي فوقي.. ويلا عشان أوصلك

- يخربيتك.. كدة طيرتي الملك؟

- ملك! ملك إية دة إنتي بتلعبي شطرنج؟

- شطرنج إية ياهبلة إنتي

قالتها ذات العينان الناعستان وهي تحاول النهوض من على المقعد الجالسة عليه، فسحبتها الأخرى من يدها لتجعلها تقف، ثم قالت وهي تسندها ليسيرا إلى خارج هذا المكان:

- بقولك إية فوقي بس لغاية العربية.. وبعد كدة إبقي ادرمغي براحتك.. يلاا

تابعت وهي تجرها حتى وصلت بها إلى السيارة، فأغمضت أسيل عيناها مجدداً بعد أن أراحت رأسها للوراء وتركت الهواء المنعش يدغدغ وجهها

وراحت تتأرجح بطفولة داخل أحلام يقظتها

هي طفلة على شكل أنثى تلهو على راحة يده وهو يتابعها باستمتاع، تتعثر فتقع فيساعها علي الوقوف بطرف اصبعه وتبادله الابتسام بسعادة فهي تشعر بالأمان في راحته، لكن عندما تخطئ يكون عقابه رادع، ترتجف باكية فلا تجد مكان يحميها أكثر من ركن بيده تستكين داخله، فينفطر قلبه لرؤيتها هكذا فيملس على شعرها برقة أُنمله فتبتسم رغم دموعها، فيمسحها عن وجنتيها حتى لا تشوه ابتسامة يعشق كل تفاصيلها

هكذا كانت طفلة بريئة

كانت دوماً هكذا

كانت ولم تعد هكذا سوى بأحلامها

أما الحقيقة...

- أسيل.. يووووه إصحي بقى يابنتي وصلنا خلاص بيتكم

أزاحت خصلات شعرها المتكسرة عن وجهها، ونظرت لصديقتها التي تقود السيارة جوارها، ثم قالت بتململ:

- إنتي مملة أوي على فكرة

لوت صديقتها شفتيها وهي ترد:

- ماشي ياختي أنا غلطانة عشان سيبتك تشربي لغاية ما إتسطلتي.. هتعرفي توصلي لشقتك ولا أجي أطلعك؟

أشارت لها بيدها أن تصمت وهي تخرج من السيارة بخطوة ثقيلة قائلة:

- هششششش بقي خلاص غوري

فتابعتها الأخري بنظراتها وهي تتجه نحو بناية منزلها بخطوات ثقيلة حتي اختفت ثم غادرت بسيارتها

صعدت أسيل على الدرج، كان حذاءها الأسود ذو الكعب الرفيع العالي يفتعل ضوضاء بالمكان، وصلت أخيراً أمام باب شقتها، بدأت تبحث في تلك الحقيبة الصغيرة الحمراء التي علقتها علي كتفها لتمر بخصرها بشكل عصري

أحمر شفاه بلون أحمر قاني تعشقه، بعض مساحيق التبرج الأخرى التي لا تستغني عنها خارج المنزل، هاتفها المحمول، بعض لفافات من التبغ مختلفة الأحجام والأشكال والألوان قد

رصتها بعناية في علبة صغيرة قبل أن تخرج من المنزل

ولكن المفتاح لا يظهر في ظل ما تعج به حقيبتها، أو يبدو أن عيناها هي التي لا تراه جيداً

فجأة تركت تلك الحقيبة التي عصبتها كثيراً ورفعت وجهها تحدق في من وقف أمامها حينما فُتح باب شقتها

** ** ** **

.. الفصل الأول ..

- طارق

قالتها باستغراب وهي تنظر للواقف أمامها وقد أفاقت قليلاً مما هي فيه، لم يرد فقط انزاح قليلاً من أمام فتحة الباب حتى تمر وهي تحاول أن ترسم اللامبلاه علي وجهها رغم ما انتابها من دهشة بعد عودة أخيها المفاجأة من ألمانيا حيث يعيش هناك هو وزوجته لظروف عمله الذي إختار بارادته أن تكون هناك

ما إن دخلت حتى وجدت والدتها تجلس على الأريكة في إنتظارها

قالت وهي تزوغ بعينيها عن كلايهما:

- يظهر إني غلطانة إني مغيرتش مفتاح الشقة

قالت أمها وهي تقوم لتقف في مواجهتها:

- أهو دة إللي ناقص كمان

قال أخيها طارق في محاولة منه لتهدئة الموقف:

- خلاص ياماما

ثم نظر إلى أسيل قائلاً بنفاذ صبر:

- وبعدها معاكي ياأسيل

- خير؟

ردت بتحدي وقد أفاق عقلها بالكامل بعد تلك المواجهة الغير متوقعة

- هتفضلي كدة لحد إمتى؟ إنتي عاجبك حالك دة؟

- جداً

وهنا تطاير الغضب على ملامح والدتها وهي توجه حديثها لطارق:

- شفت بقت بجحة إزاي.. مش قلتلك إنت مصدقتنيش

إبتسمت أسيل بجانب فمها وهي تخلع عنها حقيبتها وحذاءها وتجلس بأريحية علي المقعد وتغمرها حالة من اللامبالاة لما يدور بين والدتها وأخيها الذي قال:

- أرجوكي ياماما تسبيني أتكلم معاها لوحدنا

- أهي عندك ياريت تقدر تكسرلنا دماغها بدل ما هي مفرجة علينا الناس

الناس حقاً هم أهم مالديها، الأقارب والمعارف والأصحاب كانوا وسيظلوا أهم من أولادها

دارت تلك الفكرة المريرة بذاكرة أسيل، لكنها نثرتها من ذهنها عندما أمسك أخيها بيدها بعد أن جلس جانبها، وقال بهدوء:

- فين أسيل أختي؟ إنتي مش هي

تسائلت داخلها، هل حقاً الآن فقط تذكرت أن تسأل عنها؟

ردت عليه بمرارة يسيطر عليها التصميم:

- أنا أسيل أختك ياطارق.. أنا اللي قودامك.. ولو مش عجباك تقدر تعتبرها ماتت

وتركته مسرعة إلى غرفتها وأوصدت بابها، فهي دائماً تهرب من مواجهتهم حتى إنها اختارت أن تستقل وحدها بالعيش في منزلهم القديم وتركت والدتها تعيش حياتها وسط عالمها من الأخرين التي تحبهم أكثر منها

أسندت ظهرها إلى الباب وأغمضت عينيها بشدة، وكأنها تغلق نافذة الذكريات بعقلها

- سيبوني في حالي بقى

كلمات صارخة قالتها رداً على نداءات أخيها بالخارج، فصمت وفقد الأمل في أن تفتح أو تسمح له بالحديث معها الآن

أما هي فجلست أمام المرآة تنظر لتلك الأسيل التي بات أخيها لايعرفها، نفضت كلمات أخيها

عن عقلها، وبدأت تنزع عنها بعض الأقنعة، أهداب صناعية، أقراط أذن على شكل حلقة كبيرة، وحلقتان صغيرتان إحداهما علقت بأنفها وأخرى بشفاها، شعر مستعار قصير من اللون الأحمر تخفي تحته خصلاتها السوداء الطويلة التي كومتها تحت حمرة صارخة عن قصد

وأخر قناع، مستحضرات تبرج وضعتها كطبقات فوق بعضها، كأنها تريد أن تخفي ملامحها الحقيقية، وانتهى الأمر بالعديد من القطع القطنية الملطخة بالكثير من الألوان، ووجه برئ طفولي وعيون تحمل عمر أكبر من عمر تلك العجوز جارتها التي تنقل باستمرار أخبارها لوالدتها

ابتسمت وهي تهز رأسها لتذكرها تلك المرأة الماكرة، ثم نزعت عنها تلك الملابس الضيقة، وسمحت لجسدها ببعض البراح داخل قميص قطني قصير من اللون الوردي، تركت خصلاتها تتناثر بأريحية فوق ظهرها ودلفت في الفراش وهي تدَّعي أمام نفسها بأنها لا تتذكر شئ من الماضي

خداع أحياناً تتقن تمثيله على عقلها حتى يتركها تخلد إلى النوم سريعاً، تدثرت في الفراش كطفلة ضامة ركبتيها إلى صدرها وهي تحاول النعاس

تحاول وتحاول وتحاول، لكن الأمر كله قد دُمر بتلك العبرة الرقيقة التي تسللت من بين جفونها، مسحتها سريعاً وهي تنكمش في نفسها أكثر، وبدأت تهز نفسها كعادتها حينما تحاول السيطرة

على تلك المشاعر التي تنتابها، وتهمهم بشفتيها في همس:

- اهدي.. اهدي.. اهدي

لكن كل قواها انهارت وبدأت في الاستسلام، وتركت يدها تتسلل أسفل الغطاء لتصل لآخر فراشها، هناك في ذلك الركن الخشبي من فراشها تخفي سراً من أسرارها، بحركة بطيئة من أصابعها الرفيعة بين الإطار الخشبي للفراش والمرتبة، ها قد وجدت ضالتها حيث أخرجت كفها الممسك بتلك السكين الصغير، سكين ليس بحاد لكنه هو الوحيد المناسب، قامت لتجلس في الفراش وهي لازالت ضامة ركبتيها إلى صدرها وكفها لازال مطبق على ذلك السكين، نظرت للسكين بيدها المرتعشة وقربته

من ساقها وبحركات خفيفة بدأت تمشي بطرف ذلك السكين البارد علي ساقها، خطوط مشتتة قصيرة، ألم يدب اللذة بأوصالها، وهي تستقبله بإغماض جزئي لعينيها، وتترك لنفسها الإحساس بالألم، بدأت يدها تتحرك بشكل أسرع وأعمق حتى بدأت تنزل قطرات من الدم، بدأت تنظر لها وهي تلهث وكأنها كانت تحارب شعورها الشاذ المستمتع بالألم

أبعدت يدها وبدأت أطرافها تلين قليلاً، مدت يدها الأخرى تمسح تلك القطرات بأناملها،والآن فقط وجه يحمل ملامح متألمة مع ضغط أناملها على الجرح، ونظرة على أطراف أصابعها الملونة بالقليل من الأحمر، مدت يدها لترجع ذلك السكين لمخبأه السري، وبأحد أدراج

الكومود بجانبها أحضرت بعض المحارم ومطهر لجرحها الصغير

جرح صغير جوار بعض الأثار لجروح أخرى مثله في كلتا ساقيها اللتان تخفيها دائماً عن أعين الناس كما تخفي كل شئ

الآن وقد هدأ عقلها حان موعد النوم، وبالفعل نامت

نامت تلك الصغيرة العجوز، نامت وهي تحمل بجوفها بئراً من الأسرار

*****

الرابعة عصراً حيث بدأت الشمس في تخفيف حدة أشعتها رغم أنه لا يشعر بحدتها منذ الصباح، حيث وقف بكل حماس منذ أن استيقظ

بشرفة المنزل وعينه لم تنزل من على الشرفة المجاورة التي لنفس المنزل، ولكنها لغرفة تلك النائمة التي منعته والدته أن يطرق عليها الباب ويدعها تصحو في الوقت المناسب لها حتى تتجنب ردة فعلها

لكنها تجهل أنها لن تفعل شئ فقط إذا رأته أمامها بعد تلك الفترة التي لم يلتقيا فيها

ابتسم رغم طفولته وهو يتذكر أيام مضت لايعلم كم من وقت مر عليها، لكنه لم ينساها ولن يفعل

لن ينسي أمه الصغيرة أسيل

اشتاقها، واشتاق حنانها، مزاحها، ضحكها، رقتها، وحضنها

ملَّ من انتظار موعد استيقاظها الذي لا يعلم متى سيأتي فهو يقف هنا منذ ساعات، فقرر أن ينفذ خطة شيطانية دون أن تدري والدته

أحضر بعض ألعابه الصغيرة وبدأ يقذفها على باب شرفة غرفتها غير مبالي بتلك التي تسقط بالخطأ في الشارع ولن يستطيع الحصول عليها مجدداً

ورغم طوله القصير الذي يتماشي مع سنواته الست لكنه لم ييأس وظل يقذفها واحدة تلو الأخرى حتى نفذت حقيبة ألعابه التي أحضرها معه إلى هنا

أمال رأسه وهو ينظر لذلك الباب الذي تمنى أن يُفتح، وأعوج شفاته وهو يشعر بخيبة أمل جعلته

يدخل ويجلس أمام ذلك التلفاز الذي فتحته له أمه يتابع فيلماً للرسوم المتحركة يحفظ مشاهده عن ظهر قلب من كثرة ما شاهده

- برده مش هتشرب اللبن يامهند؟

قالتها والدته لائمة، فرد وعينه معلقة بالتلفاز:

- هفطر مع أسيل

ردت بغيظ:

- ومين قالك إن أسيل هترضى تاكل معانا أصلاً

وجه نظره لها وقال بتفاخر:

- بس هتفطر معايا أنا

قامت وهي تجز على أسنانها قائلة:

- ماشي يامهند

قامت تجهز بعض المأكولات بالمنزل فبراد المنزل خالي من كل شئ كأن المنزل مهجور لا يسكنه أحد، وهي قررت أن تعد بعض الأطعمة التي أحضرت مكوناتها وتتركها بالبراد لإبنتها التي زاد وزنها من كثرة تناولها للوجبات السريعة، وكثرة التدخين

تألمت لتذكرها ذلك الأمر، وقالت بصوت مسموع:

- فضحتينا قودام الخلق ياأسيل

والمفاجأة أن أسيل كانت تقف على باب المطبخ تنظر لها بحنق، لكنها لم تنتبه لوجودها إلا عندما سمعت مهند وهو يهلل فرحاً:

- أسيل.. وحشتيني أوي ياماما

إبتسمت أسيل له، وفتحت ذراعيها مستقبلة إياه بين ذراعيها وضمته إلى صدرها بشوق، فهو الوحيد الذي تفتقده من حياتها السابقة

ابنها الذي لم تلده، ابنها التي قضت معه مراهقتها ما بين إطعامه وإلباسه وتربيت طوال الليل حتى ينام

- يابخت أمك بيكي.. هي يدوب ولدته وإنتي شلتيه عنها في كل حاجة ياأسيل

كانت تقولها دائماً إحدى صديقات والدتها التي بالفعل لم تكن تهتم لأمر الطفل معتمدة في ذلك على أسيل، فحملت وأطعمت وأسقت وألبست

ونامت بنصف عين مراقبة للطفل الذي خضع قلبها له قبل أن تخضع هي لأوامر والدتها في الإعتناء بكل شئ يخص الطفل

حتى صارت ابنه السادسة عشر "ماما"

وظل يقولها وسيظل، فهي تعشقها من بين شفتيه

- هات بوسة لماما

قالتها وهي تحمله، وجرت به إلى غرفتها وأغلقتها عليهما، وبدأت تلعب معه كسابق عهدها

لحظات نسيت فيها كل ما كان وكل ما حدث ورجعت تلك البنت الصغيرة "أم أخيها" تلعب وتلهو لساعات

*****

كان صوتهما عالياً رغم أن باب غرفتها كان موصداً عليهما، استغرب طارق لصوتهما حينما ولج إلي المنزل وقال متسائلاً لأمه:

- هي صحيت إمتي؟

ردت والدته وهي تلوِ شفتيها:

- من ساعتين ومن وقتها وهي قاعدة مع مهند جوة وقافلة على نفسها

قال وهو يجلس على الأريكة جانبها:

- كويس أهي تغير مودها شوية مع مهند

سألته لائمة باستهجان:

- ومراتك مجتش معاك ليه؟

رد وهو يشعر ببعض الضيق من سؤالها:

- هجبها ازاي في المشاكل إللي إحنا فيها دي.. لما أبقى أشوف هعمل اية مع أسيل الأول أبقى أجبها.. وبعدين هو مش انتي بتضايقي من تدخلها في مشاكلكم أديها ياستي ريحت نفسها عشان ترضيكي

- ترضينى.. دي حتى مجتش تسلم عليا من ساعه ما جيتو من السفر!

رد بنفاذ صبر:

- كانت هتيجي امتى وفين.. هو انا مش جيت امبارح من المطار على هنا.. ولا كنتي عايزاها تيجي وتشوف بنتك واللي عملاه في نفسها

قالت بلوم:

- خلاص خلاص متزعلش نفسك أوي كدة..
إن شا الله عنها ماجت

نظر لها شذراً دون أن يرد، ثم قام ليقف في الشرفة، وابتسم عندما إستمع إلى صوت ضحكات أسيل ومهند يأتي من الشرفه المجاوره للتي يقف بها

نظرة عابرة إلى الشارع الذي حمل طفولته هو وأخته معاً، كل شئ تغير حتى هما

ما عاد الأخ المحب الحنون هو

وما عادت الأخت الهادئة المطيعة هي

لم يهتم لمعرفة متى وكيف تغيرا

هو فقط يريد أن ينتهي من إلحاح والدته عليه لحل مشكلة أسيل التي سببتها هي

فكالعادة تخطئ هي ولا تعترف ويُصلح أبيه الراحل.. والآن هو

لا يهم أي شئ بالنسبة له، فكأن برودة الطقس بألمانيا جمدت مشاعره وذكرياته

المهم كيف ينهي مشكلة أسيل التي لا يجد لها حل، ولا يتصور أن يعود كل شئ كما كان كما تريد والدته المدللة

فكل شئ عندها واجب التنفيذ ودائماً كان يحدث

لكن تلك المرة لا يعتقد ذلك

فأسيل أصبحت أخري لا يعرفها ويخشي معرفتها فيصطدم بما هو أغرب

*****

- الغدا ياولاد.. ولا هتفضلوا صايمين طول اليوم

قالتها درية والدة أسيل وهي خارج الغرفة متأفأفة، ابتسمت أسيل عندما اختبأ مهند خلف أخته خوفاً من بطش أمه، فرغم كل ما فعلته بها مازالت تحن لأيام كانت تختبأ فيها من بطش أمها هي الأخرى

نظرت لأخيها وقالت بابتسامة تحاول فيها محو ذكرياتها:

- إنت مفطرتش؟

- انا فضلت مستنيكي عشان أفطر معاكي

شهقت بمزاح، ثم قالت بوجه إدعت فيه الغضب:

- أمك سابتك كدة من غير ما تفطر!

قال بابتسامة منتصرة:

- أه.. من الصبح وهي هادية ومش بتزعق على حاجة

- يلا الغدا مش هيستناكوا

فزعته زعقة أمه، في حين ضحكت أسيل وهي تقول مازحة:

- رجعت تزعق تاني أهي

ثم همت بفتح الباب وهي تتابع:

- يلا روح إتغدى ياحبيبي

قال بوجه طفولي حزين:

- وانتي مش هتيجي تاكلي معايا؟

- بصراحة مليش نفس

بتصميم طفل يملأه الحماس تمسك بقميصها وهو يقول:

- لا لازم تيجي تاكلي معايا.. لحسن أنا كمان مش هاكل

وبعد تصميمه وجدت نفسها تجلس على المائدة مع والدتها وأخويها، قام طارق من مكانه مقبلاً جبهتها في واجب أخوي لم يعتاده وقال معتذراً في نبرته مما خرج على لسانه أمس:

- عاملة إية دلوقتي؟

قالت وهي تحاول التغاضي عن الأمر:

- الحمد لله كويسة

والدتها إنشغلت بوضع الطعام لمهند وإلقاء بعض تعليمات النظافة عليه، ألا يسكب ما بيده وينتبه لما أمامه وينهي طبقه لأخره

مدت يدها تتذوق معلقة أرز فهو فقط ما تحبه على طاولة الطعام، فهي تكره الدجاج والفاصوليا، وكعادة أمها لا تهتم لما ترغبه فقط تفعل ما تريده

حتى الأرز كثير الملح كما تحبه والدتها لا هي، حسناً لا طعام اليوم بالمنزل كالعادة

وضعت المعلقة على الطاولة وكادت أن تقوم، لكن والدتها صاحت بها:

- متقعدي تاكلي حاجة نضيفة بدل أكل الشارع إللي خلاكي شبه الدبة

دبة.. كلمة عربية تعني أنثي حيوان الدُب المعروف بثقل وزنه

دبة.. كلمة اعتادت أن تلقيها والدتها عليها كثيراً

دبة.. كلمة كانت في السابق قادرة على أن تجعلها تبكي بالأيام تأثراً بمظهرها الذي لا يعجبها هي أيضاً لكنها لا تجد سوى الطعام تخرج فيه كبتها

دبة.. كلمة قاتلة لا تعي والدتها مدى سوءها، أو ربما تعي ولا تبالي

دبة.. كلمة لم يعد لها قيمة لدى أسيل اليوم

فأسيل اليوم غير

فردت عليها بلا مبالاه:

- هو أنا مقولتلكيش ياماما إن أنا عاجبني شكلي كدة موت ومش ناوية أخس خالص.. وبقيت بموت في أكل الشارع

قال طارق عندما رأي النيران تشتعل في وجه أمه:

- خلاص ياأسيل طيب أقعدي معانا على الأكل من غير ما تاكلي.. أصلك وحشاني أوي

أعجبتها الفكرة فجلست وأخرجت من جيب قميصها علبة لفافات التبغ خاصتها والقداحة، وضعت اللفافة بفمها وأشعلتها ثم وضعت العلبة والقداحة أمامهم بلا مبالاه

إثبات لوالدتها أنه لم يعد يهمها شئ حتي كلماتها الجارحة التي كانت تقتلها في السابق

قالت بعد أن وضعت قدماً فوق أخرى موجهة حديثها لطارق الذي تغاضى عن تدخينها أمامه:

- وإزي إنجي؟ وحشاني أوي

كلمات تعنيها بحرفية، فهي تعلم مدى كره والدتها لإنجي زوجة أخيها رغم أنها هي من إختارتها له، لكن يبدو أن غيرتها المتصابية منها طغت على كل شئ، وباتت تكرها ولا تخفي هذا، ولم تسكت عند هذا الحد بل ظلت تدبر حتى خربت علاقتها بأسيل التي كانت تعتبرها أختها التي كانت تتمناها طوال عمرها

- كويسة الحمد لله.. بتسلم عليكي

إبتسمت ببعض الحسرة وهي تتذكر أن والدتها كانت السبب دائماً في حرمانها من أي شئ تحبه

*****

جلسة منفردة لم تكملها أمس وافقت عليا بعد طلب أخيها، كان يجلس بجانبها يحتسي قدحاً من القهوة حين قال:

- إنتي عارفة إني مش مطول في مصر.. وعايز أطمن عليكي قبل ما امشي

قالت باستغراب:

- أنا مش فاهمة إية إللي قالقك.. أنا كويسة ومبسوطة بحياتي لوحدي بعيد عن كل الأرف إللي إنت عارفه

نفس دخاني أخر نفثت دخانه في هواء الغرفة وهي تتابع:

- أنا في أحسن حالاتي.. ومبسوطة بكل لحظة بعيشها

- متاكدة إنك مبسوطة.. ولا بس بتحاولي تقنعي نفسك بكدة؟

- بلاش كلام علم النفس دة.. أنا اكتر واحدة هحس بنفسى ياطارق

قال وهو يحك ذقنه ويحاول أن يقتنع بحديثها:

- سليم.. أكيد إنتي أكتر واحدة هتحس بدة.. بس ياريت متنكريش إنك إتغيرتي

- للأحسن

قالتها مقاطعة وكأنها لا تسمح لنفسها بالتفكير في الأمر، فتابع هو:

- وإنك مريتي بمشاكل تستدعي إنك تفكري في اللي قولتهولك

رعشة بيدها حاولت إخفاءها بتلويحها في الهواء قائلة:

- أنا مش مريضة نفسية.. عشان أروح لدكتور نفسي ياطارق

- يابنتي دة صاحبي.. هنروح ندردش شوية معاه ولو معجبكيش الموضوع هنمشي

- لا

قال برجاء:

- طيب أنا هقوله إنك مش حابة تتكلمي في أي حاجة من إللي حصل.. بس مجرد دردشة عامة

قالت بتأفأف:

- أنا مش عجباني الفكرة كمجمل أصلاً

- أسيل إنتي متأكدة إنه لو معجبكيش الموضوع مش هطلب منك نروحله تاني

تنهدت بملل، ثم ردت:

- ماشي ياطارق.. بس أنا عارفة من دلوقتي إن دي هتبقي أول وأخر مرة

- وأنا راضي ياستي.. بس مرة

وإبتسامة حقيقية وجهتها لأخيها في ظل دنياها التي تملأها بالإدعاء

** ** ** **

.. الفصل الثاني ..

إن أردت أن تعرف من أنت فأنظر إلى أفعالك لتتعرف على شخصك من خلالها

لكنها لازالت لا تعرف من هي أو ربما كانت تعرف سابقاً، لكن من المؤكد أنها لم تكن تلك التي هي عليها حالياً، لم يكن هذا عالمها ولا هذا المكان بما يعج به من بشر كانوا بيئتها التي نشأت بها، والحقيقة الواضحة الآن أنها أصبحت جزء منسجم معهم، متناغم كلحن طربي في معزوفة شجية عكس تلك الموسيقى الصاخبة التي تصدح عالياً بالمكان لكلمات بلغة لايفهمون معناها لكن أجسادهم الراقصة لا يهمها الأمر

أسيل ذات الجديلتين الطويلتين والقميص المحكمة جميع أزراره حد الاختناق وتنورة طويلة أحياناً تتعثر فيها وهي تركض لاهثة حتى تلحق محاضراتها، الآن تقف في وسط ساحة الرقص تتمايل بميوعة لم تعلمها لها والدتها لكنها فطرة بنات حوا جميعاً

ترتدي بلوزة برونزية لامعة بلا أكمام وشعرها الأسود الناعم قد جعدته بشدة حتى يتماشى مع الموضة ويختفي وجهها كالعادة تحت مساحيق التبرج والأقراط، وبالطبع تخفي سرها تحت بنطال طويل أسود بالكاد حشرت نفسها داخله، ورغم أنها قاربت على إكتمال عامها الأول بهذا العالم ومع هؤلاء الأشخاص التي صارت تشبههم إلى حد كبير إلا إنها لازالت غامضة ولا أحد

يعرف عنها أي شئ ولا حتى المقربون لها منهم، هي تحب بئر أسرارها بكل محتوياته ولا تريد أن يطلع عليه أي أحد

- شايف بنت اللعيبة عمالة ترقص ولا هاممها وانت خانق نفسك من الصبح وعمال تقولي مخنوق ومش طايق الدنيا.. ياعم فك دي بت صايعة ولا بيهمها

- بنت الكلب مكملتش شهر معايا وخلعت.. بس أنا لو مش راجل كنت عرفتها قيمتها كويس.. بس أنا مش هعمل عقلي بعقل واحدة تافهة زي دي.. وأنا متأكد إنها هتقع في واحد واطي يجيبها الأرض عشان أحمد الرويدي مفيش بنت تسيبه أبداً

- والله انت رجولة وأنا كنت عارف إنك هتنفض لبنت المفكوكة أسيل وبعدين ما إنت عارف إن أميرة هتموت عليك بس هي اللي كرامتها نقحت عليها لما صاحبت أسيل

- غلطة.. مكنش لازم أجري ورا البت الملعونة دي

- أصلها صاروخ ونار بعيد عنك.. ولعة وعليها شوية منحنيات

- سيبك من أمها وروح هاتلنا سجارتين حشيش من عبده نضربهم بدل الأشفرة اللي إحنا قاعدين فيها دي

- مسا مسا ياروديدي والله وإحلوت وهترجعلنا تاني بعد ما كنت تايه في حضن أسيل ومحدش بيشوفك

- يلا ياله بطل غلبه وقوم يلا

- حاضر ياكبير

فتوجه صديقة بهمة ليحضر ما طلبه منه الرويدي، في حين وجه هو نظره لتلك الساحرة التي شدته بحبال الغواية إلى أرضها ثم ما لبثت أن ملَّت منه كغيره وطردته من أرضها لتبحث عن غيره كما إعتادت طوال عام كامل مكثته بصحبتهم

ترقص وترقص وترقص لتتوه وسط عالم تملؤه الأكاذيب فهذا يدعي الحب وآخر يدعي رغبة في الزواج وآخر ضعيف يمثل الاحتياج

وهي لا تمقت في حياتها سوى رجال خلقوا ليلبسوا الأقنعة، غايتهم المتعة وهدفهم اصطياد الفريسة

وهي لن تكون فريسة مرة أخرى، يكفيها ما مرت به

*****

الرجل

لماذا تتمحور حياة أي فتاه حول الرجل؟

فأبيها كان رجل .. ترك كل شئ لزوجته وإختار راحة باله حتى يتجنب شجارها الدائم معه على

كل شئ، فقرر أن يتركها تستمتع بادارة المنزل وتربية الأولاد، كان يراها تفرض سيطرتها على الجميع دون أدني شعور باحساسهم أو رغباتهم واعتاد أن يصمت

وأخيها أيضاً رجل .. منذ طفولته وهو لا يحب أحد أكثر من نفسه، أحياناً كان يحاول التقرب منها ومعرفة مشاكلها، ولكن الأمر لا يكتمل حينما تدخل والدتهما صارخة به:

- طارق ملكش دعوة بحد.. وخليك في نفسك حتي أصبح لا يهمه سوى نفسه

وهي لا تصدق أنه يجلس أمامها الآن يرجوها حتى لا تغير رأيها في الميعاد المتفق عليه مع طبيب المجانين كما تدعوه، ولكنها ردت ببرود:

- خلاص ياطارق سيبني بس أدخل أنام وابقى صحيني على ميعاده

فقال:

- ماشي ياأسيل

وتركها تدخل إلى غرفتها وهو يتجاهل مظهرها الذي يصرخ في وجهه بالعهر وعودتها إلى المنزل في الصباح كفتيات الليل، فهو قد تعود أن لا يهمه سوى أمره فقط، وها هو يحاول أن يصلح ما حل بها على قدر استطاعته

قالها داخل نفسه كي يريح ضميره ويهدئ رجولته التي تنهار أمام مظهرها المشين

أما هي فدخلت إلى غرفتها وهي تحمد ربها أن والدتها قررت المغادرة أخيراً اليوم وسوف ينتهي ذلك الكابوس في المساء عند عودتها من زيارة ذلك الطبيب ورفضها بالطبع الذهاب له مرة أخرى، ومن المؤكد بعدها أن طارق سيستسلم للأمر الواقع ويرحل مغادراً من حيث أتى ويتركوها وشأنها كما كانت

بدلت ملابسها كعادتها لتعود أسيل البريئة التي دفنتها تحت شخصيتها الجديدة التي تغوي الرجال لتتسلى معهم أو بهم ثم تتركهم حين تمل

فهي

تمقتهم جميعاً وتحبه هو فقط

تخدعهم جميعاً وتطيعه هو فقط

تتركهم جميعاً وتسكن لديه هو فقط

مالكها ومليكها، ملك أحلامها وصاحب قصر خيالها

قد يكون خيال غير ملموس لكنه حياة بالنسبة لها

وقف ذو الكبرياء في شموخ يتابعها من نافذة غرفته في قصره الشامخ، انفرج فاهه عن ابتسامة وقورة وهو يراها تلعب مع الفراشات بالحديقة، طفلته المكتملة الأنوثة تركض بخفة نحو تلك الفراشات الملونة الصغيرة، تقف

إحداهن على طرف إصبعها فيخرج النور من بين أسنان طفلته ضاحكة لتلك الفراشة الصغيرة، تركض وتلعب وتمرح وترفرف الفراشات حولها بشكل ممتع للنظر وتقترب الفراشات منها أكثر وتترك هي إحداهن تداعب أنفها والأخرى ترفرف على وجنتها والثالثة تقبل كتفها

طل الغضب على وجهه بعد أن كانت السعادة تملؤه وزعق بصوت مفزع وغضب غير مبرر:

- أسيل

فزعت عندما سمعت نبرته الغاضبة تنطق حروف اسمها، ارتجفت وانتفض كل ما بها

وتعثرت ووقعت ووقفت مرة أخرى مسرعة ورفعت رأسها بخوف تنظر إلى وجهه الغاضب، وكأن رؤيتها له هكذا فقط كافية لأن تكون عقاب لذنب لم تدرك بعد كيف ومتى وأين إقترفته؟

إشارة واحدة من يده أن امتثلي أمامي الآن بنفس وجهه الغاضب، وكأن ما رأته بوجهه لم يكفيها رعباً وفزعاً حتى يزيدها بأمره للمثول أمامه

صعدت الدرج مهرولة وقلبها يكاد يخرج من قفصها الصدري من هول ما ستلاقيه منه وتجهله ولا تستطيع تخيله لكن يكفيها تلك النظرة بعينيه لتتوقعه

بأنفاس لاهثة ودقات قلب توقن أنه يسمعها من قوة صدحها وقفت أمامه ناظرة إلى أرض الغرفة، فهدر هو:

- ما هذا الذي فعلتيه ياجارية؟

بعيون لامعة تتوق دموعها للهطول توجهت بنظراتها إليه وبشفاه مرتعشه ردت متلعثمة:

- كنت ألهو في الحديقة.. وأعدك بألا أعيدها يامولاى

وكأن حاله قد تبدل في لحظة فوقف أمامها يضحك بصوت عالي ثم ملس بأطراف أنامله على وجنتها وهو يقول:

- وهل اللهو يغضب يا أسيل؟

لم تعرف بماذا تجيب، فان لم يكن يغضب فلماذا هو غاضب هكذا؟

أخرجها من حيرتها بصوته الآمر:

- أَجِبيني

أومأت برأسها نافية وهي تتجيب:

- لايغضب سيدي

- صحيح اللهو لا يغضب

ثم أكمل وهو يبعث لها نظرة محذرة من عيناه:

- لكن العبث بممتلكات سيدك تغضب يافتاه

تخبطتت أفكارها أكثر وهي لا تعرف بماذا تجيبه، فهي لا تدرك بعد ماذا يقصد بممتلكاته،

فأخرجها من حيرتها بلمسة شغوفة من أنامله على وجنتها قائلاً:

- لا تسمحي لأحد أن يلمسك.. حتى لو كانت فراشة

أذهلتها غيرته الغير منطقية للحظات ولكنها أدركت حب تملكه لها حين تابع:

- أنتي ملكي ياأسيل.. أتعي ذلك؟

أومأت برأسها في إيجاب وداخلها فيضانات من المشاعر تعشق كونها

"مـــلـــكـــه"

*****

ابحث عن المرأة

هي امرأة ككل بنات حوا

هشة ضعيفة حد الكسر والألم والجرح

والجرح .. لازالت أثاره واضحة بداخلها مهما جاهدت في محاولات بائسة لجعله يلتئم

فهو لازال ينبض بالألم داخلها

يجعلها خاوية ميتة

جثة في جسد أنثى متحركة

وما أكثر خطواتها اللاارادية لأماكن لا تبغى الذهاب لها

لكنها ذهبت وهي تقسم لنفسها المهترئة أنها ستكون الأخيرة ولن تفعل مجدداً ما لا تبغاه ولا تطيقه لأجل أي أحد

كانت خطوات أخيها تسبقها ونظراته تحثها على الإسراع في السير إلى مدخل تلك البناية التي يوجد بها العيادة النفسية لصديقه المذعوم طبيب المجانين

كيف وافقته على هذا الأمر؟ ياإلهي ما هذا؟

لا..

إنه ندم اللحظات الأخيرة

- مش عايزة؟

قالتها بخفوت لكنه سمعها، فوقف يحدق بها بغرابة تحولت إلى شفقة حينما لمح ملامحها الطفولية الخائفة عادت إليها في لحظة رغم تلك المساحيق التي غيرت ملامح وجهها

لكنه رأها الآن، رأى أسيل أخته، لا بهيئتها الجريئة ولا بملامحها المزركشة بالألوان، ولكن بنظرتها التي لم تستطع تغيرها

إقترب منها وأمسك بكتفيها وقال بهدوء:

- متخافيش أنا معاكي

في لحظة رجع كل شئ لسابقه، فتغيرت النظرة والنبره

- أنا مش خايفة ياطارق.. كل الحكاية إن الموضوع كله فاكس ومش عاجبني

- طيب ما انتي كنتي اقتنعتي خلاص ياأسيل.. ايه بس اللي جد؟

- هو كده غيرت رأيي وخلاص

ولفت سريعاً لتعود أدراجها إلى سيارته وهي تبحث عن علبه سجائرها وأختارت منها واحدة تقليدية ووضعتها بفمها وأشعلتها وبدأت في نفث دخانها ببراعة رجل يدخن منذ أن كان في العاشرة، وأخيها يتابعها بغل لما تفعله به وبنفسها، سرعة غضبه جعلته يندفع نحوها خاطفاً تلك اللفافة من بين أصابعها وألقاها في الأرض وهو يقول بصوت غاضب ولكنه حاول ألا يكون مرتفع:

- اية اللي انتي بتهببيه ده، إحنا في الشارع ولا عايزه الناس يقولوا عليا اية؟

لم تتفاجأ ملامحها بل ظلت باردة كما هي فقط انفرجت شفتها العلوية بزاوية مائلة وهي تقول بمرارة يعلمها جيداً:

- اه صحيح الناس هيقولوا عليك إيه؟ مهو هو دة كل اللي يهمكم

شعر بتسرعه وقال وهو يشعر بالندم:

- لا يا أسيل.. إفهمي أنا عايز أساعدك صدقيني

ردت بنفس الملامح الباردة:

- أنا مش عايزة مساعدة من حد، ولو كنت عايز تاخدني للدكتور عشان تبقى عملت اللي عليك ومتحسش بالذنب.. فأنا بقولك ارتاح ومتشلش همي.. انا كويسة ومرتاحة ومش محتاجة مساعدة من حد

- بس أنا مش حد يا أسيل.. أنا أخوكي.. أنا مش بعمل كدة عشان ضميري يرتاح.. أنا عايز أطمن عليكي بجد.. أرجوكي يا أسيل

كلمات شعرت بالحنو يتخللها وهي قد جفت حياتها من ذلك الاحساس الدافئ، لم ترد فقط تركته يقودها لأعلى حيث ذلك الطبيب الذي يجلس منذ ساعتين في انتظارهما

على عكس ما توقعته فهو رجل أشيب الشعر سمين نسبياً ملامحه هادئة بوجه حليق والغريب أنه لا يرتدي عوينات طبية، يبدو أن علاج المجانين أرجع له مافقده في كلية الطب من نظره ووزنه

قابلهما بابتسامة ودودة وهو يقول بمناوشة غير مرحب بها من مريضته الجديدة:

- هايل جداً.. بصراحة كنت متوقع إنك مش هتيجي.. لازم الدكتور يكون صريح عشان يكسب ثقة .....

ولم يكمل كلماته حين قاطعته:

- المرضي بتوعه.. اللي هما المجانين يعني

ابتسامة خجلة طغت على وجهه وهو يبرر بطريقة محاضر:

- الحقيقة ناس كتير بتفتكر المرض النفسي جنان.. لكن إحنا كلنا جوانا عُقد ومن وقت للتاني بنحتاج لزيارة الطبيب النفسي

- أيوة أيوة سمعتها في أفلام كتير قبل كدة

قالتها باستهزاء مقصود وزادته بوضع قدماً فوق أخرى وهي تشعل لفافة من التبغ، وعقبت حين نظر لها أخيها معاتباً على ما تقوله وتفعله:

- الدكتور قال لازم نبقى صرحة مع بعض.. وأنا بقى هي اللي قودامك دي

نظر لها بوجه لا يحمل سوى تلك الابتسامة الباردة التي يرفعها على وجهه مثل لافتة المحلات منذ أن رأته

كانت مفعمة بالجرأة واللامبالاه حين باغتها متسائلاً:

- وأسيل بقى اللي قودامي دي ممكن تكلمني عن حياتها، يعني تقدري تقوليلي هدفك اية في الحياة؟

أرجعت رأسها للوراء وهي تسحب نفس عميق من لفافتها وتخرج دخانه من جوفها ببطئ مستفز كما سؤاله، فهي حقاً لا تحمل الاجابة، ولا تود التفكير فيها، ولماذا تجيب أصلاً؟

أعجبتها الفكرة فقالت:

- أكيد من حقي مجاوبش

بنفس الابتسامة رد:

- أكيد طبعاً.. بس أنا عارف انك مش لاقية إجابة لسؤالي

كادت أن تنطق فتابع مفتعلاً عدم ملاحظته لذلك:

- الانسان اللي بيعيش من غير هدف يابنتي ميبقاش حي.. طول ما احنا بنتنفس لازم يكون عندنا هدف

لمسها بكلماته فهي حقاً بلا هدف لأنها ماتت منذ فترة ولم تعد تشعر بالحياة

ارتجف جفنها قليلاً وهي تفكر بكلماته، فتابع هو بمهنية:

- جربتي تعيشي؟

سؤال غريب من رجل أبرد من ثلاجة منزلهم، لوت شفتيها دون أن تنطق، فقال موضحاً سؤاله:

- جربتي تدي نفسك فرصة للحياة.. جربتي تفتحي باب لحياة جديدة غير اللي انتهت بدل ما انتي لسة دافنة نفسك جواها

- أنا مش جواها

قالتها بانفعال، فتابع:

- ولا برده خرجتي براها.. تغيير المظهر والصحبة والمكان شئ مهم ومفيد لحياة البشر.. بس ده لو همة لسة أحياء فعلاً.. لو لسة عندهم هدف

إرتعشت يدها قليلاً وهي تحمل لفافة التبغ إلى فمها وتفكر في كلماته، ولكنه فاجأها بانهاءه للقاء قائلاً:

- أنا متشكر جدا ياأستاذة أسيل لحضورك النهاردة وسماحك ليا بالحديث معاكي

ثم تابع وهو يمد يده ببطاقة صغيرة أنيقة لشركة تحمل اسم صاحبها ورقم هاتفه ومقرها، نظرت له باستغراب وهي لا تفهم ما أهمية هذه البطاقة، أمسك يدها التي تحمل البطاقة وقلبها لتقرأ ما كتب على ظهرها

في كل يوم جديد بعمرنا فرصة لدنيا أجمل

فقط اسمح لنفسك أن تعيشها

نفس نظرتها المتأثرة قليلاً ونفس ابتسامته قال موضحاً:

- دة كارت صاحب شركة تصميمات.. محتاج مصممة ممتازة ومتميزة في شغلها من أيام الدراسة.. وأنا قلت أكيد مش هيلاقي أشطر منك

نظرت لأخيها معاتبة، فيبدو أنه حكى للطبيب كل شئ عنها، ثم ردت بلا اكتراث:

- بس أنا مش عايزة أشتغل.. وأشتغل ليه أصلاً أنا بابا الله يرحمه سايبلي فلوس كتير مش هتخليني محتاجة أشتغل

- الشغل مش بس فلوس.. إعتبريه باب ممكن تلاقي فيه الحياة

لوت شفتها السفلي بعدم اقتناع، فضغط هو على يدها التي تحمل البطاقة بلطف، قائلاً:

- خليه معاكي يمكن في يوم تحتاجي تفتحي بابه وتتفرجي على الحياة جواه

وتابع بابتسامة أوسع:

- أنا عارف انك مش هتيجي هنا تاني.. أتمنى تدي نفسك الفرصة للحياة لأنها تستحق ده

أومأت برأسها في وهن فقد أنهك ذلك الطبيب عقلها من التفكير

وغادرت هي وأخيها وهي لازالت تحمل بقبضتها باب الحياة كما يزعم الطبيب

ركبت السيارة جوار أخيها وبنظرة سريعة مرت على تلك الكلمات التي خطها الطبيب لها خلف البطاقة

في كل يوم جديد بعمرنا فرصة لدنيا أجمل

فقط إسمح لنفسك أن تعيشها

وحشرتها بسرعة داخل حقيبتها دون أن يلاحظ أخيها

وعادا إلى المنزل وهو يتحاشى الحديث معها وهي تفتعل عدم اهتمامها بكل ما حدث وما سمعته من ذلك الطبيب الذي يظن نفسه يمثل دور الحكيم العجوز الذي يظهر بالنصيحة في تلك الأفلام الكلاسيكية القديمة

لم تمكث في المنزل طويلاً غادرت على الفور عندما أتت إحدى رفيقات سهراتها تأخذها بسيارتها كعادتهما كل ليلة

سهرة جديدة مليئة بالموسيقى والرقص والشرب والمغازلات

مالت على أسيل إحدى صديقاتها وهي تقول:

- الواد هيتجنن عليكي.. وهريني زن من ساعة ما عرف انك سيبتي أحمد

- سيبك منه ده واد مجنون.. هو انا ناقصة جنان

- بس ده بيحبك بجد

- واية يعني مهو كلهم بيقولوا كده يابنتي فكك

قالت كلماتها الأخيرة وتركتها متوجهة إلى ساحة الرقص لترقص وسط الكثير من الفتيان والفتيات الذين يرقصون بحركات سريعة على أنغام تلك الموسيقى العالية التي تملئ المكان

فجأة شعرت بيد تسحبها لتصدم بصدر رجولي ضخم مزدحم بالعضلات المنتفخة، رفعت رأسها تنظر إلى وجهه لتقول بغضب:

- ايه اللي انت عملته ده؟ وازاي تمد ايدك عليا أساساً؟

كان صوتها عالياً حين توقفت الموسيقى فجأة وانتبه الجميع لهما، شعر هو بالحنق الشديد لمنظره أمام الجميع، الدم بدأ يغلي بعروقه فأمسكها من ذراعها بشدة وهو يصيح بها:

- جرا اية يابت انتي فاكرة نفسك واحدة ولا اية؟

وبعثرت هي ما تبقى من كرامته:

- فاكرة نفسي هديك بالجزمة ياروح أمك

توازت كلماتها مع خلعها لحذاءها ذو الكعب العالي الذي تواً ما وجد مكانه برأس ذلك الغاضب أمامها، ارتبك هو من رد فعلها

المفاجئ، فنزعت ذراعها من قبضته، فتجهم وجهه متوجهاً بقبضته نحوها حتى تكون نهاية جمال وجهها اليوم بلكمة منها، لكن بعض من رفاقهم أمسكوا به ولم يسمحوا له بالتوجه نحوها، في حين طلبت إحداهن من أسيل مغادرة المكان قائلة:

- يلا ياأسيل نروح وكفاية مشاكل لحد كدة النهاردة

وجاء أحد الشباب ممسكاً بيده حذاءها وأعطاه لها وهو يقول لائماً:

- في راجل برده يضرب بالجزمة ياأسيل؟

- مش لما يكون راجل أصلاً

فكتمت الأخرى فمها قائلة:

- شششششش بس بقى خلاص متبدأيش الخناقة تاني ويلا نروح

ثم زجتها أمامها إلى السيارة لترجعها إلى منزلها ككل يوم، وفي الطريق سألتها بغضب:

- انا مش فاهمة كان إيه اللي حصل يعني عشان توصل لانك تضربيه بالجزمة؟

- قل أدبه يادارين

- وإيه الجديد يعني كلنا عارفين سفالة الواد نادر

- بس مش عليا يادارين

- ما أنا قلتلك إنه هيموت عليكي ياأسيل

- وأنا مش عايزة هو بالعافية

- خلاص فكينا بقى من الجو ده إحنا بكرة نشوفلنا مكان تاني نسهر فيه بعيد عن وش أمه

- مش هنشوف مكان تاني ولو مش عجبه يغور هو

- يووووه انتي عندية ياأسيل ومش هتسكتي غير لما يحصل مصيبة

زفرت أسيل بنفاذ صبر وهي تلعن الدنيا، فحتى تلك الحياة التي اختارتها كي تدفن فيها ذكرياتها مليئة بالمشاكل والملل

- لا حياة بلا منغصات أسيل هذه هي الدنيا

- إلا الحياة معك سيدي.. فحتى الألم فيها متعة.. فحتى الوجع فيها نجاه

- إذن فاركعي ياممملوكة

نفذت ما أمرها به طواعية ورغبة في قربه، فانسدلت خصلاتها الناعمة على وجهها المطأطأ في الأرض فنحاها جانباً بيديه خلف أذنها ورفع وجهها ليملئ عينه برؤية ملامحها وبدأ يلمس كل قطعة فيه بسبابته، وأغمضت هي عينها تستشعر لمسته الناعمة التي تبعها بصفعة على وجهها فانتفض لها كل إنش بجسدها فزعاً من أثر المفاجأة، نظرت بوجهه الذي باتت ملاحهه غاضبة فجأة، وعيناها بدأت تلمع بالعبرات المحتبسة، فزجر هو قائلاً:

- أين خاتمك؟

الخاتم.. رجفة أيقظت عقلها بانتباه لتجعل قلبها يقفز في ضربات متتالية لا تستطيع إيقافه، ذلك

الخاتم الذي أهداه لها ملكها قد خلعته اليوم عند البحيرة كي تستحم، ولم تجده بعدها

ياويلتي كيف إنتبه لضياعه؟ كيف لاحظ في دقائق معدودة أن أُنملها قد فقد لمعة خاتمه؟

ارتعشت شفتاها وهي تجيبه:

- لا أعلم ياسيدي

- ومن يعلم إذن؟

قال متسائلاً بملامح هادئة أهابتها أيضاً، فهي تعلم جيداً كيف يكون هدوءه هذا الذي يخفي البراكين داخله، بدأت دموعها تتلألأ على وجنتيها وهي تقول:

- لقد خلعته اليوم عند البحيرة جوار ملابسي لأستحم.. وعندما فرغت لم أجده جوار ملابسي

مد يده بهدوء إلى وجنتها جعلها ترتعش خوفاً من بطشه مرة أخرى، لكنه هذه المرة كان يمسح دموعها من على وجنتها

حنان لمسته جعلها تتأرجح بين بطشه وحنانه

فهكذا هو دائماً يجعلها تائه بيد مطرقة سطوته وسندان أمانه

أرجع رأسه للخلف مستنداً على عرشه وهو يسألها بهدوء:

- وهل تستحم جواري الملك خارج قصره؟

جحظت عيناها وقد أدركت جُرمها الثاني

- ومن أعطي لكِ الاذن بذلك؟

والثالث

وقد حان وقت الحساب

والعقاب هو الثمن دائماً

** ** ** **

الفصل الثالث

هو:

- أنتِ أجمل ما في حياتي.. أعشقك يا أميرتي

هي:

- أنتَ روحي.. أعشق كل تفاصيلك

هكذا يعشق كل البشر

هو:

- أنتِ ملكى بكل ما فيكِ.. لن تستطيعي حتي التنفس إلا بأمر مني يافتاه

هي:

- كل ما بي ينتظر بشغف أوامرك سيدي..
أعشق قبضتك التي تحيط رقبتي لتعبر أنفاسي خلالها فقط

وهكذا يعشق الملوك

هكذا يعشق الملك

فكيف إذن سيكون عقابه؟

لم يعد عقلها قادر على استنتاج كيف سيكون عقابه على حسابها الثقيل

فلم تقترف ذنباً واحداً بل ثلاث

لم تجد حيلة ولا مفر بعقلها سوى أن تناجي في صمت

عيناه أن تشفق لحالها

شفتاه أن تنطق بحروف حبه لها

قلبه أن يثور فداءاً لمهجته

عقله أن يسامحها

قدماه أن تحن لضعفها

يداه أن ترحم نعومتها

صمت يسمعه جيداً، في لحظات تبدو قليلة لكنها طويلة على كليهما

على تلك الخائفة

وعلى ذلك الذي يمسك بيديه زمام كل الأمور

القرار عقاب

والمنوط به قطعة قدت من قلبه

والجريح قلبه قبل قلبها

لكنه شئ لامفر منه

- هل تعلمي ماذا سوف يحدث الآن؟

ترقرقت العبرات من عيناها مرة أخرى وهي غير قادرة على النظر بوجهه، أومأت أن "لا"

- وماذا تتوقعين إذاً؟

- عـ قـ ـا ب

حروف مبعثرة بصوت مبحوح تذبح بقلبه، لكن ما يبدو على وجهه هوعدم الاكتراث لأمرها، فزاد من نحيبها قائلاً:

- وكيف سيكون العقاب إذاً هذه المرة؟

بخوف شديد أجابت من بين شهقاتها:

- لا أعلم سيدي

إتكأ بمرفقه على فخذه ليمعن النظر بوجهها قائلاً بصوت صارم ووجه خالي من أي تعبير:

- إخرجي من هذه الغرفة الآن لا أريد أن أرى وجهك حتى ليلة الجمعة

عيناها كانت تحدق به وهي لا تكاد تصدق ما يقول وعقلها يحسب تلك المدة التي ستُحرم فيها من لقياه

- ثلاث أيام

لم تشعر بحالها إلا وهي ترمي نفسها عند قدمه تترجاه أن يختار عقاباً أخراً غير البعد عنه، تشهق باكية، تستجدي عطفه صارخة، وهو كالحجر الصلب لا تتحرك منه قدر أُنملة، وفجأة شعرت بيده تنقض على خصلات شعرها بعنف

ليرفع رأسها أمام وجهه وهتحاول أن تمسك بيده القابضة خصلاتها بشدة، زجر كالعاصفة:

- قلت أخرجي

وألقى بجسدها لتسقط أرضاً بعيدة عن قدميه، كاد أن يقف ولكنها أدركت أنه لن يتخلي عن قراره، فإختارت أن يكون عقاباً واحداً، وخرجت من الغرفة تلملم أطراف فستانها مسرعة

أما هو فوضع يده على قلبه يهدأ ثورته، فحبيبته ستكون على ما يرام

رنين .. رنين .. رنين

من هذا المزعج الذي قرر بسطوته أن يوقظها من حلمها الجميل الذي تعيشه مع ملكها؟

بتأفأف قامت مدت يدها إلى الكومود جانبها حيث ذلك المزعج على الهاتف، لا تعلم كم الساعة الآن لكنها ردت بعين نصف مغمضة:

- ألو

- ألو يافندم.. معاكي نسرين لطفي من شركة ماجيكو للتصاميم المطورة

لم ترد، فقط لم تستوعب الأمر بعد، وبالأحرى لم تستيقظ بعد، فتابعت الأخرى:

- في تقديم باسم حضرتك لوظيفة مهندسة الديكور للتصميمات اللي بتنفذها الشركة.. الملف بتاع حضرتك اتقبل وفيه انترفيو

لحضرتك مع الأستاذ مالك التوهامي يوم الخميس الساعة ستة مساءاً باذن الله

قامت أسيل لتجلس في فراشها

- استني استني هنا.. تقديم إية؟ أنا مقدمتش في حتة

- الملف بتاع حضرتك عندنا من تلت أيام وكان من ضمن ملفات كتير واللي اتقبل خمسة بس هيتم مقابلة أصحابهم يوم الخميس القادم

صمتت للحظة تستجمع بعقلها ما تلقيه عليها تلك الفتاه على الهاتف، ثم قالت بعد أن أدركت أنها تتحدث بالهاتف:

- تمام شكراً ليكي

- العفو يافندم

وضعت أسيل الهاتف على قدمها وهي ترجع لذاكرتها ما حدث خلال زيارتها للطبيب، تذكرت تلك البطاقة التي أعطاها لها ذلك الطبيب الواعظ، قفزت من الفراش تشعل الضوء بغرفتها ثم فتحت خزانتها وأخرجت حقيبتها وفتحتها بلهفة تبحث عن تلك البطاقة فوجدتها

بطاقة من اللون الأبيض ولأول مرة تقرأ ما طبع عليها من الأمام بتمهل

شركة ماجيكو للتصاميم المطورة

لصاحبها : رائد التوهامي

نظرت أمامها وهي تتذكر حديث الفتاة على الهاتف عندما ذكرت اسم "مالك التوهامي"

جزت على أسنانها وهي تقول:

- الملف عندهم من تلت أيام.. ماشي ياطارق

ضغطت بأناملها على البطاقة وكادت أن تلقيها على الأرض لكنها تذكرت ما كَتبه الطبيب لها على ظهرها فقلبتها تقرأ كلماته مجدداً

في كل يوم جديد بعمرنا فرصة لدنيا أجمل

فقط اسمح نفسك أن تعيشها

بنفاذ صبر وضعتها في حقيبتها مرة أخرى، ثم توجهت إلي هاتفها الملقى على الفراش مرة أخرى تهاتف طارق والغضب بادي على وجهها، ولكن شحنة غضبها هدأت قليلاً حينما كان الرد من زوجته التي قالت بحفاوة:

- أسيل إزيك ياحبيبتي.. وحشاني جداً

زفرت بعدم صبر وهي تحاول الابتسام قائلة:

- وانتي كمان يانجي وحشاني

- أنا أسفة جداً والله نفسي أجي أشوفك من أول ما وصلت.. بس طارق كل ما أقوله مش بيرضي يجبني عندك معرفش ليه

قالت بصوت خافت وبمرارة استشعرتها من شعور أخوها بالعار تجاها:

- أنا بقى عارفة ليه

- بتقولي ايه؟

- بقول ان شاء الله نتقابل قريب

- أكيد ياحبيبتي

- هو طارق فين؟

- هو نزل يشتري حاجات ونسي موبيله.. لما يجي هخليه يكلمك

- ماشي يا انجي متنسيش ضروري يكلمني

- اوكي ياأسيل

أغلقت الهاتف وظلت ناظرة أمامها في وجوم وعقلها يردد:

- لازلتي هي ياأسيل.. تلك الصغيرة المسلوبة الارادة التي تتحرك بين يديهم كالحقيبة.. لازال أخيكي يظنك هي ويخطط لعملك دون الرجوع لرغبتك

شهقت وقد أغرقت دموعها وجهها، ألقت الهاتف بعيد عنها وهي تتصرخ:

- ليه؟ ليه ياطارق؟ ده أنا كنت ابتديت أقربلك

ولم تجد سوى وسادتها تغرقها بدموعها، فقد زهدت كل شئ بعالمها أهلها بكل ما يفعلوا، نفسها التائه الضغيفة المستسلمة لعالم الأوهام، حتى حياتها الجديدة التي تعيشها مع رفاق جدد أيضاً أصبحت مملة تملؤها الادعاءت

ظلت تأن كطفلة صغيرة وهي متشبثة بالوسادة، ولكن لم يستمر الأمر هكذا طويلاً، فقد تسللت يداها لمكان اعتادت عليه حتى وجدت ضالتها، وقامت أسيل لتجلس في الفراش وبعيون لا تكاد ترى من كثرة الدموع نظرت إلى السكين بيدها ومدت ساقيها وبدأت العد

- واحد.. إثنان.. ثلاثة.. اااه

وهنا أدركت الفاجعة حينما مسك سوطه بكلتا يديه وأحاطه حول رقبتها قائلاً:

- ألم أقل لا أريد أن أسمع سوى صوت ضربات سوطي على ظهرك ياجارية؟

كانت تختنق ببطئ تحاول أن تسحب القليل من الهواء إلي رئتيها، وفي الوقت المحدد فك حصار سوطه من على رقبتها ليمنحها الهواء فقط عندما يرغب، بدأت تتنفس ببطئ وهو يتابع أمراً:

- الآن لا أريد أن أسمع صوت تأوهك

وكانت الضربة الخامسة حين قال:

- إبدأي

وبدأت العد من جديد وبدأ هو جنون سوطه على ظهرها، حركات رشيقة يتقنها بخفة، لا يؤذي ولن يفعل فقط قدر كافي من الألم تحتاجه تلك البائسة

وفي العاشرة كانت القطرات تسيل من قدمها، ملست على جروحها العشر تمسحها بأنامل مرتعشة، وهي تلعن وهماً سيطر على كل جوارحها، وإدماناً للون أحمر يسيل من جروحها

*****

غطت في غفوة بسيطة، قد تكون ساعة أو أقل، انتبهت على صوت جرس الباب، أدركت أن المساء قد حل وقد فات موعد استيقاظها، وكما

أن معدتها تؤلمها من كثرة الجوع، لكنها ستتغاضي عن كل ذلك، فهي لا ترغب اليوم في فعل أي شئ، وضعت الوساده فوق رأسها حتى تنتهي من صوت جرس الباب الذي لا يصمت أبداً، ولكن تواكب صوت جرس الباب مع اهتزاز هاتفها المحمول منبأ عن اتصال في وضعه الصامت، قامت لتجلس في الفراش عندما رأت رقم المتصل، ردت وقد أفاق عقلها:

- أيوة ياطارق

فأتاها الرد سريعاً:

- افتحي الباب أنا عارف انك جوة

إذاً هو من بالباب، قامت منتفضة من الفراش تفتح له الباب، دخل من الباب بيده عدة أكياس

كانت تحمل رائحة طعام ساخن خفقت له معدتها الجائعة بشدة، قالت بلامبلاه لرائحة هذا الطعام المغرية:

- وعرفت منين بقى إن أنا جوة

قال وهو يخرج ما بالأكياس على مائدة الطعام:

- من عم عرفة البواب هعرف منين يعني

- عرفة اه قولتلي.. امك ليها عيون في كل حته

- طب سيبك من العيون وتعالي ناكل

- هاكل أكيد عشان عايزة أتكلم معاك كتير ياطارق

*****

- ليه مصممين تعاملوني زي شنطة في ايديكم ملهاش اي رأي؟

قال طارق بنفاذ صبر:

- يابنتي افهمي.. انا مكنتش ضامن انك هتروحي للدكتور.. والشركه كانت عامله اعلان وانا لقيتها فرصة مناسبة ليكي ولما قلت للدكتور على الفكره دي قالي هيتوصتلك هناك عشان صاحب الشركه طلع صاحبه

قاطعته بحدة:

- صاحبه برده؟ ولا زي ما قلتلي إن الدكتور صاحبك ورحت لقيته راجل عجوز

رد ببعض الحرج:

- كان لازم اقولك كده عشان ترضي تيجي معايا

أمالت رأسها تمعن النظر به قائلة:

- وهتقولي ايه المرة دي عشان أرضى اروح انترفيو الشغل؟

- مش هقولك غير كلمتين.. جربي تعيشي.. جربي تعيشي ياأسيل

نظرت له في وجوم

ملاكها يخبرها أنه يحبها ويريد أن يراها في أحسن حال

وشيطانها يصرخ بها أنه فقط يريد أن يخلص من مشاكلها ويغادر إلي حياته مرة أخرى

واجابتها كانت معلنة نتيجة صراعهما:

- لا.. أنا مش عايزة أشتغل

*****

حذاء بكعب رفيع يدق بنغمات صارخة أرض المكان، بنطال ضيق بلون أسود يحمل الغموض مثل صاحبته، بلوزة بلون الدم تصرخ في وجه الحضور، أسيل خط أحمر، شعر مسترسل بلونه الأسود على ظهرها، ملامح قاسية زادتها حدة بألوان تبرج قاتمة، وجرئة احتلت ملامحها لا تدرك كيف اكتسبتها من معاشرة هؤلاء البشر لمدة عام واحد فقط، ولكن الاجابة ببساطة أنها أصبحت أخرى

يدور بعقلها حورات حول هذا الأحمق نادر وتستعد للهجوم بكل أسلحتها، ولم تستمع لنصائح دارين بتغير المكان والبعد عن المشاكل

فتلك النمرة التي تنمو داخلها باتت أشرس ومستعدة للهجمات

ولكنها ما إن دخلت حتى تساقطت كل أسلحتها وهي تحاول استيعاب الأمر

فالمكان مزدحم كعادته، ولكن الجميع قد تجمهروا بانتظارها وكأنهم قد خططوا لشئ، إثنان منهم يرفعون يديهم بلافتة كبيرة كتب عليها بالإنجليزية

" أنا أسف ياأسيل "

والبداية كان دهشة واستغراب

وختمتها بابتسامة وهي ترى نادر يخرج من وسط الحشود يمسك بيده صحبة زهور، ورغم إهانتها له السابقة قال:

- أنا جاي النهاردة أقولك قودام الناس دي كلها.. أنا أسف ياأسيل

والرجل.. حين يحلم بشئ يتنازل كي يحصل عليه

والإشارة.. بسمة ثغرها

والوعد.. رقصة في حضنه على موسيقى هادئة

والبقية.. سهرة يخطفها مع تلك الباحثة عن الحب في أرض خالية من الحياة

والنتيجة.. علاقة كسابقاتها

*****

كل الرجال طماعون.. كلهم يطمحون في الأكثر والأكثر، وحينما تكون الفاكهة أمامهم مقشرة لا يتواني لحظة عن الأكل

إلا هي.. فهي غير مخصصة للأكل

ليس لمبادئ او لتربية تربت عليها وألقت بها خلف ظهرها

ولكن لإنها تكره الرجال وتكره لمسة الرجال

فقط تكون بأحلامها

أحياناً تعتقد أنها مجنونة وأحياناً تقتنع بحديث أخيها " جربي تعيشي "

ورغم أنها تفعل كل ما تريده لازالت لا تشعر بالحياة، حتى قبلته تلك على وجنتها لا تشعر بها

- اية يابنتي إنتي فين؟

- ها.. لا أبداً موجودة

- اصبلك كاس؟

- اه

أعطاها إياها وهو يقول غامزاً بعينه:

- ما تيجي نعد جوة.. عشان تفكي كده شوية ياسوسو

نظرت له بامعان وهي ترد:

- أفك ازاي يانادر يعني مش فاهمة؟

- اصلك قافشه عليا كل ما أقربلك قلت يمكن مكسوفة عشان قودام الناس

- مكسوفة !!

قالتها وهي تلوي شفتها السفلى، ثم تابعت:

- لا أنا مش مكسوفة يانادر.. واللي انت متعرفوش إني لو دخلت جوة مش هفك أكتر من كدة

- طيب ياأسيل براحتك

وأتبع كلماته بتجرع ما تبقي بكأسه، وهو يفكر كيف يجعل تلك العاصية تلين له، ويستطيع بعدها جعلها كخاتم باصبعه، ولا تتركه ككل من سبقوه، بل يتركها هو حين يزهدها

إبتسم وهو يتخيل نجاح خطته، في حين خطفته هي إلى ساحة الرقص قائلة:

- واو يلا نرقص على الأغنية دي أنا بحبها أوي

والرقص دنيا

دوامة من الصراعات

متاهة تخنق أفكارها داخلها

لتنسي

لكن أوان النسيان لم يحن بعد

*****

الساعة الواحدة ظهراً، وهو ميعاد مبكر لاستيقاظها، لكن عقلها لايريد النوم الآن كأنه

يعاندها، قامت لتجلس في الفراش بأعين لا نوم فيها على الاطلاق، جلست دون أن تشعل الضوء أو حتى تعبث بهاتفها

هي والسكون فقط، هي تعلم أن اليوم هو الخميس موعد مقابلتها في الشركة للعمل الذي عرضه عليها أخيها

" جربي تعيشي "

وهي حقاً في عداد الأموات، فقد مر أسبوع كاملاً منذ أن قال أخيها تلك الكلمات ولم يحاول بعدها الحديث معها في الأمر، وكأنه قد يأس منها، ولكن عقلها لم ييأس بعد

فهي تعلم جيداً أنها لاتشعر بالحياة، فقد مر أسبوع ملئ بالأحداث وعلى رأسها علاقة جديدة

لكنها لا تشعر سوى بملل يغلفه ملل محشو بملل

فجأة قامت من فراشها لتجدد نشاطها بحماماً بارداً، وخرجت تلف جسدها بمأزر صغير،تعبث بخزانتها باحثة عن ملابس مناسبة

الأمر محير حقاً فهي لا تعرف بأي شخصية عليها الذهاب لهذا المكان، أسيل القديمة التي خنقتها بيديها ورمتها ببئر عميق، أم أسيل الجديدة النمرة الجريئة المتحررة

وفي النهاية اختارت الاثنان معاً، وقفت تتابع مظهرها في المرآة برضا

حذاء أسود أنيق بلا كعب يعلوه بنطال من خامة الجينز وقد دست داخله قميص أبيض بأزرار لم تغلق أخر ثلاثة منهم، وتركت شعرها الناعم

مسترسل بهدوء خلف ظهرها، وبعض لمسات التبرج الهادئة وأخيراً حقيبة صغيرة تحملها بيدها بالون الأرجواني وانتهى

نزلت مسرعة من المنزل، ثم اكتشفت أمراً هاماً، كيف ستصل إلى الشركة دون تلك الدارين التي تصحبها دائماً بسيارتها إلى كل مكان

هل تذهب إلى الجراج وتخرج تلك المنكوبة سيارتها التي دفنتها هي الأخرى داخل الجراج وعزمت على ألا تركبها مرة أخرى، ولكنها نفضت تلك الفكرة من رأسها، فهي لن تقودها مجدداً بعد أخر مرة قادتها فيها وحدث ما تود أن تنساه ولكن للاسف تلك الذكريات اللعينة لا ترغب في تركها

أخيراً قررت أن تستقل سيارة أجرة، ركبت واحدة ونظرت إلى الساعة بيدها فوجدتها الرابعة

إن الوقت مبكراً حقاً على موعد ابن التوهامي هذا، فقررت أن تذهب إلى مكان تستطيع فيه شرب قدح من القهوة وتناول بعض اللقيمات كفطور متأخر كعادتها، وبالفعل وصلت وهناك باتت تتخيل شكل المقابلة وشكل ابن التهامي، يجب أن يكون رجل عجوز بكرش كبير كصاحبه الطبيب، وصوته سيخرج مملوءاً بالسمن والزبد:

- مرفوضة طبعاً يابنتي

ابتسمت لتخيلها، فهي تراها لعبة، مجرد لعبة تريد أن تتسلى بها، فمن سيقبل في شركته من ليس لديها خبرة ولا تملك غير شهادتها الجامعية ويترك الذين يملكون العديد من الشهادات في مجالات اللغة والتكنولوجيا وسنوات الخبرة

أنهت فطورها، ونظرت إلى الساعة فكانت الخامسة والنصف فقررت الانصراف والتوجه إلى الشركة

بسيارة أجرة أخرى وصلت إلى مقر الشركة، لم تكن كبيرة الحجم كما تخيلت، دخلت وهي تتلفت حولها تتأمل المكان، لكنها انتبهت لذلك الصوت الذكوري الذي تحدث بلباقة قائلاً:

- ياأنسة ممكن بس حضرتك تقوليلي داخلة الشركة بخصوص إية؟

كان عامل يرتدي زياً للأمن، فقالت وهي تفتعل عدم الاكتراث:

- عندي معاد بخصوص وظيفة هنا.. يامحمد

أضافت كلمتها الأخيرة وهي تشير باصبعها إلى اسمه المكتوب على البطاقة التي علقها على طرف جيب قميصه كما عادته، وابتسمت وتركته، ابتسامتها تأثر لا لجمالها الذي ليس له مثيل لإنها عادية بل لشقاوتها، فهي طفلة تلعب

ولازالت تلعب حين صعدت لادوار الشركة الثلاث تمشي في أرجاء المكان بغير هدف فقط تتأمل كل ما به، فهي طفلة تلعب

أخيراً قررت أن تسأل عن هدفها بعد أن تجاوزت الساعة السادسة بعشرون دقيقة، وعندما علمت بمكان مكتبه توجهت إليه وجدت سيدة تجلس خلف مكتبها وإثنان ينتظرون على أريكة جانبية أحدهما شاب والأخرى فتاة

- يبدو أن المنافسة شرسة أسيل

قالتها في نفسها وهي تنظر إلى تلك الفتاه التي تحمل العديد من الأوراق، وذلك الشاب الذي أحضر حاسوبه معه ووضع رأسه داخله يرتب بعض أعماله في التصاميم ليعرضها في المقابلة، أما هي فحقيبتها الصغيرة لا تحمل سوى هاتفها المحمول ومفاتيح شقتها وأحمر شفاة ودمية صغيرة الحجم أعطها لها أخيها مهند مخلوق فضائي عجيب يدعي "سلاكس" لولا أن

حجمه لا يتعدى سبابتها ما كانت احتفظت به من قباحة هيئته، لكنه أوصاها أن تحتفظ به فهو دميته المفضلة

انحنت على تلك السيدة الوقور المنهمكة في عملها قائلة:

- لو سمحتي أنا كنت جاية عشان المقابلة

قطعتها المرأة بابتسامة:

- أيوة انتي أسيل؟

- أيوة أنا

- طيب إتفضلي اعدي.. معلش هتدخلي بعد الاتنين دول

بادلتها الابتسام، وهي تشكر بداخلها كل من يعملون بهذا المكان من فرط لطفهم ومعاملتهم الحسنة للزوار

دقائق مملة يخرج واحد ويدخل غيره وبعده الفتاه وهي تنتظر أن تخرج حتى تدخل هي الأخرى وتنتهي اللعبة، لكن الشغف يملأها لمعرفة ما يوجد بالداخل

وبالداخل كان هو ذلك الشاب الرفيع حاد الملامح ذو بشرة بيضاء ووجه حُدد بذقن شبه نامية، يرتدي بنطالاً كلاسيكياً من اللون الأزرق الفاتح وقميص من اللون الأبيض وقد شمر جزء من كمه وهو منهمك في متابعة التقرير أمامه وهو يجلس خلف مكتبه، انتبه على صوت من كان يجلس أمامه:

- كدة فاضل واحدة مش كدة؟

أشار برأسه دون أن ينظر له وهو يرد:

- واحدة

وتابع وهو يقلب ملفها الذي لا يحتوي سوى على ورقتين، شهادة جامعية بتقدير إمتياز وسيرة ذاتية لا تحمل الكثير من الكلمات:

- ومش أي واحدة

- يعني إيه بقى؟

قالها الأخر مستفهماً:

- يعني دي اللي موصي عليها الحاج أبويا بذات نفسه

قالها وهو يرفع بيده تلك الورقتين أمام صاحبه كي يعلم أن ليس لديها أي مهارات أو خبرات

خبط الأخر على فخذه وهو يقول:

- وناوي تعمل ايه؟

- لا أنا مبيهمنيش وانت عارف.. هقوله معجبتنيش.. أنا بصراحة عجبتني البنت الأخيرة منظمة وشغلها حلو معاها كورسات معتمدة ومعاها خبرة سنتين يعني هتريحنا اوي

قام الآخر وهو يقول:

- وانا برده شايف كدة.. طيب أنا هطلع أمشي البنت اللي بره وخلاص

لكنه أوقفه باشارة من يده وهو يقول:

- لا سيبها تدخل.. عشان نبقى عملنا المقابلة زي ما الحاج عايز

- طيب تمام

ثواني وطرقت السيدة الباب وفتحته بعدها لتدخل أسيل ذلك المكان التي كانت تتخيله منذ دقائق، المكان غير معتاد رغم أنه لا يحمل شئ غريب، كل ما جال بتفكيرها أن كل مخيلاتها عن الرجال خاطئة فقد كان شاب وسيم وليس عجوز بكرش كما ظنت

- اتفضلي أعدي

فجلست أمامه، قال وهو يمعن النظر فيها:

- انتي خريجة فنون تطبيقة بتقدير إمتياز

- مظبوط

قالتها بثقة، فهي غير قلقة بشأن الوظيفة لإنها تعلم جيداً النتيجة

- إشتغلتي في مجال التصاميم قبل كدة؟

- لا

- ليكي هوايات غير التصميم والرسم؟

استغربت من سؤاله وكذلك استغرب صديقه من هذا السؤال الذي لم يلقيه على أحد المتقدمين من قبل

حاولت أن تسترجع أيام أسيل السابقة كي تتذكر هل كان يوجد هوايات غيرها، أخيراً تذكرت:

- القراءة

- لو عميل عاكسك هتتصرفي إزاي؟

- هاديه بالجزمة

كانت تلك الاجابة بالطبع داخلها، لكنها أمعنت التفكير للحظة ثم قالت:

- هسيب المكان لغاية ما يمشي

- وإذا كان شغله معاكي إنتي بس ومحدش يقدر يخلصه غيرك

أغاظتها تلك النظرة الثاقبة بعينيه، فكيف يتجرأ على محاصرتها بالأسئلة هكذا؟ ولكنها تذكرت أنها بمقابلة عمل ويجب عليها متابعة اللعبة للنهاية، فردت بثقة أكبر:

- هسيب الشغل

ضحك ملئ فكيه، ثم قال بعد روية:

- انتي عارفة الاجابة دي تخليكي تترفضي من أي وظيفة؟

بتحدي واضح قالت:

- عارفة

أغاظته تلك المغرورة

فابتسم وهو يقف ويمد يده مصافحاً إيها:

- شرفتينا ياأنسة

عدم قبول باسلوب راقي تعلم

إبتسمت وهي تمد يدها لاكتشافها أنه يرتدي نفس الألوان التي اختارتها للباس اليوم، وخرجت وهي تضحك داخلها لإنها لازالت تلعب حتى بعقلها

- هي دي

كلمتان قالهما وعيناه تجري فوق رقم هاتفها المكتوب بسيرتها الذاتية، فرد صاحبه باستغراب:

- هي دي اية؟

- هي دي اللي هتشتغل معانا

قال صديقه مستغرباً:

- دي يامالك؟ ده انت مكنتش لاقي حاجه تكلمها فيها من كتر ما هي أبيض

قال بقرار صارم:

- خلاص اتعينت

وتابع بمكر:

- أنا مقدرش أكسر كلمة للحاج أبداً

ضرب صديقه كفاً فوق أخرى وهو يرد:

- طبعاً إنت هتقولي

** ** ** **

.. الفصل الرابع ..

كانت تشعر ببعض المتعة وهي عائدة إلى المنزل، فقد كانت لعبة مسلية لابد أن تشكر عليها أخيها

رجعت إلى منزلها استراحت قليلاً على الأريكة أمام التلفاز وهي تفكر جيداً بحياتها فهي حقاً بلا هدف، تحيا فقط لتعيش اليوم بيومه بملاذاته وبأي فكرة مجنونة تخطر ببالها

أرجعت رأسها للخلف وهي تقول في نفسها:

- انتي فعلاً مُتِّي ياأسيل

كادت دمعة صغيرة أن تهرب من بين جفنيها ولكن رنين هاتفها أوقفها، فألقت نظرة عليه لتجده نادر، ردت بملل:

- ايوة يانادر

- وحشتيني ياسوسو

ثقيل كالسمن البلدي

- خير يانادر.. في اية؟

- يلا اجهزي هعدي عليكي اخدك

- تاخدني فين؟

- لا دي مفاجأة يابيبي

- لا أنا هستني دارين هتعدي عليا ونتقابل في الديسكو

- احنا مش هنروح الديسكو أصلاً

- وأنا بقولك اللي في دماغك ده مش هيحصل يانادر

- هو انتي عارفة احنا هنروح فين؟

- مش عايزة أعرف.. ويلا بقى سلام معايا وايتنج

وأغلقت بعد حجتها تلك، زفرت وهي تعلم أنه لن يكف عن الإلحاح عليها الذهاب معه لبيته، والمانع فقط أنها لاترغب ولن ترغب ليس إلا

*****

مرت السهرة ككل يوم لا جديد، ورجعت إلى المنزل وقت صلاة الفجر، كادت أن تفتح باب الشقة لكنها توقفت حينما سمعت صوت تلك

المرأة العجوز جارتها تقول وهي تمصمص شفتيها:

- والنبي أهلك ناس كُمل وميستهلوش اللي إنتي بتعمليه فيهم دة

استدارت تنظر لها بحنق وهي تقول بتحدي سافر:

- قدرهم بقى ياحاجة.. ولا هتعترضي على إرادة ربنا

وأتبعت كلماتها باقتراب هادئ أخاف العجوز، فهي رغم كل شئ عجوز ضعيفة الجسد ولا تضمن تصرفات تلك الشابة الطائشة، لكنها ظلت تنظر بوجه جامد لها حتى اقتربت ومدت يدها تربت على كتفها قائلة بتهكم:

- أنا بقول تروحي تصلي الفجر قبل ما يروح عليكي

- كتر خيرك

ودخلت وصفعت الباب بوجهها فتملك الغيظ من أسيل، فرجعت نحو شقتها بخطوات غاضبة، دخلت وصفعت الباب هي الأخرى

ألقت بحقيبتها أرضاً وخلعت حذاءها بعصبية وملامحها كانت هائجة

فهي أيضاً تمقت حياتها وتمقت بئر أسرارها

فليدعوها لحالها، أم أنهم لن ينتهوا عن مضايقتها إلا حينما تغادر الحياة لتتخلص منهم

جلست على الأريكة تبكي، ولم تجد من يمسح دموعها غيره هو

الذي قال بلطف:

- لا تبكي ياصغيرتي.. فأنا هنا

كادت أن تمسح دموعها بأناملها لكنه منعها مقترب منها بوجهه يمسحها هو بقبلاته الصغيرة على كل وجهها، فغرقت ببحره أكثر وانساب جسدها بين يديه كأن قبلاته تحمل مخدر

فنامت ملئ جفنيها كما هي على الأريكة

صوت رنين الهاتف جعلها تستيقظ وتدرك أنها نامت بملابسها على الأريكة

ردت على الهاتف وهي لازالت بنصف إدراكها:

- ألو

- مع حضرتك نسرين لطفي من شركة مايجكو للتصاميم المطورة

صمت فهي لم تدرك بعد من بالهاتف، فتابعت الفتاه:

- تم قبول حضرتك لتعينك بوظيفة مهندسة الديكو بالشركة وحضرتك هتشرفينا أول الأسبوع عشان توقعي العقد وتستلمي وظيفتك

الآن فقط أدركت ما يدور من حوار على الهاتف

لقد تم قبولها في الوظيفة

أي مجانين هؤلاء؟

أيعقل أن يقبلوها هي دوناً عن كل المتقدمين؟

- الو يافندم حضرتك معايا

انتبهت قائلة:

- أيوة معاكي

- تمام يافندم.. وألف مبروك لحضرتك

- أوكى

وأغلقت وهي لازالت تائه تفكر في الأمر، لكن تعبيرات وجهها تغيرت لتلمع ابتسامة فوق ثغرها

وعقلها يعيد إنعاش بقية أعضاءها لاستقبال الحياة من جديد

فها هي الفرصة قد واتتها لتنعم بالحياة من جديد كما سطّر لها ذلك الطبيب

*****

اليوم السهرة كانت مختلفة، كانت احتفال بقبولها في العمل حفل جهز له أخيها وزوجته ودعى والدته ومهند الصغير ونجمة الحفل أسيل

جو عائلي مبهج لم تحظى به منذ زمن، أو لم تحظى به من الأساس

فتلك الكلمة "مبهج" لا تأتي أبداً مع درية والدتها

ولكن اليوم قد أوصاها طارق كثيراً ألا تعكر بهجة أسيل تلك بأي كلمة قائلاً:

- أرجوكي ياماما

- حاضر ياطارق.. إنت بتتكلم كده كأني أنا سبب المشاكل كلها

- لا ياست الكل ولا مشاكل ولا حاجة.. خلاص بقى خلينا نسايسها وناخدها على هواها وأنا متفائل بخطوة الشغل دي جداً

قال كلماته وقبل كف والدته واتجهوا لتلك الطاولة بذلك المطعم الذي تحبه أسيل وقد وضعت عليها كعكة مزينة بالكريمة والألوان معبرة عن الاحتفال وسعادة تملئ عيون أسيل لم ترى نفسها بها من قبل

ليست السعادة من أجل العمل، فهي لازالت تعتبرها لعبة

لكن سعادة بجمعتها وسط أهلها

انتهى الحفل وودعتهم عائدة إلى وحدتها كعادتها، فقد فشلا طارق وإنجي باقناعها للعودة

إلى المنزل والعيش مع والدتها وأخيها الصغير، ولكنها أصرت على وحدتها فتركوها على راحتها

أما طارق فقد شعر بالرضا نوعاً ما داخله وهو يتوقع أن تصرفات أخته ستختلف بعد العمل، وسوف يعود هو الأخر من حيث جاء فقد تأخر كثيراً على عمله هناك

*****

كطفلة بأول يوم مدرسة سعيدة بملابسها الجديدة وحذاءها اللامع، كانت هي

ترتدي بذة كلاسيكية من اللون الوردي وتحتها بلوزة حريرية بيضاء قد ازدحم صدرها بقطع قماش متعرجة بنعومة وحذاء أبيض بكعب رفيع

عالي ورفعت شعرها في كبرياء تاركة لأطرافه حرية التحرك بين كتفيها، ولمساتها الخاصة من مساحيق التبرج لتطفئ بوجهها تلك اللمحات الطفولية به، فهي لازالت ترغب بالمحافظة على غموضها، ولمحة جرأة الأنوثة بطلتها

بوجه هادئ مفعم بالثقة ألقت أخر نظرة لها بالمرآة ونزلت من المنزل، وكالعادة لن تستقل سيارتها واستقلت سيارة أجرة

جميل أن يبدأ العمل الساعة الرابعة عصراً وينتهي في العاشرة مساءاً، فهي تمقت الاستيقاظ مبكراً، ولن يضيع هذا العمل أي سهرة من سهراتها، أو هكذا ظنت

دخلت إلى العمل في الموعد المحدد بالظبط، استقبلتها تلك السيدة مديرة مكتب صاحب الشركة أو بالأحرى نجله الأستاذ مالك التوهامي

وهذا ماعلمته منها، ووجهتها إلى مكتبها الذي وقع بغرفة بها مكتبين أخرين يقبع خلفهما شاب وفتاة، قامت نسرين بتقديمها لهما قائلة:

- الأنسة أسيل حسن الديزينر الجديدة

لم تعلم بعد طبيعة العمل لكن واضح أن البداية لطيفة

تقدم الشاب معرفاً نفسه:

- أهلاً بيكي أنا هيثم مدكور.. ودي سماح الزيات

قالها وهو يشير للأخرى التي ابتسمت لها ابتسامة صفراء كتحية منها لزميلتها الجديدة في العمل

جلست أسيل على مكتبها المرتب بنظام وعليه كل ما ستحتاجه للعمل من أوراق بيضاء وأقلام بأشكال وأحجام مختلفة وبعض الألوان الخشبية وقطاعات للورق وبعض الدبابيس وأيضاً حاسوب متنقل، كل شئ موجود هنا ينقصها فقط تلك المهام التي سوف تقوم بها، نظرت على جانبيها لتجد شريكاها في الغرفة قد غرق كل منهم بعمله وهي تشعر بالملل قبل أن تتعدي الخمس دقائق فقط منذ ولوجها إلى المكتب

سحبت ورقة بيضاء من أمامها وقلماً وبدأت ترسم، لم يكن في مخططها رسم شئ معين فقط

تركت قلمها يمشي على الورقة وينسج خطوطاً رفيعة مكوناً وجه امرأة لكن ملامحها كانت حادة قاسية بشعر كثيف وطويل ومتناثر في أرجاء الورقة ويعلو رأسها قرنان لشيطانة، فهي لم تكن ترسم امرأة عادية بل كانت ترسم شيطانة، كانت ملامحها متجهمة وهي تضع لمساتها الأخيرة على تلك الرسمة من لون أسود للقرون ولون أحمر قاني للشفاه كما تعشقه هي، نظرت لها بتمعن وداخلها يدرك أن تلك الشيطانة تشبها كثيراً، فقد رسمت نفسها كشيطانة، رفعت تلك الورقة أمام وجهها تتأملها ثم أنزلتها لتجده يقف أمامها يتابعها، وقبل أن تُدهش ملامحها قال بنظرة ثاقبة:

- جميل أوي الشغل دة

إنه يسخر منها، وهي قبلت التحدي، وردت بابتسامة باردة:

- بصراحة الشغل هنا عندكم ممتع جداً

- عظيم

ثم اقترب بيديه يستند بهما على مكتبها وعيناه تخترق وجهها التي مازالت ملامحه جامدة رغم قربه المفاجئ، وقال بصوت عالي موجهاً حديثه للجميع رغم نظراته التي لازالت مسلطة عليها هي فقط:

- اجتمااع

فقاما شريكاها في الغرفة استعداداً للذهاب لقاعة الاجتماعات فتلك أوامر المدير، أما هي لازالت

على حالتها، وهو استقام يشير لها خارج الغرفة قائلاً:

- عارفة فين مكان الاجتماع ولا تحبي أوصلك؟

يسخر منها لانها جديدة لا يعلم أنها تحفظ كل إنش بالمكان بعد جولتها بالشركة المرة السابقة، فقالت بأريحية مستفزة:

- اها.. عارفة

وقامت وأخذت حقيبتها وتوجهت تسبقه إلى الاجتماع، كان يسير خلفها يتابع خطواتها وشكلها من أعلى رأسها إلى إخمص قدمها، توجهوا إلى الغرفة جميعاً وجلس كل منهم بمقعد، وتوجه هو إلى هاتف وُضع على منضدة جانبية، ضغط زر واحد وقال بعدها:

- بلغي كل الناس إن فيه إجتماع دلوقتي هيبدأ بعد خمس دقايق

كان يجهز بعض الأوراق حينما قامت سماح مدعية مساعدته وقد اتسعت ابتسامتها ببلاهه وعيناها تفضحها أنها تحترق غراماً فيه، كتمت أسيل ضحكتها لمشاهدتها في تلك الحالة، وأيقنت لماذا استقبلتها ببرود فهي تكره وجود أي من النساء حوله، فهذا هو غرام الحمقاوات

في دقائق معدودة امتلئت الغرفة بالعاملين بالشركة جميعهم يحيِّن الأستاذ مالك ويتخذ كل منهم مكانه سوى تلك الحمقاء التي ظلت واقفة جانبه كأنها ظله أو حارسه الشخصي من أي هجوم نسائي مباغت، تغرقه بنظرات الهيام

المفضوحة للجميع وهو لم يلقي لها حتى نظرة عابرة

مسكينة ألم يكفيها الوقوع في فخ الحب حتى تغرق بظلمة من طرف واحد داخله بلا أمل للخروج

أخيراً وجه نظره ناحية تلك الهائمة ليشير لها بعينه أن تجلس، وبالفعل توجهت للجلوس بمقعد مجاور له وجلس هو الأخر ليبدأ الاجتماع

بدأ الحديث عن الكثير الذي تجهله ولا تفهم شئ فيه، أوامر وتعليمات وخطط ودراسات جدوى وعقلها بدأ يؤلمها فقررت أن تريحه من هذه الضوضاء العميقة، وقررت أن تعود لسابقتها وتلعب، ابتسمت وهي تنظر لتلك الهائمة التي

تتابع كل كلمة ونظرة وحركة من معشوقها بشغف، كأنها في صحراء قاحلة تنتظر هطول المطر منه بكلمة بهمسة أو حتى نظرة

نظرات عابرة على جميع الحضور كلهم أُناس عاديون لا جديد يحملونه

ونظرة أخرى على مصدر الإزعاج والمتحدث الوحيد تقريباً هنا، فهو متمكن من حديثه يجمع محتويات كل الأمور في جعبته رغم جهلها بما يتحدث عنه لكنه يبدو متمكن وهي تعترف بذلك

أخفت ابتسامتها حينما خطر ببالها غباءه في بعض الأحيان فيكفي أنه قد وافق على تعينها هنا

يبدو أحمق بالفعل

وهنا توجه هذا الأحمق بنظراته لتلك المثبتة نظراتها عليه منذ دقائق قائلاً:

- معايا يا أنسة أسيل؟

يال حماقتي فأنا بالفعل أنظر له بل أحدق بوجهه كتلك البلهاء معشوقته

ولكنها تداركت الموقف بسرعة واعتدلت في جلستها قائلة بثقة مصطنعة:

- أيوة طبعاً معاك

- عظيم

قالها بابتسامة وهو يعلم جيداً أنها كاذبة

وهي تراجع إجابته داخلها "عظيم" كلمة باردة كصاحبها، أيقصد بها الاهانة أم يقصد الاستهزاء؟

وانتهى الاجتماع ولم تصل لاجابة على سؤالها بعد، وانصرف الجميع وكادت هي أن تنصرف لكنها توقفت حينما قال:

- ثواني يا أنسة أسيل

فتوقفت هي وبلهائه أيضاً، فنظر لها قائلاً:

- روحي انتي ياسماح على مكتبك

فرحلت سماح، وأسيل توقن أن رأسها تشتعل ناراً الآن وسيصل دخانها للخارج بالتأكيد

انتبهت له حين تحدث قائلاً:

- اقعدي ثواني

جلست تنظر له وهو يبحث عن بعض الأوراق بأحد الأدراج وأخرج ورقة مرسوم بها مبنى وأشار على المبنى قائلاً:

- ده تصميم مبدأي لمول شركتنا هي المسئولة عن تصميمات الديكور للمبنى بالكامل من الداخل والخارج بجميع المحلات، أنا سلمت كل واحد شغله ولما يخلصه هياخد غيره بالتأكيد قودامنا وقت قليل للتسليم

وضع ورقة أخرى أمامها بها مساحة بعض المتاجر من الداخل واستطرد:

- قودامك مهلة تقدري تعمليلي فيها تصميم مبدئي لأي من المحلات دي.. تقدري تختاري اللي يناسبك

وأشار باصبعه موضحاً:

- دة محل ملابس.. ودة محل إكسيسريز للبنات.. ودة محل لعب أطفال

توقع اختيارها،لكنه جاء مخالف عندما أجابت:

- أوكى تمام هشتغل على تصميم محل لعب الأطفال

اتسعت ابتسامته وهو يرد:

- وأنا متوقع شغل جامد على إيديكي

وهنا دخل صديقه مرحباً، واعتذرت هي بعد أن أخذت الأوراق الخاصة بأول تصميم ستنفذه هنا

قال صديقه مصطفى وهو يحدق بمالك الذي كان يراجع بعض الأوراق في يده:

- أنا مش فاهم ياجدع انت جبت الثقة دي كلها منين؟

ضحك قبل أن يرد:

- يابني أنا ليا نظرة في الناس.. طب ايه رأيك ان البت دي هيخرج من تحت ايديها تصاميم تجنن وهبقى اوريهالك

- والله انت شكلك هتضيع الشركة وابوك هيتبرى منك

- اخرس ياكلب.. الحاج عمره ما يقدر يستغنى عن ابنه الغالي

- طبعا اومال اية ما انت الحيلة على تلت بنات

- انت جاي تأر ولا ايه ياله.. امشي من هنا يلا روح شوف شغلك لحسن أخلي أبويا يرفدك

- ترفد صاحبك يامالك! مجنون وتعملها

*****

أحياناً ما يكون انشغالك بشئ ما كحياة تمنحها بنفسك لنفسك

أن يولد أي شئ على يديك حتى ولو كان صغير كفيل بأن يبرز الابتسامة فوق شفتيك، ويستطيع أن ينشر السعادة بجميع أرجاء عقلك

وها هي تنظر بعيون راضية على مولودها الأول هنا بعد أن انتهت من إعداده

فقد عكفت عليه لساعات ولم تشعر بالوقت وهو يمر، والآن التصميم جاهز، نظرت إلى الساعة بيدها لتجدها العاشرة إلا بضع دقائق، لقد اقترب موعد مغادرة الجميع للعمل

- وليكن

قالتها بنفسها وهي تحمل تصميمها وتتوجه إلى مكتبه، ليرى ما أنجزته قبل رحيله، لم يكن يهمها رأيه هو شخصياً حتى ولو كان رب عملها، لكن ما يهمها هو وليدها الأول وتريد أن يراه كل من بالشركة فهي تشعر بثقة من لدية خبرة سنوات عدة في مجال الأعمال

كان صوته واضح هو ومصطفى من الخارج يتحدثان ويتضاحكان على شئ ما

يبدو أن ذلك المدير يعامل مرؤسيه بود

دقت على الباب ودخلت تحمل الورقة وتضعها أمامه بفخر دون أن تنطق، نظر مالك إليها باعجاب قائلاً:

- بالسرعة دي؟

ردت بنفس غرورها:

- ده بس تصميم مبدئي.. لو وافقت عليه هيبقى في شغل أعلى من كدة

ابتسم بجانب فمه لتحديها له وفتح الورقة وظل صامتاً لفترة يتفحصها، ومصطفى يكاد يموت غيظاً من تلك المتحزلقة التي لا خبرة لها في

العمل، وينتظر إجابة مالك التي ستقسمها نصفين بعد أن يرى ما قامت بتصميمه، فهو يعلم أنه تافه مثلها بالتأكيد

- ممتاز

قالها مالك بانبهار، حدق فيه مصطفى باستغراب، فناوله الأخر التصميم وهو يوجه حديثه لأسيل:

- كنت متخيل إن المكان هيبقى عبارة عن شخصيات كارتونية لطيفة وألوان مبهجة، لكن فجأتيني بفكرتك المجنونة لبيت الرعب وبوابة لدخول عالم الوحوش والألوان الغامقة.. حقيقي فكرة مميزة ومختلفة.. عجبتني

ابتسمت، لكنها نظرت شذراً للأخر حينما قال:

- ايه الهبل ده؟ احنا المفروض نعمل حاجة تشد الأطفال مش ترعبهم

قال مالك:

- بس التميز والاختلاف بجد يجننوا.. انتي دماغك مختلفة وده عاجبني

وضع مصطفى التصميم على المكتب وهو يقول:

- استحالة العميل يوافق على التصميم ده

- يبقى هو الخسران

قالتها ذات الكبرياء الشامخة

فنظر لها مصطفى وقال ساخراً:

- اه طبعاً هيخسر عدد كبير من الأطفال هيترعبوا ويخافوا يعدوا جنب المحل بتاعه أصلاً

- بالعكس.. الأطفال عندهم نزعة فضول لاتتوقعها.. الأطفال أشجع مننا بكتير في مواجهة مخاوفهم.. عندهم شغف كبير إنهم يدخلوا لأي عالم غريب عشان يكتشفوه.. وده اللي هيحصل معاهم لما يشوفوا المحل من بره

تحدثت بثقة أخرست مصطفى، وجعلت مالك يشير لها بابهامه أي مؤيد بشدة لما تقوله، ثم قال:

- تمام ياأنسة أسيل بكره إن شاء الله تبدأي شغل على التصميم دة ولو احتاجتي أي حاجة بلغيني

اتسعت إبتسامتها لهدفها الجديد بالحياة

الحياة التي بدأت التنفس للتو داخلها

*****

عادت إلى المنزل بعد أول أيام عملها

أغلقت هاتفها وبدلت ملابسها وألقت بنفسها على الفراش دون حتى أن تأكل

نامت بدون سكين، بدون ملك

فقط نامت

سكون وهدوء وصمت حتى الصباح

دون أي أحلام

فتحت عيناها وهي تشعر بألم في معدتها من كثرة الجوع

حكت رأسها بعد أن تمطأت وقامت من الفراش بكسل تبحث عن طعام

لا يوجد شئ مناسب غير ثمرة تفاح أخذتها وجذبت بيدها سكيناً صغيراً من على الرف أمامها

وبدأت تقطع الثمرة وقد تذكرت لتوها أنها نامت أمس بلا سكين أو جروح

انفرج فاها بشبه ابتسامة وهي تنظر لساقيها المليئة بأثار الجروح

وداخلها انتفخ بالأمل في حياتها الجديدة التي سوف تعالجها من ذلك الادمان

جلست على الأريكة وفتحت هاتفها ليقذفها بالعديد من الرسائل التي تجاهلتها وضغطت

على بعض الأرقام لتهاتف من سينقذ انهيار معدتها التي تتضرع جوعاً

وجلست تتابع تلك الرسائل وهي تنتظر عامل توصيل الطعام، العديد من الرسائل بعضهم من دارين وبقية الصحبة والغالبية طبعاً لنادر

لا يحتوا الكثير فقط يسألوا عن سبب إختفاءها ليلة أمس

كادت أن تهاتف دارين ثم تذكرت أن الوقت مبكراً فالساعة الآن العاشرة ودارين لا تصحو من النوم الآن، ابتسمت وهي مندهشة من استيقاظها هي في ذلك الوقت المبكر

أشعلت لفافة من التبغ تنفث دخانها وهي تعبث بجوالها حتى أتى منقذ معدتها بالطعام وجلست

تأكله بنهم وأخذت حماماً دافئاً وبدأت تستعد للذهاب للعمل وعقلها يتذكر مديرها الذي تتلبسه عدة شخصيات احداهما مازحة وأخرى ساخرة وأحياناً جامدة وغالباً جادة والبقية تظن أنها ستأتي

ضحكت بصوت حين تذكرت العاشقة الحمقاء سماح، فحالها يرثى له لكنها تظن أنها ربما تقدر أن تجعل ذلك المتغطرس مالك يشعر بها يوماً ما وتسمع نبأ زيجتهم قريباً

فهذا هو عشق الحمقاوات يبدأ بنظرة وينتهي بزواج

زواج يدمر كل ما ينبض داخلها بالحياة

رنين الهاتف أخرجها من ضحكاتها المشوهة برائحة الماضي، فردت قائلة:

- ألو

- إية يابنتي مختفية فين؟

- معلش يادارين رجعت من الشغل مقتولة تعب نمت محستش بنفسي غير الصبح

- طب وبعدين مش هنعرف نشوفك بقى عشان بقيتي مرأة عاملة

ضحكت قائلة:

- لا هحاول النهاردة أجي.. هديها سجاير ونيسكافية عشان دماغي تفوق وأعرف أجلكم

- أوكى تمام يامزة كلميني لما تكوني جاهزة وأنا هعدي عليكي.. وعلى فكرة المجنون بتاعك كان عايز يجيلك البيت

- وحياة أمه لو كان عملها كنت بعترت بكرامة أهله الأرض

ضحكت الأخرى ملئ فيها وهي ترد:

- عارفاكي مجنونة.. ما هو قلق منك ومرديش يعملها.. قال إية كان خايف عليكي عند أمه -

ضحكات غلفت كلماتها وهي ترد:

- أنا مش عارفة إنتي مصحباه ليه وإنتي مش طيقاه.. يابنتي فكك منه

- هفك بس كله بوقته.. سبيه بس لما يستوي

- تمام ياكبيرة

- طب يلا بقى عشان معطلاني أنا عندي شغل مش صايعة زيك

- ماشي ياست المهمة

أغلقت وهي تشعر بالسعادة، فهي تعمل ولديها هدف

أي لديها حياة لتحيا من أجلها

ومهما كانت المنغصات

ستحياها

*****

يوم جديد بالعمل تشعر فيه بأهميتها في المكان، فهي فرد ضمن منظومة متكاملة تعمل لأجل هدف معين

وهدفها هي الحياة

تعرفت أكثر على العاملين، فتلك السيدة مديرة مكتب الأستاذ مالك المدعوة بنسرين لطيفة وودوة وتشعر بالإرتياح في الحديث معها رغم أنها تكبرها بعشر سنوات لكن روحها تصغر عمرها كثيراً

تحدثت معها كثيراً وعلمت منها معلومات كثيرة عن الشركة

فرائد التوهامي هو والد مالك وهو مؤسس الشركة، كانت الشركة قديماً تعمل في الصباح لكن عندما تعب رائد من العمل وأراد أن يرتاح ويترك كل شئ تحت إدارة مالك ولده الوحيد، أصبحت مواعيد الشركة مختلفة ليصبح دوام

العمل مسائي، ضحكت نسرين وهي تخبرها أن مالك يكرة الإستيقاظ مبكراً

لكنه مجتهد ومتميز في عمله، ذكي جعل كل العاملين يحبونه بأقل من شهر وتضاعفت أعمال الشركة بشكل كبير على يده

- وزود كمان مهندسين عشان نلاحق على الشغل ودلوقتي إنتي منورانا ياجميل

ابتسمت أسيل على مجاملتها اللطيفة، ثم ردت عليها قائلة:

- مرسيي.. وأنا كمان مبسوطة بالشغل هنا - عظيم

كانت تلك الكلمة من مالك الذي خرج لتوه من مكتبه، ثم أتبعها ساخراً:

- الساعة عدت عشرة من نص ساعة..
هنقضيها رغي ومش هتروحوا

تفاجأت أسيل من جرأته، واستشاطت غيظاً لكنها فضلت ألا تهاجم وتنسحب بسلام

خرجت من الشركة إلى منزلها مسرعة لترتب حالها حتى تلحق بميعاد دارين التي أوجعت رأسها مكالمات هاتفية تأكد عليها فيها أنها ستمر عليها ويسهروا سوياً كعادتهم

أسيل أخرى الآن

شعر مستعار باللون الأزرق القصير صيحة من صيحات الموضة التي لن تتوقف عن الابتكار

طبقات من مستحضرات التجميل التي ختمتها بطلاء شفاه أسود مطابق لطلاء أظافرها، ولم تنسى وضع تلك الحلقة الصغيرة السوداء بطرف أنفها

وقميص من اللون الأبيض بلا أكمام وفتحة صدر فاضحة وسروالاً من خامة الجينز، وحذاء بكعب عالي بلون رمادي وحقيبة صغيرة أيضاً رمادية، ونزلت من منزلها لتركب جوار صديقتها إلى مكان سهرتهما المعتاد كل ليلة

*****

- وحشتيني يامزتي
- وإنت كمان يا نادر وحشتني مووت

كلمات العشق والهيام تلقيها هنا وهناك دون أن تشعر بها، فقط كلمات تسحر بها ضحاياها وتذيب قلوبهم وتعلق عقولهم بالأكثر

- ثواني هجيب حاجة من دارين وأرجعلك

قالتها له وهي تتوجه نحو دارين التي وضعت بفمها سيجارة محشوة وأشعلتها لها وهي تقول:

- إضربي دي هتفوقك

- ياريت دة أنا فاصلة خالص

- أدي اللي خدناه من الشغل.. ما كنا كويسين

لكزتها أسيل في ذراعا وهي تقول:

- طب سيبيني بقى مع الحشيشة لوحدي أضربها بمزاج وأجلكم

- تمام

وتركتها لتختلي أسيل بدخان سيجارتها تستنشق باستمتاع وتنفثه بهدوء مميت

ظلت هكذا للحظات حتى سمعت صوت تعرفه جيداً يأتي من خلفها ويقول بنبرة جامدة:

- مش كفاية ضرب كدة

** ** ** **

.. الفصل الخامس ..

زلزلها ما سمعته في ثواني وسألت نفسها

هل حقاً علق صوته بأذنها فسمعته هنا أيضاً أم أن تلك المادة التي تملئ صدرها بدخانها قد غيبت عقلها؟

قطعت شكها بنصف استدارة بجسدها وهي لازالت تجلس على المقعد لتتحقق مما سمعت، إنه هو فعلاً يقف أمامها يتفحص هيئتها وعيناه تخترق نظرتها الغير مصدقة

زاد من دهشتها عندما مد يده وسحب تلك اللفافة من فمها وبخفة ووضعها بين إصبعيه ثم إلى فمه يسحب نفساً باستمتاع ويبعثر دخانه فوق

وجهها وهي لازالت على حالتها، ثم قال بابتسامة مازحة:

- اللي يضرب لوحده يزور ولا اية؟

عقلها به ألف سؤال ولكنها نحتهم جانباً وتركت لغضبها التصرف، فهو لازال يسخر منها ويظن أن الفرصة واتته الآن

قالت بهدوء يكظم الكثير داخله:

- وانت هنا بقى من إمتى؟

تعالت ضحكاته، ثم سحب أخر نفس بلفافتها ودمر جزيئتها بالمرمدة في هدوء مستفز بعد أن جلس على المقعد جانبها، وأخيراً قال:

- أنا هنا من زمان

- وعشان كدة بقى عينتني عندك.. يعني كنت تعرفني؟

كلماتها كانت تحمل الإنفعال، فابتسم لذلك وهو يرد:

- أنا بكره الكدب

صمت وصمتت تنتظر إجابته، فتابع:

- بس ده ميمنعش إن شغلك رائع.. وخصوصاً الشيطانة اللي كانت حاطة روج أحمر

حملت كلماته الاخيرة نظرة ساخرة، ارتفع ضغط الدماء برأسها وهي لا تستطيع أن تجمع الأحداث ببعضها، حاولت الهدوء وهي ترد:

- شكلك مش هامك شركة الوالد وعايز تجيب الخساير لنفسك

- مالك عمره ما يخسر

استفزها بغروره لكن ذكاءه نجاه من شياطينها حين تابع:

- ومبيختارش غير اللي عارف إنهم هينجحوه

كادت أن ترد لكن نادر خبط على كتفها قائلاً :

- مش يلا بقى ولا إيه؟

فقامت وهي تنظر لمالك قائلة بنظرة تعنيها:

- سوري مش هقدر أكمل كلامي معاك أصله بيغير عليا مووت

أشار لها مالك بيده وهو يبادلها الابتسام قائلاً:

Have fun -

وجلس ككل ليلة يأتي فيها إلى هذا المكان على طاولة جانبية يرى كل من بالقاعة بوضوح ويحتسي ما يرغب من كل ما هو متاح بالمكان، ولا تخلو ليلته من مناوشات نسائية وقعت بسحر وسامته وهيئته الرزينة فيضاحك تلك ويجامل أخرى دون أية علاقات

ظلت هي طوال السهرة تنظر عليه تراقبه كما يفعل هو

ماذا يفعل هنا؟

كيف لم تراه مسبقاً؟

ومن يكون؟

وانتهت السهرة، وانقطعت حبال نظراتهم المتصلة خلالها رغم افتعالهما بالانشغال عن بعضهما

ورحلت إلى منزلها، ورغم تعبها لم تنم، فقد كان عقلها مشغول

به وبشخصه وبأمره وبكيفية التعامل معه سواء في العمل أو خارجه

ولأول مرة يكشفها أحد ويعرف وجهيها بالحياة، هدئت نفسها فهي لازالت تحمل من الوجوه الكثير فلا يهم هو وما يعرفه

الأهم أن لا تهتز أمامه وتظل أسيل الغامضة كما هي

وستريه اليوم بالعمل أنها لم تهتز ، ولم تتأثر

اليوم بالعمل !!

لقد أدركت أخيراً أنها يجب أن تنام ولو قليلاً، فدخلت في الفراش مسرعة ودفنت رأسها تحت الوسادة وأطفئت كل ما يدور بعقلها ونامت

*****

وقت ضيق يصحبه بعض التوتر والكثير من العثرات

فكأن كل شئ يقف ضدها حتى تلك العقارب التي تتحرك بنشاط غير معتاد حتى يمر الوقت بسرعة وهي لم تنتهي بعد من ارتداء ملابسها

أخيراً انتهت بتنورة مزركشة بألوان متعددة طويلة تخفي ساقيها يعلوها قميص قصير وضيق من اللون السكري وشعرها المتكسر

بدون تنظيم قد تبعثر بعفوية فوق كتفيها ولم تنسى لمستها من مستحضرات تجميل لا تقدر على مواجهة العالم دونها

وكالعادة استقلت سيارة أجرة تنقلها للعمل، وصلت وهي تشعر ببعض التوتر فكيف ستكون معاملة ذلك الغليظ مالك بعد مواجهته لها أمس

إن تطاول ساخراً عليها فلن تسكت وستكون النهاية

فليكن فهي لا تود أن تكون تحت ضغطه

*****

مواجهة أمس ووصول متأخر وختمها هو بوجوده بالغرفة حين ولوجها، كان يجلس أمام مكتب هيثم يراقب بعض الأوراق وحارسه

الشخصي بالطبع تقف جانبه بابتسامة ضاعفت حجم فيها، ابتسامة تحولت لنظرة غضب حينما رأتها تدخل في صمت وتقبع خلف مكتبها

وحينها هو ترك كل شئ وتوجه ببصره لها متسائلاً:

- اتأخرتي ليه؟

نبرته ليست ساخرة لكنها تشعر أن سؤاله نفسه مستفز، ردت بلامبالاه لا تنوي فيها الكذب:

- راحت عليا نومة

انفرج فاهه عن ابتسامة سمحت لأسنانه ببعض الضوء ثم قال بنبرة يعنيها:

- شكلك سهرتي امبارح

شعرت بتلميحه لكنها اكتفت بإماءة وأتبعتها بدفن وجهها ببعض الأوراق أمامها، دون هجوم دون مقاومة دون أي رد فعل

واستغربت هذا من نفسها فقد كانت لا تنوي السكوت، ورجحت سببه أنها ربما تحاول عدم الاحتكاك به حتى لا تخسر هدفها الجديد بالحياة

أما هو فشعر بالندم قليلاً لاحساسه بما حل بها جراء كلماته وأنهى عمله بالغرفة وغادر

ومر اليوم وهي لا تود أن تتحدث لأي شخص، تود أن ينتهي وقت العمل وتذهب لغرفتها وتسمح لدموعها بالهطول، لا لشئ سوى لأنها تحمل غصة داخل حلقها، وعقلها ينصحها بالهروب من تلك الحياة فيكفيها ما تمر به من

آلام وإنتقادات يومية ليختمها ذلك المالك بسخريته

خرجت من أفكارها على رنين ذلك الهاتف بالغرفة والذي وُضع على مكتب هيثم لم تسمع ماقاله إلا عندما وجه حديثه لها قائلاً:

- أسيل الأستاذ مالك طالبك في مكتبه

أخر شئ كانت تتمنى حدوثه، حديث أخر ساخر وهي المهترئة حالياً

- فليكن سألقي بوجهه إستقالتي وأرحل.. من يكون هو ليملك حياتي حتى لو كنت قد بدأت التنفس فقط على يده

قلبها كان يدق وعقلها يستجمع قوته ويرتب بعض الكلمات الحارقة التي ستخرس بها ذلك المغرور

دقت على الباب ودخلت دون أن تنتظر رده، نظر لها من خلف الحاسوب أمامه وقال:

- اقفلي الباب لو سمحتي

أغلقته وأغلق هو حاسوبه، جلست أمامه وهي تشعر بعد الارتياح، قال بابتسامة لطيفة:

- أنا هطلب قهوة.. أطلبلك إيه معايا؟

- لا شكراً مش عايزة حاجة

قال بنظرة لائمة:

- بترفضي ضيافتي ليكي في مكتبي

ردت بتوتر لا تعلم من أين جاءها ولما الآن أمامه:

- مش كدة.. خلاص اطلبلي نيسكافيه

قام باجراء مكالمة صغيرة يطلب فيها المشروبات، وعقلها مازال يحسب لماذا هي تشعر بالتوتر أمامه

أيعقل أن يكون لأنه مالك الشركة ويمكنه طردها من حياتها الجديدة؟

أم أن الموضوع متعلق بكونه أول من يعرف وجهيها المتناقضين؟

أم أنها تشعر بنظراته الثاقبة التي قد تكون كافية لاختراقها ومعرفة كل ما تخفيه؟

بدأ حديثة قائلاً:

- بصي يا أسيل أنا مبحبش الكدب وتقدري تقولي إني عمري ما كدبت

أومأت برأسها في صمت ينتظر بقية حديثه، فتابع:

- أنا كنت عارفك قبل ما تتقدمي للشغل في الشركة هنا.. باعتبار إن محدش في الديسكو ميعرفش مين أسيل.. وبصراحة لما جيتي رغم سوري يعني إنك مكونتيش أكفأ المتقدمين بس أنا حبيت المغامرة وعينتك، وبجد رفعتي راسي وشغلك هايل ومتوقع تتطور سريع في الشغل الفترة الجاية.. لانك موهوبة ودة لمسته في تصاميمك

أومأت بشبة ابتسامة وهي تنتظر بقية كلماته بلهفة، فتابع:

- أنا بس عايز أوضحلك إن كل واحد فينا حر في حياته الشخصية

هنا دخل العامل بعد أن استأذن ووضع المشروبات ورحل

- أنا مكنتش أقصد أي حاجة لما علقت على سهرك لما جيتي متأخر الصبح.. أنا كنت بهزر.. بس ده ميمنعش إنك متتأخريش تاني

قالها بحزم وابتسامة مشاكسة تداعب وجهه، فابتسمت هي الأخرى دون رد، فتابع هو :

- أنا مؤمن جداً بإن حريتي تقف عند حرية الأخرين.. طالما مش بضايق اللي حواليا يبقى

أنا حر أعمل اللي أنا عايزه.. وإنتي كمان حرة.. دي حياتك وإنتي حرة فيها ومش من حق أي حد إنه يتدخل فيها

كلمات مريحة ورأي أثلج قلبها، هي حرة تفعل ما تريد

إبتسم وهو يراها تفكر بكلماته، ومد يده بكوبها الساخن قائلاً:

- اشربي

بدأت تشرب فشاكسها قائلاً:

- بس الشعر الاسود أحلى عليكي من الأزرق

ابتسمت، فقال بوجه جاد:

- أنا مش كل يوم بسهر هناك.. بس بروح كتير.. لو إحتاجتي أي حاجة فأنا في الخدمة.. ولو إني عارف إنك مش بتحتاجي لحد وبتعرفي تتصرفي

قال جملته الأخيرة وهو يشير بإصبعه إلى حذاءها، فضحكت ثم قالت:

- إنت شفت ده كمان؟

- دي مصر كلها شافت يابنتي

فتناثرت الضحكات بينهما

بدت ضحكاتهما عالية كأصحاب في جلسة مرح وليس كمدير ومرؤسته

وذلك كان شخص جديد بداخله وقد اكتشفته للتو

فهو ودود ولطيف لدرجة لم تتخيلها من قبل

*****

عادت إلى منزلها وهي تشعر بالارتياح ومصالحة مع نفسها لم تمر بها من قبل، فهي تحب أسيل الجديدة المجتهدة في عملها وتحب أسيل المشاغبة التي تعشق السهر والمزاح، ويعجبها حالياً قدرتها على المزج بين الاثنان

رن هاتفها لتجده يضئ باسم نادر، أغلقت الهاتف ولم ترد وعقلها يعلن نهايته فقد اكتفت منه ومنهم كلهم ولا ترغب سوى في القليل من اللعب جانب عملها بعد أن بدأت تلمس نجاحها فيه

لم يخلو عقلها من التفكير في مالك

هذا الرجل المختلف

فهو لا يشبة أصحابها الذين يلهثون وراء النساء ويهون الخداع

ولا يشبة أهلها في جمودهم وانتقادهم الدائم لها

فهو خليط مميز ومختلف

وهي تشعر بالارتياح بالتعامل معه

وهذا ما تستغربه من نفسها

فهي لم تعد ترتاح مع أحد سوى وحدتها وفراشها وملكها

ابتسمت باشتياق لمداعبته لخيالها

فعقلها مازال يحن لدنياه، وخلاياها تشتاق لرعشتها إثر لمسته

حنون مجنون يهوي المجون

رقيق شديد يرعد كثيراً بالوعيد

عاشق صاحق في شغفها غارق

فهو خليط مميز ومختلف

- هل يحيرك اختلافي؟

- لا سيدي.. أنا فقط يدهشني عشقي له

تعالت ضحكاته الوقورة، ثم رد:

- أنتِ تعشقين كل ما بي جاريتي

مغرور، وحتى غروره تعشقه

لمعة عينيها كانت تنادي لمسته، ارتعاشة شفتيها كانت تناجي شفاه، كل ما فيها يرغبه وهو يعلم ذلك جيداً، لكنه يهوى المراوغة

أطال النظر بعينها، وترك أنامله تداعب خصلات شعرها، واقترب ببطئ يهمس أمام شفتيها، وهي الذائبة بين يديه تنتظر بشغف قبلته:

- بس الشعر الاسود أحلى عليكي من الأزرق

أبعدت وجهها تحدق فيه بعينيها لتجده مالك بابتسامته المعتادة وختم كلماته بغمزة من إحدى عينيه

قامت منتفضة من الفراش، فقد كان هو، قد كان مالك

قد كان ملكها الليلة مالك

قامت من الفراش وتوجهت إلى البراد تشرب ماء بارد وعقلها يتسأل لماذا رأته هو اليوم ملكها؟

ظلت تفكر كثيراً ثم اهتدت لإجابة، ربما يكون لأنه الوحيد الذي تفهمها وشعرت معه بالإرتياح، وربما لأنها كانت تفكر فيه قبل نومها لذلك رأته بحلمها ليس أكثر

- أيوة أكيد كده يعني

لوت شفتها، ثم دلفت إلى الفراش مرة أخرى ودفنت رأسها تحت الوسادة، وأخرست كل صوت داخلها وغطت مرة أخرى في النعاس

*****

يوم جديد في عالم الأحياء لأسيل، يوم جديد في العمل

همة ونشاط وحماس وأهداف بدأت بالإنبات داخلها لتصرخ بالحياة

وهي تقابل الجميع بابتسامة بشوشة، وهو بنظرة ممتنة، لا تعلم من أجل ماذا، ولكن يكفيها أنه مختلف في دنيا كل ما فيها قوالب زهدت من تشابهها

يوم عمل متعب كالعادة فمالك نشيط جداً ويملي عليهم الكثير من الأوامر والمهام التي يقوموا بها، وهكذا كانت جميع أيام العمل

أوامر ومهام ونقاشات وإجتماعات مع القليل من المزاح فهو مرح ويضفي جواً من الفرح على الجميع

وهكذا كانت السهرات كل ليلة، أسيل تشرب وترقص وتتغنج وتلقي بنظراتها عليه وهي تعلم أنه يتابع، وشعور بالطمئنينة يكبر داخلها

وكأنه حارسها الشخصي، أبوها الذي يتركها تلهو وتمرح ويظل دائماً جانبها ليحميها

لا تعلم عنه الكثير أو بالأحرى لا تعلم من هو، لكنها تشعر بالسعادة وهو هنا بالمكان معها، وهو فقط يتابع ويبتسم من بعيد لتلك الطفلة التي لا يراها غيره، فهو غير تلك الوحوش التي تسعى للإفتراس، هو فقط يهوى الاستمتاع بوقته

في متابعة تلك المجنونة المشاغبة التي جذبته بعفويتها وابتسامتها التي لازالت تحمل البراءة رغم كل محاولاتها لإخفاءها

دخلت إلى المكان ككل ليلة كعادتها، وكعادتها أيضاً عند ولوجها تتوجه بنظرها إلى ذلك الركن الذي يجلس فيه دائماً مالك

لكن نظراتها تبدلت حينما لم تجده، وتذكرت حينما أخبرها أنه لا يأتي إلى هنا كل ليلة

شعرت ببعض الملل، فكيف ستكون سهرتها اليوم بدون عيناه، نفضت تلك الفكرة عن رأسها وقررت أن تقضي سهرتها كعادتها

- علي فكرة ياأسيل نادر زعلان جداً

كلمات قذفتها أحدى الفتيات في أذنها، لتنظر أسيل لها وتقول بلامبالاه:

- يتفلق

- لدرجادي يعني.. يابنتي إنتي عاملة كدة لية.. ده ألف واحدة تتمناه

ابتسمت بجانب فمها وهي ترد:

- والله؟ طيب ما يروح بقى للألف واحدة دول.. ولا أقولك ما تصاحبيه إنتي ياأمنية

تطاير الشرر من عين الفتاة لترد بغضب:

- ليه هو إنتي فاكراني هلم وراكي ولا إيه ياعرة

دعست أسيل سيجارتها في المرمدة وهي ترد بهدوء:

- تؤ تؤ تؤ.. وليه الغلط بس ياأمنية.. ما إنتي عارفاني مش بيهمني حد ولا حتى الدرفة بتاعك اللي ماشي عمال يزن في ودنك عشان أرجعله

- نادر ده برقبتك.. وأنا غلطانة أصلاً إني جيت أتكلم مع واحدة زيك

وتركتها ورحلت وتوجهت بعدها دارين لأسيل متسألة:

- هو في اية؟

- فكك دي عالم خنيقة

- بصراحة ياأسيل الواد نادر عينه بتطق شرار من وقت ما جينا مش قادر يستوعب إنك سيبتيه

- بقولك إيه اتكتمي بقى ما تفوقنيش بلا نادر بلازفت

ردت الأخرى بامتعاص:

- بقى كدة.. طيب أنا بس كنت بنصحك

أشارت لها أسيل بيدها وهي تغادر، إشاره تعني أن تصحبكي السلامة وظلت تشرب باستمتاع في سيجارتها وتنظر بعينيها من حين لأخر على مكان جلوس مالك بهذا المكان والملل يتفاقم داخلها كلما وجدته فارغاً، وهي لا تشعر بالأحاديث التي تدور حولها وعقلها فقط يفكر به

تريد أن تتوه وتغيب حتى تكف عن التفكير به

فجأة شعرت بالغضب من نفسها، فمن هو ليكون شاغل لعقلها بهذه الطريقة فلتنساه وتنسى أمر

غيابه، فليأتي أو يذهب بلا عودة، فسحقاً له ولبني جنسه

وتجرعت ما تبقى بكأسها، وحينها ناولتها دارين غيره وهي تتابع تجرعها له دفعة واحدة وهي تومئ بعينها لذلك الذي يقف منتظراً إشارتها من على بُعد

وأسيل تغيب وتغيب وتنفك خلايا عقلها فيفقد كل شئ حوله وتنساب أطرافها فيسقط الكأس بيدها وتُغتال الرؤية فتصبح مشوشة بلون أزرق قاتم كلما يميل للسواد حتى يظلم كل شئ ويبقى صوت دارين في أذنيها:

- صاحبتك وصلت خلاص

وصوت ذكوري تعرفه:

- برافو عليكي يادارين.. هو دة الكلام

ويدين جامدتين تحملاها لتقف رغماً عنها، ورغم اختفاء مقاومتها، لكن عقلها يشعر بالخطر، وفجأة انطفئ حتى الصوت بأذنيها وتوقف عقلها عن العمل

وصمـــــــــــت

*****

رائحة عطر رجولي معتادة بالنسبة لأنفها وفراش بوسائد هشة تجعلها تغطس داخله، ضوء بسيط يداعب جفونها المقفلة وصوت حذاء يتحرك على أرض المكان جوارها، فجأة تنبه عقلها لما يحدث حولها، فهي ليست بمنزلها، ومن هنا معها بالمكان؟

قررت أن تقطع شكوكها، فتوازت حركة جفونها لتفتح عيناها مع شعورها بجلوسه جانبها على الفراش، لتقول بعد برهة من الدهشة:

- مالك

** ** ** **

.. الفصل السادس ..

أعجبته تلك اللعبة التي يتسلى بها كل ليلة، تلك المشاكسة ترقص وتلهو وهي معلقة نظراتها عليه، ولأنه عاشق للهو اختار الليلة زاوية أخرى بالمكان ليجلس فيها بعيداً عن نظراتها، وترك كل ما به يستمتع برؤيتها تنتظره وتنتظره ولا تمل

تنفرج شفاه عن ابتسامة كلما رأى رأسها تستدير لتنظر نحو ركنه المفضل بالمكان والحزن يملئ وجهها لافتقاده

فهي امرأة رغم كل مكابرتها

وهو لا يعلم لما يراوغها، ربما لأنه يستمتع بذلك أو ربما لأنه يشعر بالمسئولية تجاها كما يفعل مع كل أصدقاءه

ولإنها متهورة في تصرفاتها أصبح يخاف أكثر عليها

طفلة بريئة ومتهورة في غابة مليئة بالذئاب

وها هو يراها تشرب الكأس وراء الأخر بغفلة دون أن تدرك ما فيه، وما هو شك فيه عندما رأى رأسها تترنح ويدها تنزلق من على الطاولة ليسقط الكأس بيدها على الأرض متهشماً، وأخرى تقف أمامها تشاهدها في برود مريب وتبعث بإشارة لأخر فيأتي مسرعاً نحوهما، فلم يقدر على المتابعة في صمت أكتر من ذلك،

دفعه شكه في الأمر للنهوض مسرعاً والتوجه نحوهم، وجد نادر كاد أن يحملها، لكنه أوقفه قائلاً:

- هو إية اللي حصلها؟

- سكرانة وهوصلها فيه حاجة؟

كانت تلك الكلمات من ذلك النادر بوجه يحمل بعض أجزاء من غضب، فنظر مالك لدارين قائلاً:

- سكرانة برده ولا حطتلها حاجة تانية في الكاس

توترت دارين كثيراً وظهر على وجهها فقالت بنبرة حاولت أن تكون جامدة:

- هحطلها إية يعني.. وبعدين إنت مين؟ وإنت مالك أصلاً

كان عقله يفكر بسرعة ويحسبها بدقه، فلو دخل تلك المعركة فسيكون خاسر بالتأكيد بجسده المتواضع أمام ذلك البالون المنتفخ بالعضلات، فحك ذقنه، ثم قال:

- أنا قريبها.. ولازم أتصل بالبوليس عشان نعرف هي أخدت إية عمل فيها كدة

- لا بوليس إية

قالتها دارين بتوتر وبدأت تهمس في أذن نادر:

- سيبهاله أنا كده هروح في داهية

فقال نادر بحنق:

- وإنت بقي تقربلها إية؟

- ابن خالتها

قالها بابتسامة وهو يقر أنه يكذب لأجلها ويعلم أنها فقط البداية، فقد عهد على نفسه حماية تلك المجنونة الهوجاء ولا يعلم أين ستودي به تصرفاتها الطائشة؟

كذبة تلقاها نادر بصدر رحب وهو يشك في مصداقيتها، ورغم أنه كان يود أن يضربه ويتخلص من تدخله وينتهي الأمر لكنه إستجاب لإشارة صاحب المكان الذي وقف يتابع مايحدث من بعيد

إشارة فحواها "لا تفتعل المشاكل"

ولإنه يود الحفاظ على وجوده بالمكان تراجع عن تفكيره هذا ووقف يشاهد مالك وهو يسند أسيل لتقف ويسحبها معه خارجاً من هذا المكان حيث أنه لم يعطيه فرصة للرد، فقط أخذها ورحل

ألقاها على أريكة سيارته الخلفية وقادها إلى منزله، وصل وحملها مرة أخرى إلى المصعد، ثم إلى شقته وإلى فراشه وجلس جانبها يحاول أن يعدل من فقرات عموده الفقري ونظر لملامحها الهادئة الناعسة وخصلات شعرها المتبعثرة بجنون على وسادته

فجأة تذكر شئ هام، فنزل إلى سيارته يبحث عن حقيبتها، فتذكر أنه لم يأخذها معه عندما رحل بها من ذلك المكان ولن يستطيع استخدام

هاتفها ليطمئن أهلها عليها، فرجع إليها ببعض اليأس، جلس على طرف الفراش لامس بكفه جبهتها فوجدها طبيعية، تنهد وهو يتابع تنفسها الذي بدى منتظماً، فقام وخلع عنها حذاءها ودثرها بالغطاء وأغلق الضوء بالغرفة وأوصد بابها عليها وتركها تتعافى من تلك الجرعة المخدرة

المنزل خالي من الأشخاص فهو يعيش بهذا البيت لحاله، فقد قرر أن يقطن بمنزل بمفرده بعد أن تزوج والده بأخرى بعد وفاة والدته، زيجة لم تضف لحياة مالك الكثير لكنها أضافت لحياة والده البهجة والشباب

- مين اللي ميحبش فاطمة

كلمة أبيه المعتادة التي يقصد بها زوجته الحنونة، ويتلقاها دائماً مالك بوجه باسم وهو ينحي غصة داخله بذكرى والدته

- وأه من فاطمة.. وألف أه على خسارتك ياأمي

لا يلوم على أبيه لكن قلبه لم ولن ينساها مثله، وكل ما يهمه أنه سعيد معها وأنها تعامل أخته الصغرى بود ولا تضايقها ولو فكرت لكان مالك محاها من على وجه الأرض، فلا أحد يجرأ على التفكير بايذاء ما يخصه فما بالك بأخته الصغيرة ومدللته القصيرة كما يلقبها دائماً بـ "أوزعة"

وحمد الله كثيراً أن أختاه الكبرتان كل منهما تعيش بمنزلها بعيداً عن زوجة أبيه وإلا لم تكن ستنجو منهما بالتأكيد، ابتسم وهو يتذكر خططهما التي بائت بالفشل في محاولات لمنع والدهم من الزواج، لكن الآن أصبح الأمر مستقر وكلٌ منهم سعيد في حياته

والأهم أن والده لا يرفض له طلب، فهو الحيلة وابنه الغالي والأهم أنه ذراعه اليمين وعكازه الذي يستند عليه، فرغم كل تصرفاته وأفكاره الطائشة فهو بحق خير سند لوالده وأخوته

وهو سعيد بحياته ووحدته

لا يوجد بمنزله هذا سوى غرفة نوم واحدة، فخلع قميصه وحذاءه وقرر أن يكمل ليلته على الأريكة حتى ميعاد العمل

لم يمر الكثير من الوقت حتى شعر بضوء الشمس يسطع بعينيه إثر ذلك الشباك الكبير أمامه الذي فُتح للتو، حاول فتح عينيه فرأها تقف أمام الشباك بعد أن قامت بفتحه، ثم نظرت نحوه بدهشة، وقالت بعد أن وضعت يدها على صدرها:

- ياحوستي.. إنت نايم هنا ياأستاذ مالك

رد وهو يغمض عينيه مرة أخرى:

- اه إقفلي الشباك ياأم صفاء واطلعي برة

قالت وهي تغلقه:

- يوه أومال أنا جاية ليه!! وإنت مش نايم في أوضتك ليه؟

رد وهو لازال مغمض العينين:

- ادخلي نضفي في المضبخ واقفلي على نفسك.. مش عايز أسمع صوت

صوت قرقعة نعلها على الأرض نبهه لرحيلها، لكنه انتبه فجأة وقام برأسه يكمل أمراً:

- متفتحيش أوضتي.. فيها ضيوف

لوت شفتيها وهي تتوجه إلى المظبخ وأغلقت الباب على نفسها كما أمر وبدأت دورة تنظيفها اليومية وعقلها يفكر بهؤلاء الضيوف الذين يقطنون غرفته، فقد تعودت كل يوم أن تأتي إلى شقته وتفتح بذلك المفتاح الذي أعطاه هو لها

وتنظف كل أرجاء الشقة سوى غرفته لأنه يصحو بوقت متأخر وحين يصحو تحضر له وجبة الافطار وتكمل عملها بباقي المنزل وتجهز وجبة للغذاء ليأكلها حين يعود من عمله وترحل

لكن اليوم قد حبسها داخل المطبخ وشغل عقلها الفضولي بأمر ضيوفه

صوت قرقعة الأواني بالمطبخ مزعج كثيراً وأريكته تلك قريبة من باب المطبخ

- سحقاً لا يوجد راحة اليوم

قالها بعقله وهو يفكر أن يقوم ويطردها ويخلص من إزعاجها، قام ونظر بساعته ليجدها الثانية عشر ظهراً

- منه له يا أم صفاء

قالها وهو يزفر ويرجع رأسه للوراء في محاولة لفقد وعيه بالخطأ، لكن هذا لم يحدث، فقرر أن يقوم وداخله ينوي أن يكيل لها لكمة تكومها أرضاً وينتهي هذا الإزعاج، ولكنه فتح باب المطبخ ووقف أمامها بوجه ناعس وعيون نصف مقفلة ونطق بكلمة واحدة ورحل:

- قهوة

دخل إلى الحمام في محاولة بائسة للإفاقة إحداها بالماء البارد والأخرى بصابون سائل يحمل رائحة النعناع المنعش

خرج من الحمام وعزم على التوجه لغرفته كي يطمئن على تلك النائمة

كل شئ مظبوط انتظام تنفسها وحرارتها طبيعية، بالتأكيد لازالت تحت تأثير المخدر، أخذ بعض الملابس من خزانته وأوصد باب الغرفة عليها مرة أخرى وتركها تنام بهدوء

جلس يحتسي قهوته أمام حاسوبه بعد أن بدل ملابسه

يعمل بكل نشاط وكأن ليلته كانت عادية بدون قلق، فهو قادر على أن يكمل يومه بشكل طبيعي حتى وإن لم يحظى بكفايته في النوم

مر الوقت وحان موعد ذهابه إلى العمل، أو ذهابهما للعمل

أغلق حاسوبه وتوجه مرة أخرى لغرفته

لازالت تغط في النعاس، جلس على طرف الفراش ولم يكد يمد يده ليتحسس جبهتها حتى فتحت هي عينيها وظلت مندهشة للحظة قبل أن تنطق باسمه:

- مالك

وابتسامه أزانت وجهه وهو يرد:

- حمد الله على السلامة

نظراتها كانت تدور بسرعة في المكان ونظرة أخرى على ملابسها المكتملة منذ أن خرجت من منزلها أمس، نظراتها جعلت ابتسامته تزيد وهو يقول:

- هتقدري تقومي ولا اية؟

حاولت النهوض في الفراش وهو ساعدها، نظرت بوجهه تحثه قائلة:

- هو إية اللي حصل؟ واحنا فين؟ دة بيتك؟

نظرة رضا بعثها لها وهو يشعر باطمئنان نبرتها رغم عدم معرفتها بشئ، فأجاب:

- قومي إغسلي وشك عشان تفوقي.. وتعالي هحكيلك كل حاجة واحنا بنفطر

استجابت لرغبته وداخلها استنتج أنها بمنزله والغريب أن هذا يشعرها بالأمان

تركت قطرات المياه تنزل على وجهها وهي تتذكر صوت دارين ونادر واتفاق للغدر بها ولا تذكر شئ أخر، ولكن ملابسها التي لازالت محكمة عليها ووجودها بمنزل مالك أراحاها

نظرة أخيرة بالمرأة ولازال وجهها يحتفظ ببعض أثار مساحيق التبرج، فالماء وحده غير قادر على محوها

وخرجت لتجده يجلس على طاولة الطعام بانتظارها، ابتسم وهو يدعوها للجلوس، وقبل أن تبدأ بالطعام قالت بإلحاح طفلة:

- مش هتقولي بقي اية اللي حصل

وقبل أن يرد دخلت أم صفاء لتضع بقية الأطباق أمامها، ثم مصمصت شفتيها قائلة:

- بالهنا والشفا

والنبرة تحمل عكس ذلك، نظرت أسيل لمالك متسألة بعينيها، فقال:

- دي أم صفاء.. بتيجي تشوف البيت محتاج ايه وتعمله.. متقلقيش أنا عايش هنا لوحدي

أومأت برأسها، وبنظرة طفولية قالت:

- طب يلا بقي احكيلي

فحكي.. وبكت.. وصرخت.. وهددت بالانتقام

فاحتوى بحضن وشبه كلمة:

- شششششششش

فاستجابت له ثورتها وهدأت قليلاً، فأرسلها قائلاً:

- اللي حصل دة حاجة متوقعة من الناس دول، اللي مش متوقع إنك تأمنلهم أصلاً

قالت من بين شهقاتها:

- دارين دي صاحبتي.. إزاي تعمل فيا كدة؟

مسح الدموع عن وجهها وهو يقول:

- غلطة.. صحوبيتك ليها غلطة وهتمسحيها من حياتك

جزت على أسنانها قائلة:

- بس أنا لازم أنتقم منها

- بس هبل.. اللي زي دي خسارة انك تفكري فيها أصلاً

نظر بحزم قائلاً:

- وبعدين بقى أنا كنت فاكرك أجمد من كدة

وتابع وهو يشير على مائدة الطعام التي يقفوا جانبها:

- ولا فطرتي وعمالة تعيطي.. في حد يعيط كدة ع الصبح؟

وابتسامته المشاكسة جعلتها تبتسم وسط دموعها

وتربيتة على كتفها أشعرتها بالأمان

وكلمات يغلفها الحنان رغم صرامتها الظاهرية:

- اتفضلي روحي اغسلي وشك ويلا عشان نفطر

واستجابت لأمره وذهبت تغسل وجهها وعادت لتجلس أمامه

واختلفت النظرة والخفقة والفكرة

فتسائلت:

- بس إنت ليه عملت كدة؟ ليه كان ممكن تدخل نفسك في مشاكل عشان تنقذني؟

والاجابة لم تكن كافية، بل لم تكن شئ

- إنتي هبلة يابت؟

وكأن الزمان اندثر وكأنهم صحبة منذ الصغر

فالضحكة صارت صافية

والكلمة باتت لا تحمل الكلفة

وأجمل ما يميز المشاعر أنها صادقة

.....

لم تذهب للعمل يومها، فقد أعطاها إجازة بعد أن أوصلها إلى منزلها وأحضر لها من يفتح باب شقتها ويقوم بتغير مفاتيحه بعد علمه أنها تقطن بمفردها وأوصاها بالراحة وعدم التفكير بشئ

وحاولت هي أن تنفذ وصيته بكل شئ، ماعدا أن تفكر

لم تكن تفكر في دارين وماحدث لها بالأمس

بل كانت تفكر فيه

هو...

هو يعطف

هو يحنو

هو يأمر

هو يتفهم

هو يضحك

هو يشاكس

هو يحتوي

وهي...

هي لا تعرف أين ستصل بمشاعرها

والإجابة لم تكن بأهمية تلك الابتسامة التي ملئت عينيها التي أغمضتهما وهي تستقبل لمسة الملك على جسدها

إحساس يأثرها، لمسته الرقيقة بأطراف أنامله تحملها لتطير فوق السحاب، وفجأة يتركها لتسقط وحدها مستقبلة ألم تلك العصا الرفيعة بيده وهي ترسم على جسدها خطوطاً من الألم

ألم ينتشلها من بئر ضياعها

فتحت عيناها لتراه أمامها كالساحر يمسك بعصاه السحرية وينشر بها تعويذته على أنحاء جسدها، فيكبلها بسحره تحت قدميه

لتصبح أسيرته عن طيب خاطر

ويصبح مليكها الوحيد والأمر الناهي

استدار يرمقها بسحر عينيه وهي مكبلة عند موقع قدميه، وقال بتعالي وبوجه باتت تعشق تفاصيله:

- قدمي فروض الطاعة ياجارية

قالت بقلب يخفق وعينان لن تشبعا من رؤيته:

- ملكتك روحي ونفسي وقلبي وجسدي وعقلي مولاي وسيدي مالك

نظرته كانت مليئة بالشغف وهو ينحني ليلمس وجنتها قائلاً:

- قبلت ما ملكتيني إياه

.....

يقولون أن الأرواح تتقابل في الفضاء الشاسع

وفي عالم الأحلام لاحدود لمكان أو زمان

لم يكن حلمها شئ عابر بل كان حياة، عالم خيالي تخرج من بوتقة حياتها إليه، تنفث عما بداخلها وتحاول لمس مخاوفها

والآن أصبح جزء منه حقيقة

حقيقة بقلب ينبض وجسد حي أمامها

حقيقة تتحدث منذ نصف ساعة وهي لا تسمع شئ

حقيقة تخطط وتنظم لكل شئ وبدقة

حقيقة يبدو عليها الضجر وهي تصيح بوجهها:

- أنا مش قلتلك متفكريش في أي حاجة وتركزي في الأهم

وهو لا يعلم أنها لا تفكر بهم وبما حدث، هي بالفعل تركز في الأهم

والنبرة أصبحت أهدى:

- أنا عايزك تركزي في الشغل عشان تنسي اللي حصل

هو لا يصدق أنها لا تفكر بشئ مما كان، وقد هاله ما هي فيه

فترك مقعده الذي يقبع خلف المكتب وجلس أمامها، وإنحنى ليصبح قريب منها وقال بود:

- ما تحاوليش تبصي لورا.. اللي فات ده إرميه ورا ضهرك

وابتسامة علت ثغره وهو يتابع:

- أنا عايز أشوف شغل أسيل وتصميماتها اللي هتخلي الكل يتكلم عن كفائتها

أومأت وهي لازالت على وجومها، فتابع مازحاً:

- أيوة كدة اسمعي الكلام بدل ما أخصملك عشر أيام

وكأنها قد أفاقت من غرقها في بحر هيامه على مزحته تلك فردت:

- عشر أيام يامفتري

فتعالت ضحكته وهو يعود ليجلس خلف مكتبه، ثم قال:

- وعرفتي منين؟

- هو ايه دة؟

- إن أنا مفتري

فابتسمت ثم قالت مازحة وهي تأخذ أوراقها وترحل:

- ربنا ع الظالم والمفتري

وهربت قبل أن يطاوعها جسدها وتلقي بنفسها في حضنه وتقر:

- أعشقك

.....

الألوان تحمل معنى الأشياء، فكيف ستميز ما يحمله لك الكون بدون ألوان؟

فهناك ألوان زاهية تحمل السعادة وألوان قاتمة داكنة تحمل الحزن وأحياناً الغموض

وهناك لون العشق

وهل للعشق لون؟

أجل.. لون لا يراه سوى المحبين

لون يضيف لمحته على كل شئ حولهما، فيصبح كل ما يروه مصبوغاً بلون العشق

لا يستطيع أحد وصفه، فقط يجب أن تراه

وهي الآن تراه بكل شئ حولها

هي عاشقة ولأول مرة بحياتها ترى

" لون العشق "

لا تعلم أين ومتي ولماذا عشقته، ولا تسأل نفسها حتى

فقط تعشق وتغرق أكثر ببحر العشق

وهي مستمتعة بذلك

فجأة دخلت عليها سماح المكتب وهي هائمة في عشقها، تزفر بوجهها كعادتها في الفترة الأخيرة، فهي لم تعد تطيقها بسبب قربها من مالك، وباتت لا تخفي مشاعر كرهها لها أبداً

وهذا نبه أسيل لشئ هام، هل هي أيضاءاً يظهر عليها عشها لمالك أمام الجميع مثل تلك الخرقاء؟

هل ينظرون لها بشفقة ويتلامزون على نظراتها له؟

وبدأت تلوم نفسها، فكيف لها أن تقع في نفس غلطة سماح ولا تحاول أن تخفي لون العشق بعينيها؟ ولكن كل لوم تبخر حينما رن هاتف المكتب وقال هيثم بعد الرد عليه:

- أستاذ مالك طالبك في مكتبه ياأسيل

وزفرة أخرى ونظرة مليئة بالغيظ من سماح

ورغم كل شئ قامت لتذهب إليه

كانت تسير على الأرض بحذاء يطرق الأرض بكعبه وقلب يطرق قفصها الصدري بدقاته، وهي لا تعلم أيهما أعلى صدحاً، ولكن ما يهمها الآن أنها ستحظى بشحنة من صبغة العشق لعينيها في جلسة أمام وجهه

طرقت الباب ودخلت فأغلق حاسوبه وأشار لها أن تغلق الباب ففعلت وجلست أمامه، فضغط هو على زر أمامه وهو يسألها:

- نيسكافيه من غير سكر صح؟

أومأت برأسها وداخلها فرِح لتذكره شئ مما يخصها، وبدأ حديثه:

- عاملة اية؟ وبطلتي تفكير ولا لسة؟

أجابت:

- يعني

فهي تهوى اللعب، وهو لا يعلم أن هذا الموضوع اندثر وهي حتى لا تتذكره، فرد بوجه لائم:

- يعني اية يعني؟ احنا مش اتفقنا ياسولي؟

يدللها فيصيب قلبها بصرع من فرط سعادته، فاتسعت ابتسامتها وهي ترد بغنج تقصده:

- خلاص هحاول صدقني يامالك

- مفيش هحاول.. فيه هبطل أفكر

صارم في أمره، فأومأت موافقة فتابع ببعض الرفق:

- أنا مش عايز أي حاجة تأثر على حياتك وشغلك

ثم استطرد بابتسامة حنونة:

- عارف إنك كنتي متعودة تسهري كل يوم في الديسكو وبقالك أسبوع من يوم اللي حصل مروحتيش.. وده أكيد مأثر على نفسيتك

- لا ياسيدي فأنا أقضي أمتع السهرات كل ليلة تحت قدميك

قالتها بهيام داخلها، فتابع هو:

- لو تحبي احنا بنسهر كل شهر في شقتي.. يعني بعمل بارتي صغير وبنتجمع فيه كلنا

نظرتها كانت مستفهمة، فأوضح:

- البارتي بتكون مكافأة على التحقيق في نهاية كل شهر.. دي حاجة أنا بعملها عشان نقرب من بعض أكتر كعاملين في الشركة.. فلو تحبي تيجي تحضريها وتغيري جو

وعقلها يوقن أنها لازالت تغفل الكثير عنه،
وقلبها يصرخ بحب كل ما فيه
وأتت الإجابة بالموافقة

ووقفة مرة أخرى أمام المرآة لتطمئن على هيئتها التي ستذهب بها للسهر مع مصدر لون عشقها وملكها الحي مالك

فستان من اللون الأزرق طويل يظهر مفاتن جسدها البض، لمسة ناعمة بخصلات مسترسلة بانسيابية على ظهرها وحذاء بكعب عالي من اللون الأزرق وطبعا لم تنسى لمسة التبرج خاصتها

وقليل من الوقت وكانت تطرق باب شقته وهي تسمع صوت الموسيقى الهادئة وضجيج الأخرين بالمكان

فتحب الباب لتشرق الابتسامة على وجهه ويعلو صفيره مادحاً مظهرها، فابتسمت واحمرت وجنتيها بخجل لا تعلم كيف التبسها فجأة ومن أين جاء فقط ليظهر أمامه

وهو قد سلبها قلبها ليسكن بجوفه

وسلبها عقلها لتفكر به ليل نهار

وسلبها نظرها لتظل عيناها معلقة به طوال السهرة

سهرة كانت عادية، بل مملة لواحدة مثل أسيل

بعض المأكولات والمشروبات الكلاسيكية والمعتادة في مثل تلك المناسبات الرسمية

وجلسات نساء تضاحكن على أي حديث

ومناوشات من زملائهم الرجال

فهم صحبة يجمعهم الود، قائدها ومؤسسها هو

هو يذهب.. هو يأتي.. هو يضحك.. هو يحكي.. هو يصمت.. هو ينظر

وهي لازالت هائمة بوجهه، فابتسم، فانتبهت لما هي فيه، فتوترت، وبادلته الابتسام، وافتعلت الانشغال بلاشئ حتى تخفي لمعة عينها التي تضئ بعشقه

وانتهى الحفل وغادر الجميع، وكادت أن تغادر، فأوقفها قائلاً:

- استني هوصلك

وكانت فرصة لمدة اضافية للاستمتاع بعشقها

وفي الطريق كان الحديث بلون أخر غير رسمي، وهي عشقت حتى تفاصيل الحديث

- أنا عارف إنها سهرة مملة ومش زي السهرة بالديسكو.. بس أهو تغيير ولا اية؟

- لا كانت ظريفة مش مملة ولا حاجة

- لو تحبي في يوم أعدي عليكي ونروح الديسكو تغيري جو وتتبسطي.. بس بصراحة هخاف عليكي تروحي لوحدك تاني

قلبها يرقص طرباً لما تسمع، فسألت:

- ليه؟

- هو ايه ده اللي ليه؟

- ليه خايف عليا؟

- انتي تاني؟ يعني عايزاني مخفش ازاي يعني بعد اللي شفته؟

وأتبع كلماته ببعض البحث في سيارته وأخرج يده بحقيبتها الصغيرة التي تركتها في ذلك المكان، وقال وهو يمد يده بالحقيبة لها:

- أنا روحت جبتلك شنطتك من هناك

نظرت له بامتنان، فتابع:

- شوفي اللي جواها يمكن يكون ناقصها حاجة

ففتحتها ووجدت مفاتيحها وهاتفها التي أبدلتهم لاعتقادها أنها لن تحصل عليهم مرة أخرى،

وبعض مستحضرات التجميل وعلبة سجائرها التي مد يده هو وأخذها بجرأة وفتحها ينظر لما فيها ثم أطلق صافرة وهو يقول:

- يامجنونة.. إيه اللي انتي شيالله معاكي دة.. مش خايفة يتقبض عليكي

- لا

قالتها بعيون مشاغبة، فرد بمرواغة وهو يضعها بجيب سترته:

- الحاجات دي خطر عليكي.. ادهاني أنا أشلهالك

وأتبعها بغمزة من عينيه وابتسامة سحرتها وجعلتها حتى لا تسأل نفسها لماذا غير طريق العودة إلى منزلها

وظل يقود السيارة بها حتى استقر في منطقة صحراوية مظلمة لكن يبدو أنه يعلمها جيداً، لم تقلق وكأنها أصبحت تحفظه وأصبحت تعرف جيداً أنه مختلف

ابتسم لها وهو يخرج علبة سجائرها من حوذته وفتحها ليضع إحداهم بفمه وأشعلها ومد يده بها لها وهو يقول بغمزة:

- اضربي زي بتاعك برده

وأشعل لنفسه أخرى، وأخرى تلو أخرى وتعالت ضحكاتهم وحكايتهم عن أي شئ

- وإنت جيت هنا قبل كده كتير بقى؟

- كتيييير

صاحبتها الضحكات وهي ترد بهزيان:

- ايه المزز كتير أوي كده؟

ضحك كثيراً، ثم رد:

- لا بس الحشيش أكتر

كانت ضحكاتها ساخرة وقد بدأ كل ما فيها يستجيب لسجائرها الملغمة، صمتت قليلاً ثم قالت وسط ضحكاتها:

- على فكرة أنا حلمت بيك امبارح

استغرب قليلاً ما قالته وهو يحمل عقل لم يفقد السلطة عليه بعد رغم ما يشربه:

- حلمتي بيا بقى كنت بعمل إية؟

وكان يعني ما فهمته وهو يغمز لها بإحدى عينيه، فضحكت وهي ترد:

- يووووه ده أنا بحلم بيك كل يوم

وتعالت ضحكاتهما، وصمتت قليلاً تنظر أمامها، ثم نظرت له وكأن عقلها قد عاد لوعيه في لحظة وقالت:

- أنا بحبك

** ** ** **

.. الفصل السابع ..

- أنا بحبك

كلمتها أذهلته لفترة ثم انفرجت شفاه عن ابتسامة ساخرة ليقول:

- انتي اتسطلتي ولا اية؟

لم تهتم بمزحته وكررت بصدق ونظرة جادة:

- لا أنا فعلاً بحبك

ضيق ما بين حاجبيه وهو يرد:

- فعلاً؟

بدأت نار غيظها تشتعل داخلها مما جعلها تفوق قليلاً، واستدارت بجسدها تنظر له قائلة بشبة انفعال:

- انت بتتريأ؟

فشعر بغضبها ورفع كفيه أمامها وهو يقول مبرراً:

- لا لا لا والله ما بتريأ.. اهدي بس

- أنا هادية

قالتها بعصبية مضادة لكلمتها وهي تعتدل في جلستها لتنظر أمامها

نظرة جانبية منه على وجهها الغاضب وتنحنح بلطف وبدأ حديثه بهدوء واتزان:

- بس دة مش حب يا أسيل

استدارت تنظر له شذراً، فأكمل كأنه لا يراها:

- أيوة دة مش حب.. إنتي دلوقتي خارجة من قصة خيانة من صحابك سواء نادر أو دارين أو غيرها، وفجأة لقيتي قودامك البطل المنقذ اللي أنقذك من غدرهم فتهيألك إنك بتحبيني

صمتت تفكر فتابع:

I'm just your hero Aseel -

نظرتها باتت أهدى وهي ترد باستفزاز:

- خلصت؟

فرفع حاجبه دون أن يرد فاعتبرته رد وتابعت:

- أوكى.. بص يامالك أنا مش طفلة صغيرة عشان معرفش أفرق إذا كنت بحبك ولا لا.. ثم إن ده موضوع جوايا أنا وإنت مش هتعرف إللي جوايا وحاسة بيه أكتر مني

كان يود لو يصفعها على رأسها فيهشم وجهها بمقدمة سيارته، ولكنه رسم البرود على وجهه الصامت، فتابعت ما بدأته من حماقات:

- اتفضل لو سمحت روحني أنا تعبت وعايزة أنام

- أوكى

قالها وهو يكتم غيظه داخله من تلك الطفلة العنيدة، وأدار محرك السيارة ليعيدها إلى منزلها كما طلبت

وفي الطريق استندت برأسها على المقعد وأغمضت عينيها مفتعلة النعاس، وهو كان يلقي نظرة غيظ كل برهة على وجهها النائم في صمت حتى وصل وأوقف السيارة، ففتحت عيناها واعتدلت في جلستها وأمسكت حقيبتها وهمت بالمغادرة وهي تغمغم بامتعاص:

- شكراً

فأمسك بيدها قبل أن تغادر السيارة فالتفت تنظر له ولعينيه التي كانت تخترقها بثبات مخيف، فقال بصوت جامد:

- كلامنا لسة مخلصش.. وهنكمله بكرة

واختفى الغيظ والإنفعال والحماقات وأومأت بقلب ينتفض وعيون تخشى حتى نظرته،

وغادرت وظل هو يرمقها بعينيه حتى اختفت داخل البناية التي تقطن فيها، وأدار محرك سيارته وغادر وعقله بات مشغول بأمر حبها له

أما هي فدخلت إلى شقتها وألقت بجسدها على الأريكة فهي لازالت تشعر بالدوار إثر دخان لفائف تبغها

من المفترض أن يكون عقلها غائب وتشعر بالنعاس، لكن عقلها لازال متيقظ ينبض بجرح جديد

هي متيمة بعشق من لا يشعر بها

وقعت في بئر عذاب حب من طرف واحد

وزيلت هزيمتها باعتراف أخرق

لكن قلبها مازال يصرخ:

هو يحبني.. نظراته تقولها.. وتصرفاته تقرها لكن لسانه لم يقولها.. بل إنه لا يصدق حبها له

ماذا تفعل؟ لا شئ، فقد فعلت الكثير فقط عليها أن تنتظر وتستقبل جراء اعترافها في صمت

امتلئت عيناها بالدموع، فأصبحت لا ترى أمامها حاولت أن تقوم من مكانها ببطئ ثم توجهت إلى غرفتها وهناك بدلت ملابسها بوهن وارتمت على الفراش باكية وعقلها لا يرى أمامه سوى عيناه الجامدة بنظراته الثاقبة

ولأول مرة منذ فترة لا تعد بالقصيرة مدت يدها لذلك المخبأ التي كانت تظن أنها قادرة على الاستغناء عنه والعيش دون شهوته الشاذة

وأخرجت سكينها المعتاد ومدت قدميها الإثنان لتبدأ في جنونها فجروحها باتت أكثر وأعمق والنهاية كانت انهيار لجميع أجزاء جسدها وملائة ملطخة بالدماء ونعاس حتى ظهيرة اليوم التالي

*****

بريئة تصحبها الخطيئة

ضحية تتلبسها الذنوب

فلم يُبَرأ أحداً الذئب من دم ابن يعقوب

فرغم براءته كان سيط الغدر يسبقه

وقد كانت هي أول بريئة في كتاب المخطأين

أو ربما العاشرة لايهم

فهي أنثى تحركها العواطف

وهذا مبرر كافي لأخطاء عقلها

والدم كان هو أول مارأته عيناها عندما استيقظت من النوم، فخافت وارتعبت وكأنها لم تكن هي بالأمس ورأت السكين فخبأته مسرعة كأنه مارد تخشى رؤيته وصرخت وبكت وضمت ركبتيها إلى صدرها مرتعشة وانزوت في ركن من أرض الغرفة، ظلت هكذا لفترة لا تقدر على فتح عينيها ولا النظر لساقيها ولا لفراشها الذي شوه بدمائها

لا تعرف كم من الوقت مضى وهي على تلك الحالة حتى صدح هاتفها برنين أفزعها وجعلها تنتفض من داخلها ثم حاولت النهوض ووجهها

لازال بملامح مرتعدة ورؤيتها مشوشة من أثر الدموع وصدرها يعلو ويهبط من أثر تنفسها الحاد أمسكت الهاتف بيد مرتعشة حاولت التحديق به حتى رأت اسم المتصل، حاولت أن تهدأ قبل أن ترد فخرج صوتها مهزوز ومضطرب:

- ألو

- إتأخرتي ليه؟

تلعثمت وتوترت وفكرت فقالت:

- أنا أسفة مش هقدر أجي النهاردة

فشعر بالقلق فتسائل:

- إنتي كويسة؟ صوتك تعبان

حاولت أن تتماسك وهي ترد:

- أنا كويسة.. اطمن يامالك

- بس صوتك مش مريحني.. في إية؟

خرجت كلماته بحنان تحتاجه، حاولت أن تنحي تلك الغصة بحلقها ولكن دموعها غالبتها وهي ترد:

- مفيش حاجة

وشعر ببكاءها فقال بلهفة:

- خليكي عندك أنا جاي

فاجأها وأسقط قلبها أرضاً، فقالت:

- مالك أنا كويسة

فقال وهو يهم بمغادرة مكتبه:

- خلاص نص ساعة وأكون عندك

وأغلق الهاتف دون أن ينتظر الرد، فهرعت وهي لا تعلم من أين تبدأ وتلك النص ساعة سوف تكفي لأي شئ يجب عليها فعله قبل أن يأتي؟ ولكنها نحت مخاوفها جانباً وبدأت

وكانت البداية هي التخلص من تلك الملائة بالقاءها في سلة القمامة فهي تخشي رؤيتها من جديد فلن تستطيع حتى غسلها

وأتبعت ذلك بحمام سريع تنزع به عنها مخاوفها، وجففت جسدها وانحنت تربت على ساقيها بالمنشفة وهي تشعر بالشفقة على حالها

ثم دخلت إلى غرفتها مسرعة وارتدت فستان من خامة القطن باللون الأبيض طويل يخفي

ساقيها بلا أكمام وفتحة صدر ضيقة وطوقت خصرها بحزام يمتزج فيه ألوان قوس قزح بتناغم يكسر براءة اللون الأبيض للفستان

وتركت خصلات شعرها المبتلة والمتكسرة تنتشر حول كتفيها، ولمسات هامة من مساحيق التبرج تخفي بها وجهها فيكفيه ما رأى من حقائق تخفيها ويكفيه ما يعلم عن دواخلها

ورغم كل ما كان يشغلها وهلعها أن يطرق بابها قبل أن تنتهي، كان عقلها يصرخ بها

- ترك كل شئ وجاء إليكي عندما شعر بدموعك.. هو يحبك.. لا يفعل هذا سوى المحبين

وكان الحبيب يدق فسبقها قلبها لمقبض الباب ليصير ينبض في كفها وهي تفتح الباب، فملئت عينيها بطلته ونظرته القلقة احتوت كل شئ فيها وهو يقول:

- إنتي كويسة؟

أومأت برأسها وهي تفسح له المجال ليدخل، لم يعبر سوى بضع خطوات واستدار يقف في مواجهتها متسائلاً بصوت لائم:

- ليه كنتي بتعيطي ؟

والآن فقط تذكرت ما اعترفت به أمس وزاد ذلك الأمر من خجلها فقالت بنبرة ضعيفة تفصح عن حقيقة صاحبتها:

- ممكن مقولش؟

- أكيد

جاء رده بطريقة لطيفة أراحتها واقترب منها وهو يتابع:

- المهم إني مش عايزك تعيطي

صمتت وهي معلقة عيناها بنظراته الثاقبة، فتابع بحزم:

- مفهوم؟

ارتعشت من داخلها من نبرته وخمس حروف تكون كلمته، وجاء ردها برجفة من جفنيها وشبة إماءة من رأسها، فابتسم ثم أمسك بكفها يسحبها نحو باب شقتها قائلاً:

- طب يلا بقى أنا عازمك على الغدا

المفاجأة جعلتها توقفه فجأة لتقول بوجه ضاحك:

- استنى يامجنون أجيب شنطتي طيب

وقف ينظر لها ورفع حاجبه ينظر لها شذراً اصطنعه ووجه سبابته نحو رأسها كسلاح ناري وهو يزمجر مازحاً:

- هاتيها

فضحكت وهي تسحب كفها من يده وذهبت وأحضرت حقيبتها وتبعته في سعادة

*****

أحياناً نعشق الوهم ونهوي العيش فيه

يبعدنا عن الواقع .. حقيقة

لكنه أجمل وأمتع

دائماً يمنحنا السعادة الغير مشروطة

الفرحة التي لا تعقبها المصائب

الضحكة التي لا نتبعها بـ

"خير اللهم اجعله خير"

وهي عشقت الوهم بل أدمنته

وهماً بدأته بخيال ملك وختمته بقصة حب مالك

والبقية تأتي

عيناه

أناملـه

شفاه

بحة يحملها صوته

وتفاصيل أخرى

يحكي ويبتسم وهي هائمة بل غارقة، يتحدث عن تفاصيل كثيرة ويضاحكها دون أن يتحدث فيما حدث أمس أو يلمح حتى لما قالته، وكأن شيئاً لم يكن

لا تعلم هل يتجاهل شعورها أم يريد أن يغيظها أم ماذا؟

لكنها حسمت أمرها وسألته:

- إنت ليه بتعمل كدة؟

- بعمل إية؟

- ليه عامل نفسك ناسي اللي حصل امبارح

نظر بعينيها وتساءل بهدوء بعد أن أرجع ظهره للخلف ليستند بأريحية على مقعده في ذلك المطعم:

- هو إية اللي حصل امبارح؟

مستفز ويجعلها تستشيط غيظاً، فقالت وغيظها يظهر على ملامحها ولكنها حاولت أن تكون نبرتها هادئة:

- إنت ليه بتعاملني كأني طفلة صغيرة؟ أنا مبحبش الطريقة دي

ببرود أكثر:

- والله!! طب كويس إنك قولتيني عشان أعاملك كدة على طول

كادت أسنانها تتكسر وهي تضغطهما ببعض، وهو يتبع كلماته بإشعاله لفافة من التبغ يدخنها بهدوء يستفزها

شعرت بهزيمة النار بداخلها أمام برودة ثلوجه القطبية التي يتفنن في نسجها حوله وهو يشعل النار بكل ما فيها

أخيراً قررت الرضوخ، واختارت الخنوع، فقالت بضعف يحتل نبرتها رغماً عنها:

- أنا عارفة وإنت عارف إنك رخم.. بس بليز فهمني أنا هموت من الغيظ

لوت شفتيها بشكل طفولي جعله يبتسم وهو يقلدها قائلاً باستنكار:

- أنا رخم ياسولي؟

اتسعت ابتسامتها وهي تجيبه:

- جداااااا

فرفع حاجبه وقبل أن ينطق بحرف قالت برجاء:

- بليز

شعر بها فقرر الرفق بحالها والتحدث:

- أيوة أنا بالفعل متناسي اللي قولتيه امبارح.. وعشان أريحك خالص معتبر أصلاً إنه محصلش وإنك مقولتيش حاجة

كانت ملامحها تحمل خليط من المشاعر يغلب عليها الدهشة، فتابع هو:

- أنا مش عايزك تتسرعي في حكمك على أي حاجة.. لازم تفكري كويس لغاية متقدري تحددي مشاعرك صح

- برده تاني هتدخل جوايا وتقول دي مشاعر مش حقيقية!

رد بنبرة جامدة:

- خليني أكمل كلامي متقطعنيش

فابتلعت بقية كلماتها وصمتت لتسمعه وهو يتابع:

- إنتي دلوقتي خارجة من مشاكل كتير نادر ودارين وغيرهم.. إدي لقلبك بريك سيبيه يتعافي كويس الأول عشان يقدر يحدد مشاعره كويس

تضايقت قليلاً وظهر هذا على ملامحها فقالت:

- أولاً قلبي ملوش أي علاقة بموضوع نادر لأني مكنتش بحبه أصلاً.. ثانياً بقى وأخيراً أنا مطلبتش منك حاجة ولا حتى طلبت تبادلني شعور إنت مش حاسس بيه.. أنا بحبك ومتأكدة من دة وأعتقد إني حرة في شعوري وإنت مدخلتش جوايا عشان تقدر تحدد شعوري أكتر مني

صمت وهو يحبس الكثير من الغضب داخله، فتابعت هي بنفس النبرة المتعصبة:

- أنا تعبت وعايزة أروح.. ممكن نمشي؟

- أكيد

كلمة واحدة تحمل الكثير من اللوم رغم نظراته الجامدة مما أشعرها قليلاً بتأنيب الضمير، لكنها

نحته جانباً وأمسكت بحقيبتها وتوجهت أمامه إلى سيارته، وفي الطريق قالت بنبرة أهدى:

- ليه بتعمل معايا كدة؟ ليه بتعاملني كدة؟ ليه بتحط نفسك في مشاكل عشاني؟ ليه شايل همي؟ ليه مش عايزني أعيط؟ ليه؟

صمتت تحثه على الرد، واستطردت برجاء:

- بليز المرادي تجاوب ومتغيرش الموضوع

نظر لها وهو يعلم كل ما تشعر به جيداً، ثم رد:

- عشان دة الطبيعي

فاجأتها إجابته التي لم تكن تتوقع أن تكون كذلك ولكنها ظلت بنفس ملامحها، فتابع موضحاً:

- ده العادي لما أشوف واحدة محتاجة مساعدتي إني أساعدها.. لما أحس إنها في مشكلة مش ممكن أتأخر عن مساعدتها

- بس محدش أبداً ممكن يعمل كدة مع حد.. يعني دة مش العادي ولا حاجة

متسرعة ودائماً ما تندم بعد تلفظها بثواني، وها هي نبرتها ورجفة يديها ولمعة عينيها أفصحت عن تلك الغصة التي تحتل حلقها الآن

رد بهدوء وهو يعلم جيداً أنه يلمس بكل كلمة وتر بقلبها:

- مش ذنبي إن كل الناس مش بيهمهم غير مصلحتهم وبس ومحدش بقى بيفكر في غيره..

مش ذنبي إن محدش بيعتبر إن دة العادي.. أنا مقتنع إن دة العادي

ابتلعت ماء حلقها بصعوبة وهي تحارب الدموع بعينها حتى تصمد ولا تهطل أمامه، نظرت جانبها تفتعل النظر على السيارات التي تعبر من جانبهم وهي تستحلف عينها الصمود

وحينما شعرت أنها قررت الخيانة وفضحها أمامه، فنزلت داخل مقعدها أكثر وهي تتمنى أن يبتلعها داخله وتختفي من أمامه

فأمسك بكفها فأجفلت وهي تحاول أن تخفي وجهها بعيداً عن نظراته، لكن كل ما تحاول إخفاءه انهار أمام كلماته:

- هو أنا مش قولتلك مبحبش أشوفك بتعيطي

فنظرت له بوجنتيها اللامعتين وعيناها المليئة بالدموع تقول بعصبية:

- وده طبعاً عشان دة الطبيعي والعادي مش كدة؟

فرد بهدوء:

- لا عشان إنتي حمارة وغبية ومتسرعة

فاجأتها كلماته فظلت تنظر له بدهشة، فأوقق السيارة جانباً واستدار بجسده ينظر إليها وهو يقول بحنان يخترق قلبها دون هوادة:

- أنا خايف عليكي.. مش عايزك تتسرعي وتتعبي قلبك على الفاضي

لم تكن دموعها توقفت وهي ترد بنبرة حادة:

- قلتلك ملكش دعوة بيا.. وملكش دعوة بقلبي.. واتفضل روحني أنا تعبانة وعايزة أنام

صمت قليلاً يحاول كظم غيظه لكنه فشل جزئياً فخرج صوته هادئاً وهو يقول بحسم:

- مفيش مرواح

وأدار السيارة بسرعة وقادها وهي لا تعلم لأين يأخذها

وفي نفس البقعة من الصحراء التي كانا بها أمس وشهدت اعترافها الأخرق، توقف بسيارته وقال وهو يضع إحدى الإسطوانات بمشغل الصوت بجهازه:

- تعرفي أنا بحب المكان دة أد إية؟

وبدأ صوت الموسيقى الناعمة يتسرب إلى أذنيهما، في حين قالت هي وهي تتلفت بعينها بظلمة المكان حولها باستنكار:

- ودة بقى يتحب من أي ناحية؟

نظر لها وهو لا يفهم ما تقصده، فتابعت:

- أقصد يعني بتحب فيه إية ده كله ضلمة وسكون وخلاص

- ما هي دي أحلى حاجة

قالها وهو يضغط على زر أمامه لينقشع سقف سيارته من فوق رئوسهم وتفتح السيارة، وأتبع ذلك بضغطة أخرى ترجع ظهر مقعدها للوراء وضغطة أخيرة ترجع ظهر مقعده هو الأخر

ليظهر المنظر البديع أمامهما

سماء بزرقة ساحرة، صفاءها يشفي القلوب

ونقاط لامعة على استحياء تناثرت في زرقتها بتناغم لتضفي على القلب البهجة

- واااو

قالتها بهيام وهي غارقة في سحر تلك اللوحة الربانية أمامها

ابتسم وقد أمال وجهه قليلاً ينظر لملامحها الهائمة في إبداع الخالق، وابتسامة ظهرت على وجهه وهو يقول:

- عرفتي بقى أنا ليه بحب المكان دة.. ولية باجي المكان دة كتير

التفتت برأسها تومئ في إيجاب ثم عاودت النظر لذلك المشهد الذي سحرها

أما هو فقال وهو يشبع عينيه برؤية مكانه المفضل:

- أنا بعشق المنظر دة

وتابع وهو يشير بيده:

- النجوم دول بقوا صحابي.. ليا مع كل واحدة حكاية

نظرت له وهي تضحك ثم قالت:

- حتى النجوم معتقتهاش

تعالت ضحكاته، ثم قال بلحظة تأثر:

- كل ما بضايق باجي هنا بحس إن نفسي بتروق رغم أي حاجة تعباها

- عندك حق المنظر دة قادر على إنه يغير مود أي حد

- عظيم.. بقى في حد بينافسني في حب مكاني المفضل

قالها مازحاً، فضحكت ثم ردت:

- بصراحة يجنن يامالك

وتابعت وهي تنظر بعينيه رغم الظلام:

- كل حاجة معاك ليها شكل تاني.. حتى السما اللي بشوفها كل يوم عادي معاك شفتها بشكل مختلف

لم يستطع أن يحدد ما يجول داخله من مشاعر، ولكن كل ما اجتاح كيانه هو شعوره بصدق مشاعرها، فابتسم وهو يحتضن كفها داخل كفه

ورفعه إلى فمه يلثمه بقبلة ربما تكون لمحب لايعرف وابتسامة صادقة ونظرة تحمل بعض المشاعر الدافئة

** ** ** **

.. الفصل الثامن ..

وانتهت ليلتهما بين النجوم في سماء مشاعرهما المتبعثرة

فهي عاشقة حتى لصوت سكونه في ظلمة تلك الصحراء

وهو حائر بين مشاعر تنبت داخله لا يفهمها ولم يجد لتساؤلاته إجابة بين تلك النجوم اللامعة

والصمت كان ثالثهما

والمشاعر تطايرت للسماء

واختلطت وتجانست لتكتب أول سطور قصة عاشقان

ظلا صامتان إلا أن أوصلها لبيتها

ودعته بعيون تبغى المكوث جواره، وابتسامة تودع بها قلبها الذي بات ينبض بجوفه

ووعدها هو بلمسة كفه على يديها في مصافحة أن قلبها بأمان معه

والرحيل كان وهمي

مجرد أجساد تركت المكان وكل منهما ذهب بوجهته، لكن الأرواح ظلت متشابكة

هي هائمة تراه في كل شئ أمامها حتى سطح قدح الحليب خاصتها أضاء بصورته، ووسادة نام فوقها جانبها وحلماً تربع على عرش خضوعها فيه ملكاً متوجاً

وهو أغلق الضوء وجلس بمنتصف فراشه يتسائل داخله

مابه؟

لكنه لم يعثر على إجابة، أو ربما تجاهل ما وجده معانداً ذاته

والنهاية غفوة حتى موعد العمل

واليوم كان مشحون بالعمل والاجتماعات والحسابات والتصاميم وبعض النظرات الخاطفة من كليهما

هو يخشى أن يكون عاشق

وهي تخشى أن تكون بلهاء

- هو في اية؟

قالها مصطفى بخفوت بجانب أذن مالك، الذي انتبه له، ثم قال:

- هو اية دة اللي في اية؟

نظر له وهو يغمز بعينيه قائلاً:

- إيه الحكاية بينك وبين أسيل؟

رفع مالك حاجبه واعتدل ليرجع بظهره مستنداً على مكتبه، ثم قال:

- نعم!!

شعر مصطفى ببعض الإحراج ثم قال:

- أنا قصدي بس إني حاسس إن فيه حاجة زيادة عن كونكم مجرد زمايل في الشغل

عاود مالك النظر في الأوراق أمامه وهو يرد:

- اه فعلا احنا بقينا صحاب

- صحاب وبس؟

رفع عينه ينظر له قائلاً:

- اه صحاب وبس

استدار مصطفى ليجلس على المقعد أمامه، ثم قال:

- مالك انت بتحور مش كدة؟

- بحور؟!! مالك ميحورش يا له.. وهحور عليك ليه يعني خايف منك ؟

رد ببرود وبثقة:

- لا خايف من نفسك

نظر له مالك باندهاش، فتابع مؤكداً:

- ايوة خايف من نفسك يامالك.. خايف لقلبك يحبها رغم كل تحصيناتك له ضد الحب وكأن الموضوع بايديك

أمال رأسه مقترباً منه أكثر بوجهه وهو يتابع:

- كفاية سيطرة وديكتاتورية بقى.. الحاجات دي تعملها مع أي حد لكن قلبك مش هتقدر يامالك

أرجع مالك رأسه للخلف ينظر له ثم قال بهدوء منافي لما يحمله داخله:

- انت هتعملي فيها فيلسوف عشان قريتلك كتابين

- دي مش فلسفة دي حقيقة أنا شايفها بعيني.. انت بتحبها

- وشفتها ازاي ياخفيف إذا كان أنا نفسي مش شايفها

- لا دي أسرار المهنة بقى ومش هقولك

فقذفه مالك بعلبة الأقلام أمامه، ثم قال:

- أسرار مهنة إية يا له.. انت فاكر نفسك رسول الغرام

إنحنى برأسه يتفادي تلك العلبة وهو يضحك، ثم رد بصدق:

- لا.. بس عارف مالك لما بيحب.. وعارف كويس ليه مش راضي يعترف بحبه المرة دي حتى قودام نفسه

تغيرت ملامح وجهه قليلاً وهو يرد بمراوغة:

- مفيش أي حاجة من اللي في دماغك دي.. وياريت تفكك مني وتبطل تحلل في تصرفاتي

رد قبل أن يهم بالمغادرة:

- أوكى هفكني.. بس نصيحة متعاقبش نفسك على ذنب انت معملتوش يامالك

أومأ مالك برأسه وهو يمعن التفكير بكلماته وكل ما حدث مسبقاً يمر أمام عينه

حمراءه.. ضحكتها.. كلام الحب من بين شفتيها.. واحتياجها.. ودفئ رأسها بين ضلوع صدره.. وتعطشها لإحتواءه.. ونسيج الحب المتشابك بقوة بينهما.. ومقص غادر قطع النسيج.. واختفى كل شئ حتى احتياجها

ووحدة تنعت صورتها وهيئتها حتى بعد محاولتها للرجوع

وقرار بغلق كل أبواب القلب

وباتت النجوم رغم بعدها أقرب مافي الكون لقلبه

وأصبح يَملك قلوب الفتيات ولا يُمَلَّك قلبه لسواه

وألف سور وحدود وقفل أوصد به الطريق

وبات السبيل إلى قلبه مستحيل

إكرام يوسف

طرقات الباب نبهته لوجود من بالخارج، فقال:

- ادخل

فدخلت تلك التي يحيره أمرها وهي تمسك بعض الأوراق بيدها، وقالت بملامح حاولت أن تكون باردة:

- التصميمات المبدأية اللي طلبتها مني جاهزة.. ومحتاجة رأيك عشان أشوف هبدأ أشتغل في إية

أخذ الورق منها وأشار لها لتجلس أمامه وداخله عراك وعيناه مسلطة على أوراقها وعقله لا يرى ما بها، رفع وجه ينظر بوجهها، ثم قال:

- فيه خبر وحش للأسف

وصفعة على قلبها وعقلها وتخيلات لألف كلمة سيلقيها على مسامعها الآن فحواها " لن أحبك "

وتبعات اختلقها عقلها من هدر لكرامتها التي نستها وهي تعترف له بحمقات قلبها الأهوج

وتوقف عقلها لحظة سماعها لصوته يتابع:

- التصميم بتاع محل لعب الأطفال العميل رفضه

ونظرة تحمل بؤس العالم رغم التقاطها لأنفاسها، وقلب بدأ يتنفس الصعداء، وعقل يدخل في هدنة بعد أن أدرك أن الأمر هين

شعر هو بالحزن على حالها، فاستدار يجلس أمامها وهو يقول بحنان عبر كل الأسوار والحدود لأجلها:

- متزعليش.. التصميم أصلا عجبني.. هو الخسران.. مش إنتي قلتي كدة ؟

حاولت الابتسام فخرجت كلمتها بنصف ابتسامة:

- أيوة

بادلها الابتسام، وأمسك بكفها يقول:

- طيب خلاص يبقى هو المفروض اللي يزعل مش انتي

سحبت كفها من يده وأخذت أوراقها من على المكتب وقالت:

- مش مهم.. ومش مهم نراجع التصميمات دي دلوقتي

نظرت له بضعف متابعة:

- ينفع أرجع مكتبي؟

أومأ برأسه في إيجاب ووجهه يحمل الأسى وهو لا يعلم ما بها

غادرت مكتبه ورجعت إلى مكتبها وسمحت لتلك العبرة الحبيسة أن تنزل على وجهها ومسحتها سريعاً حتى لا يراها أحد وظلت هائماً تفكر في أمر قلبها، وعقلها يسألها:

هل حقاً تعلقت به لهذا الحد؟ وإن رفض حبها ماذا ستفعل؟ ولماذا اختارت أن يكون قرارها بيده؟

- غبية وهتفضلي طول عمرك غبية

قالتها داخل نفسها وهي تنعي قلباً دق له دون إرادة منها

- مالك ياأسيل؟

كان ذلك السؤال من نسرين التي دخلت إلى الغرفة وجلست أمام أسيل وهي لازالت هائمة حتى انتبهت إلى سؤالها، فقالت:

- عادي

وكانت تقاوم الدموع بشدة

- متأكدة؟

سؤال أخر من نسرين سمح لعبرة أخرى من أسيل أن تنزل، فمسحتها سريعاً وهي تأخذ حقيبتها وقامت لتقول:

- أنا همشي ولو حد سأل عليا قوليلهم استأذنت من الإدارة

وغادرت بسرعة وتركت الأخرى في دهشة من أمرها

رجعت إلى منزلها لتدفن في فراشها جرح أخر جديد من رجل أخر، رجل أوقع قلبها بين يديه وعقلها أسفل قدميه

لتصبح ملكه

والكارثة أنه لايريد

ولن يريد

وهنا انفجرت في البكاء وهي ترى مستقبل واهي وأشلاء كرامتها متبعثرة تحت سطوة قلبه القاسي

قامت لتقف أمام المرآة، ظلت تنظر إلى وجهها الملطخ بالدموع المختلطة بمساحيق تبرجها والنتيجة وجه قبيح لهيئة تكرهها ونفس تمقت كل صفاتها، حتى ضعفها له باتت تمقته

- اركعي

هكذا أمرها ملكها

رجعت للخلف خطوتان تبتعد عنه وعيناها تملأها الخوف

- نفذي الأمر ياجارية

كانت كلماته تشق سمعها كالسياط، لكنها لم تتحرك وظلت جامدة كما هي، فاقترب بهدوء مخيف، وملس على شعرها بنعومة غير متوقعة منه رغم عصيانها للأمر، فنظرت إلى ملامحه الهادئة، وقالت بحروف مرتعشة:

- أنا بحبك يامالك.. حاولت أبطل أحبك معرفتش

فضمها إلى صدره قليلاً فاستسلمت لرائحة عطره في هدوء لم يدم طويلاً عندما شعرت بقبضته تنقض على خصلات شعرها ليرجع رأسها إلى الخلف ويرعد أمام ملامحها الخائفة:

- الويل لمن تعصى أمري

وبنفس القبضة على شعرها طرحها أرضاً بعيداً عنه، فاستندت بكفيها على الأرض تنظر له فاقترب من مكانها وبركلة على صدرها بقدمه أسقط رأسها أرضاً، كادت أن تعتدل ولكنه لم يعطيها الفرصة حينما جثى جانبها ولوى زراعيها إلى الخلف وقيدهما بقيد من حديد، وقام يشاهدها وهي ملقاه على الأرض على بطنها ووجها يلامس أرض غرفته الباردة

حاولت أن ترفع رأسها تبحث بعينيها عنه فوجدته يقف أمامها بعيون جامدة وتنفسه الحاد تكاد تشعر بحرارته رغم بعده عنها

فجأة جثى أمام وجهها ورفعه بأنامله وبدأ يتأمل ملامحها في صمت، ثم نحى يده جانبه ليرجع بها بإحدى الشموع التي تناثرت في أرجاء غرفته الشاسعة، كانت عيناها تتأرجح بريبة بين يده التي تحمل الشمعة وتقترب من وجهها وعيناه التي لا تحمل أي شئ تفهمه

رائحة تلك الشمعة العطرة احتلت أنفها بشدة رغماً عنها ورغم تنفسها المتهتك

اقتربت أكثر فأكثر من وجهها حتى باتت تشعر بسخونة بشرتها إثر حرارتها

توقف فحدقت بعينيها تتسائل بضعف:

- ماذا ستفعل بها؟

والإجابة لم تكن كلمات بل كانت إمالة بسيطة لتلك الشمعة بيده ليتساقط ماءها الساخن أمام وجهها على الأرض

قطرات تبدو في شكل بديع ولا يعرف أحد ما تحمله من حريق

غير تلك المكبلة....

عندما قام ومد يده وترك شمعته تساقط ماءها الحارق على جسدها الممد على الأرض وهي تصرخ وتتلوى وتترجاه أن يرحمها

وعيونه لا ترحمها ولن تفعل

- فقط ارفق.. فقط ارحم

- من تفرط في قلبها لا تستحق الرحمة ياملعونة

- أنا لم أفرط فيه فقط وضعته بين يديك سيدي

- مخطأة

كانت عيناها تملئها الدموع وهي تنظر لبرودة عينيه

- مالك أنا تعبت

لم يرد، فقط تركها ورحل

وبقيت هي بمفردها تفترش الأرض وساقاها ممددة أمامها ملطخة بقطرات الشمع اللاسع وشمعة مشتعلة ترتعش بيدها، ودموع تغرق وجهها، وقلب يأن وعقل يهزي

وخطأ أخر أضافته لقائمة ذنوبها

*****

زفر بغضب وهو يضع هاتفه أمامه على المكتب حينما هاتفها وأتاه الرد بأن هاتفها مغلق

نظر إلى نسرين والقلق يملئ عينيه قائلاً:

- هي كانت تعبانة قبل ما تمشي؟

- معتقدش بس هي شكلها كانت بتعيط

ضم شفتيه وهو يوقن داخله ما تشعر به، وقلبه لا يقدر على البوح أنه يأن لأجلها

لأجل من سكنته في هدوء دون أن تزعج عقله بالأمر

فعقله غير مستعد لأمر كهذا الآن

أو ربما يسيطر عليه حتى لا يخضع لقلبه ويعترف بحبه لها

وربما لن يظل خاضعاً لسلطته طويلاً

- أنا تعبان وهروح.. الغي مواعيد النهاردة

وقفت نسرين تتابعه بدهشة وهو يجمع أشياءه ويرحل

ركب سيارته وقادها إلى ملجأه ومأواه

المكان الوحيد الذي يحفظ كل أسراره

تلك الصحراء التي تحتوي على ظلام العالم

وسماء لمعت فيها النجوم الليلة على استحياء

كأنها تعاتبه وتسأله عنها

عن تلك الوحيدة التي شاركته سره عن هذا المكان

فتح سقف سيارته وأرجع كرسيه للخلف وأشعل لفافة قد لفها هو بعنياه مسبقاً

أخذ نفساً عميقاً ونفث دخانه في الهواء ببطئ وهو يضع كف يده الأخرى خلف رأسه وترك عيناه تسبح في عالمه الخاص بين النجوم التي تجمعت في ظلام السماء لترسم ملامحها

وكأنها تخبره بما داخله ويخشى المصارحة به

هي داخله تحتل كل كيانه وتسيطر على تفكيره

هي من استطاعت بعفويتها وشقاوتها ونعومتها ورجفتها أن تفك حصار سيطرته على قلبه وتفرض سيطرتها هي

وتجعله يقر بقلبه وعقله

- حبيتها ياماالك.. حبيتها

وتنهيدة حارقة تحمل مرارة ما يخشى تكراره

عدل من وضعية مقعده وألقى ببقايا لفافته خارج السيارة وأدارها بسرعة، يلفح صدره هواء الطريق ويشعل جوفه بهواها

لم يكن يرى سواها أمامه، وقلبه يأن لما فعله بقلبها، وكل ما فيه يشتاق لها

يشتاق لقربها.. لرائحة عطرها.. لضحكتها.. لصوتها.....

هدأ قلبه قليلاً حينما أوقف السيارة أمام منزلها

لم يفكر كثيراً ترجل فوراً من سيارته وتوجه نحو البناية وصعد إلى شقتها

وقف أمام باب منزلها بشعره المبعثر إثر هواء الطريق وقميصه الذي فك بضع من أزراره وبقرار حاسم دق جرس الباب وانتظر

وفي الداخل كانت هي تمسد ساقيها بملطف كريمي لبشرتهما التي سقتها لهيب الشموع بلا رحمة، حركة يديها التي تعرف طريقها ذهاباً وإياباً فوق ساقيها وعينيها التي تجمدت على نقطة واحدة على أرض الغرفة

ظلت هكذا لوقت طويل حتى إن دموعها جفت، وهي ترى طاقتها الجديدة على الحياة تُغلق

لم يغير صوت جرس الباب من وضعها حتى عندما صدح مرة أخرى وأخرى وأخرى

زفر مالك بملل وأرجع رأسه للخلف يفكر أين تكون تلك التي خطفت قلبه من بين براثنه

كاد أن يرحل لولا أنه وجد رجل بهيئة بسيطة يسأله:

- حضرتك عايز الأنسة أسيل؟

رد وقد عرف بفراسته أنه حارس البناية:

- أيوة.. بس هي شكلها مش موجودة

قال الرجل وهو يقترب من الباب أكثر:

- لا حضرتك خبط تاني هي ساعات بتبقى نايمة ومبتفتحش

وهم بالطرق على الباب بنفسه، فقال مالك:

- بس أنا خبطت كتير لو كانت نايمة أكيد كانت صحيت يعني

رد وهو مستمر في الطرق:

- ياباشا أنا قعدت أخبط عليها أنا وأخوها يجي ربع ساعة لحد ما فتحت إسألني أنا

كان قد تسلل صوتهما إلى مسامع أسيل

تلك الجامدة التي ما إن سمعت صوت مالك حتى حدقت بعينيها نحو باب غرفتها المفتوح الذي يدخل من خلاله الصوت

فغطت ساقيها بسرعة بثوبها الطويل وذهبت مسرعة نحو الباب

فتحته لتتعلق عيناها به

وتعلق كل ما فيه بها

- مش قلت حضرتك إنها جوة

كانت ابتسامته تملئ وجهه وهو يقولها ويملئه الفخر، فنظر له مالك نظرة جامدة ثم قال:

- شكراً

ومعناها

- ارحل

فتنحنح واستأذن ورحل

فعاود مالك النظر إلى أسيل مرة أخرى التي لازالت متعلقة بنظراتها به

غلبتها الدموع لتملئ مقلتيها، ولمعت عيناها فضحتها وأثار البكاء على وجهها الآن باتت واضحة له، فتأثر وجهه لما يرى من ملامحها الباكية

وفتح ذراعيه لوطن لن يعمره غيرها

فارتمت هي به كأنه مغناطيس يجذبها دون إرادة منها

فاحتضنها هو بقوة يعتصرها بجوفه

لا يريد تهدئتها فقط بل يريد تهدئة قلبه من فرط اشتياقه لها

شعر بارتعاش خلجاتها الباكية في صمت، فقبل خصلات رأسها المنغرسة بصدره، وقال بحنان العالم:

- أنا كمان بحبك يامجنونة

فرفعت وجهها تنظر بوجه بعيون دامعة وهي لازالت بحضنه، فملس بيده على وجهها يمسح دموعها، ثم قال وهو يتأمل ملامحها:

- مش كنا فضلنا صحاب أحسن

فلكزته في صدره بقبضتها الصغيرة، فاعتصرها مرة أخرى بحضنه وهو ويضحك، ثم أضاف مازحاً:

- افتكري إني قلتلك بلاش

ليصبح حضن صاحب الليل والنجوم قدرها

** ** ** **

.. الفصل التاسع ..

للشوق لوعة تشبة لذوعة العسل

وهي تشتاق

وهو يشتاق

والصمت يحكي الكثير بينهما

ودقات قلبيهما تصف كل ما يشعرا به في صمت

لم تعلم كم مر من الوقت وهي ساكنة داخل حضنه تنهل من فيض عشقه

لمسات خفيفة من أنامله لخصلات شعرها نبهتها أنهما لازالا يقفا أمام باب شقتها منذ مجيئه، فرفعت رأسها تنظر بعينيه وهي لازالت تسكن حضنه، وقالت بصدق:

- اوعى تسيبني

وكأنه طوق نجاه يحميها من الغرق في بئر حياتها الضائعة

فأومأ برأسه وهو يرد:

- متخافيش أبداً من حاجة بعد كدة..وأنا مش هسيبك

فبات الأمان والحنان والطمئنينة والراحة يشكلوا ملامح وجهها، ولمعت عينها بالعشق، وقالت:

- أنا بحبك أوي

وختمت حديثها باقتراب شفتيها لشفتيه تريد أن تقبله، فتقدم بها إلى داخل شقتها وأغلق الباب بقدمه وهو يقول هامساً:

- يامجنونة حد يشوفنا من الجيران

وكأنها لم تسمعه، فقط كانت تتأمل شفتيه في شغف، فاقترب يقبل جبهتها واستند بجبينه على جبينها، وقال بهدوء:

- بحبك يامجنونة

وأرسلها وقبض على كفها يوجهها ليجلسا على الأريكة وهو يوقن أن تلك الفرسة الجامحة داخلها يجب أن تُلجم

وهو فارسها، ومن الآن أصبحت جزء منه ولا يستطيع التخلي عنها

داعب خصلات شعرها مشاكساً، وهو يقول:

- كنتي بتعيطي ليه بقى قبل ما أجي؟

شعرت بالخجل فدفنت وجهها داخل صدره وهي تغمغم بكلمات لم يصله منها شئ، فضيق بين حاجبيه وهو يرد:

- أنا مش سامع حاجة

ومد يده يرفع وجهها بأنامله وترك عينيه تسبح داخل عينيها وهو يقول:

- قولي بقى كنتي بتقولي إية؟

ابتلعت غصتها وهي تشعر بمحاصرته لها، ثم قالت بتلعثم:

- عشان بحبك

رسم الدهشة على وجهه وهو يرد:

- هو حبك ليا يزعل للدرجة دي؟

فأومأت برأسها في إيجاب وقد تلألأت مقلتيها بالدموع وتابعت حديثها:

- لما كنت فاكراه حب من طرف واحد

وكأنها طفلته، ضمها إلى صدره مرة أخرى وقلبه يشعر بما عانت وقال بنبرة حزينة:

- أنا أسف.. أسف إني وصلتلك حاجة زي كدة بكلامي معاكي

رفعت وجهها تنظر بوجهه وقالت بملامح طفولية:

- خليك فاكر بقى إني أنا اللي قلتلك بحبك الأول

فابتسم ثغره وهو يمسح تلك الدمعة الفارة من عينيها بأنامله، ورد:

- حاضر ياحبيبي مش هنسى

ثم تابع بحماس:

- يلا بقى قومي اغسلي وشك وجهزي نفسك عشان هنسهر سهرة حلوة أوي

وكأنها لم تكن تبكي، فقالت بوجه ضاحك وهي تهم بالمغادرة:

- انت أحلى لوكا في الدنيا

وهمت بالمغادرة ولكنه أرجعها حينما أمسك بكفها، وهو يقول بهدوء حاسم:

- لا أنا مبحبش دلع البنات دة.. اسمي مالك وبس ها

شعرت بنبرته الحاسمة، فردت:

- أوكى.. مالك من غير دلع

- تمام

رد بابتسامة هادئة وترك كفها لترحل، وبالفعل بعد القليل من الوقت كانت تقف أمامه بملامح أخرى مبتسمة ترتدي بنطال من خامة الجينز وقد دست داخله قميص قطني من اللون الأصفر وجعدت خصلات شعرها لتتناثر بحرية وصبغت وجهها بمساحيق تبرج بألوان صارخة كعادتها

وابتسامته كانت من نصيبها

وعناق الأيادي كان كالعهد بألا نفترق

ونزلا من منزلها وركبا سيارته ولازالت الأيادي متشابكة حتى وصلا إلى وجهتهما

صالة رقص عصري كالتي كانت تزورها كل ليلة ويزورها هو كل فترة

المكان ملئ بالموسيقى والراقصين، جلسا على طاولة جانبية وإمال رأسه يزعق بأذنها حتى تسمعه من أثر الضوضاء بالمكان:

- تشربي إية؟

نظرت بعينيه وهي تقول بصوت عالي أيضاً:

- هتخليني أشرب اللي أنا عايزاه؟

أومأ برأسه في إيجاب وهو يقول بصوت عالي:

- السهرة الليلة دي على شرف سمو الملكة أسيل

والسعادة غمرت قلبها وعيونها، وعقلها لم يكد يستوعب بعد أن الدنيا تضحك لها وأن حياتها القادمة أجمل مع رجل أحبته

فابتسمت، ثم قالت بنظرة خبيثة:

- فودكا

ورغم أنه سمعها لكنه تسائل بخبث أكبر:

- إية؟

نظرت له تفهمه وتعرف أنه سمعها، فتعلقت بأناملها في ياقة قميصه واقتربت بشفاها من أذنه تزعق بجرأة أشعلها هو فيها:

- أنا عايزة أشرب فودكا

وأرجعت رأسها تنظر لعينيه برغبة، فقال بنبرة مشاغبة:

- أحلى فودكا لأجمد واحدة في الدنيا

وتبع كلماته بغمزة من إحدى عينيه لها، وإشارة للنادل بالمكان ليأتي ويخبره بما تريد أن تشرب مجنونته احتفالاً بميلاد حبهما

ورقصت بحضنه كأنها لم ترقص من قبل، وكل الرجال بحياتها اختفت ليبقى مالك ومالك فقط متربعاً على عرش قلبها وعقلها وكل كيانها

والسعادة كانت تتراقص حولهما

والنظرات كانت تحمل الكثير لم يفصحا به بعد

وأكواب الخمر كانت رفيقتهما طوال السهرة، فأصبح الثمل من نصيبها، فما كان منه إلا أن أسندها إلى سيارته، وركب هو خلف المقود وقادها، بعد قليل أفاقت هي قليلاً إثر الهواء الذي كان يلفحها بقوة إثر حركة السيارة السريعة

لفت بجسدها تنظر له وهي لازالت مستندة برأسها على المقعد، وبعد فترة من تأمله في صمت قالت:

- رايح بيا على فين؟

وأتبعت كلماتها بابتسامة سعادة لكونها معه، فلم يعد يشغلها المكان طالما هي معه

نظر هو لملامحها وهو يبتسم، ثم قال:

- هاروحك ياحبيبي

فلوت شفتيها بشكل طفولي وهي ترد:

- لا.. أنا مش عايزة أروح.. خليني معاك كمان شوية

فاحتضن كفها ورفعه إلى فمه يلثمه بقبلة أذابتها، ثم قال:

- خلاص ياحبيبي هفضل معاكي

ونظر لها بشغف وهو يتابع:

- مممم.. تحبي تروحي فين؟

أمعنت التفكير قليلاً ثم قالت:

- عند صحابك

ضيق ما بين حاجبيه وهو ينظر لها ولا يفهم ما تقول، فرفعت سبابتها تشير إلى أعلى ففهم مقصدها وقال بابتسامة:

- بقيتي بتحبي النجوم خلاص

- أنا أدمنتهم مش بس حبيتهم

وتركت رأسها تغوص بصدره فأحاطها هو بذراعه ليتركها تنعم بدفئ حضنه وهو يقود السيارة نحو جهته الجديدة إلى بقعته المفضلة التي باتت هي أيضاً تعشقها

وصل وأوقف السيارة وقال:

- وصلنا ياحبيبي

رفعت رأسها تنظر إلى السماء كمن تشعر بالعطش وتريد أن ترتوي، ضغط هو على زر ليرجع مقعدها إلى الخلف لترتاح داخله، وأرجع مقعده هو أيضاً

ونظر لبعض نجماته يحاورهم في صمت يسمعنه:

- قلبي ينبض مجدداً بعد أن أدركته قتيلاً.. أشعر بسعادة حرمتها عليَّ لسنوات.. أعرف جيداً أن للحب لذة كما أن له لوعات.. الحب نار غرقت فيها بإرادتي مرة أخرى وأنا لم أدرك العواقب بعد.. الحب هو ضحكتها برائتها نعومتها طفولتها والحب أيضاً جنونها

أما هي فلم تأثرها تلك النجوم طويلاً، بل أثرتها طلته

ذلك الهائم أمامها بنظراته في سماء تلمع بالنجوم

عيناه الساحرة وأنفه الحاد وشفتيه المزمومتين

وتلك الشعيرات الصغيرة التي تناثرت بدقة لتحدد أسفل وجهه

وأحلاماً علقتها على كتفيه

وحقيقة وصول لكل ما تمنت بهذه الدنيا مرسومة فوق ذراعيه

وأمان وحنان ودفئ لم تعهده من قبل تستنشق ذراته في كل لحظة تنعم بها بنومة فوق صدره

التفت بوجهه ينظر لها فوجدها تتأمله بعشق، أثرته نظراتها الصادقة، ابتسم لها بنعومة وهو يلف ذراعه حول رأسها ليغرسها بصدره وهو يشعر بأن وجودها بحضنه يمده بالحياة

تنهد وهو يشعر بمصل الحياة يسري في شراييه، داعب خصلات شعرها بأنامله وهو يسألها بابتسامة:

- بس انتي لسه محكتليش كنتي بتحلمي بيا إزاي؟

ابتلعت ماء فمها وهي تفكر بماذا تجيب، ثم رفعت رأسها وهي تقول بثقة مصطنعة:

- بحلم بيك!! إزاي مش فاهمة قصدك

اتسعت ابتسامته وهو يضم رأسها إلى صدره مرة أخرى ويعتصرها داخله وهو يقول:

- مش أنا اللي يتعمل معاه الحركات دي ياأسيل

قالت وهي تشعر بكفه الجامدة تحبسها داخل حضنه:

- حركات إية بس يالوكا اللي هعملها معاك دي؟

رد وهو يجذبها من شعرها بلطف وينظر بوجهها بملامح حاول أن تكون صارمة:

- ياإية ياختي؟

أدركت ما أخطأت في تلفظه، فأجابت بابتسامة بلهاء وكأنها لم تقل شئ:

- يامالك

صمتت قليلاً وهي تنظر بعينيه وتابعت:

- ياحبيبي

لانت نظرته قليلاً لطريقتها الطفولية لإمتصاص غضبه المدعي، فرفع حاجبه يتابع ما اصطنعه من صرامة قائلاً:

- يلا ياحلوة احكي

قالها بعد أن ترك شعرها وربت على رأسها

تدرك أنها لعبة، لكنها تعشقها، تعشق غضبه وصرامته المصطنعة، تعشق حصاره لها، وتعشق أيضاً هذا الموقف السئ الذي يضعها فيه

هي تشعر بالتوتر والرهبة ولا تدرك من أين تبدأ الحديث، وكل هذا تعشقه بين يديه، وبين يديه فقط

كان ينظر لها يتابع كل خلجاتها التي تعبر عن بعض مشاعرها المختلطة، أخيراً نطقت:

- هو حلم عادي يعني

- طيب احكيه

كانت تشعر بالتوتر يغمرها ورغم هذا كان قلبها يتراقص داخل قفصها الصدري

- حلمت إنك ملك وأنا جاريتك

قال بوجه لا يحمل أي تعبير:

- جمييل.. وبعدين؟

كاد قلبها يجن من كثرة صدحه بالدقات، فقالت:

- عادي يعني كنا في قصر جميل وكل حاجة كانت بتلمع زي النجوم دي

- مممممم جميل.. بس انتي قلتيلي انك بتحلمي بيا كل يوم

- أنا قلت كدة؟

تسائلت بمراوغة، فضغط باصبعيه بلطف على وجنتها وهو يرد:

- أيوة ياحبيبي

وتابع وهو يرجع خصلات شعرها خلف أذنها ويمعن النظر بعينيها:

- كنتي بتحلمي كل يوم إني ملك وانتي جاريتي؟

أومأت برأسها في إيجاب ولازالت معلقة عينيها بحبال نظراته التي تخترقها

فبعثر كل مشاعرها بلمسة من شفاه على جبينها يبثها كل مشاعره في قبلة

وظل محتضن وجهها داخل كفيه وهو ينظر لها بشوق ملئ عينيه، وأمان يغلف قلبه أنه لن يُخدع مجدداً

فتلك البريئة الصادقة لا تخدع

فتلك النقية العاشقة لا تجرح

ترك وجهها وابتسم بسعادة وهو يقول:

- إية الحاجة اللي عايزة تقوليها في اللحظة دي؟

- اوعى تسيبنى

قالتها مجدداً بسرعة دون تفكير، فشعر بصدق احتياجها له ومدى أهمية ذلك الأمر

- عمري ما هسيبك ياحبيبي

وأمسك كفها بين يديه يتابع:

- انتي جوة قلبي ياسولي.. بقيتي جزء منه خلاص.. ينفع حد يسيب قلبه.. طيب هعيش ازاي؟

اتسعت ابتسامتها وطوقت رقبته بذراعيها، فضمها هو بذراعيه إلى صدره

رجعت برأسها قليلاً إلى الوراء تسأله:

- انت بقى عايز تقول اية في اللحظة دي؟

- انتي جوهرة أوعدك إني هحافظ عليها

ردت باستغراب:

- جوهرة!!

- اه جوهرة محدش شايف اللي جواها غيري.. جواها كل حاجة حلوة.. جوهرة بتاعتي أنا وبس

وكأنها شجرة وجدت الأرض الخصبة لتزهر فيها، ابتسمت بعيون عاشقة ووجه ينضح بالسعادة وعقل وجد ضالته وقلب سكن جوف حبيبها بأمان وهو يوقن أن زمن الأحزان ولى ولن يعود، ولن تعود وحدتها

- أنا أول مرة حد يقولي حاجة زي كدة

- عارف

فاجأها باجابته، فنظرت له باستتغراب، فتابع موضحاً:

- عشان محدش شاف اللي جواكي غيري

قالها وهو يشير تجاه قلبها، أما هي فكانت تشعر بخفقات قلبها تكاد تجعلها تهتز بين يديه، ضمها إلى صدره يملس على خصلات شعرها وهو يستطرد:

- أنا مش عايزك تقلقي من أي حاجة ولا تفكري في أي حاجة فاتت خالص.. ووقت ما تحبي تحكي أنا موجود عشان أسمعك

أرجعت رأسها إلى الوراء تنظر له وهي تفكر، كيف يعلم أن هناك ما تخفيه؟ كيف يعلم أن الماضي ملئ بالحكايات؟

ملس على وجهها وهو يقول:

- متتعبيش نفسك في التفكير.. كل حاجة هتبقى كويسة.. وأهم حاجة إنك مش هتبعدي عن حضني أبداً

دفنت رأسها بحضنه وهي تشعر بصدق وعده لها، وبدأ عقلها يفكر في حكايات الماضي ولكنها سرعان ما استجابت لأمره ونفضت أي شئ عن عقلها واستسلمت لمعذوفة دقات قلبها التي تصدح بالقرب من دقات قلبه، وابتسمت في براءة وأغمضت عينيها

لم يمر من الوقت الكثير وهي تسكن حضنه حتى بدأا يشعرا بنور الشمس يبذغ في سماءهما القاتمة معلنة عن مولد صباح جديد

- يلا نمشي بقى؟

قالها هو، فرفعت رأسها تنظر له بوجه طفولي ممتعص:

- خلاص هنمشي؟

- الشمس طلعت ياحبيبي

نظرت بعينيه نظرة مشاغبة وهي تقول:

- أوكى بس هفضل في حضنك طول ما انت سايق

- ياسلام انتي تؤمري.. وبعدين دة شئ يسعدني

ابتسمت وهي تتابعه يعدل من وضع مقعديهما وأدار محرك سيارته، وفتح ذراعه ليستقبلها على صدره قائلاً:

- تعالي ياحبيبي

كطفلة تقطن حضن والد حُرمت من أمانه
تحركت لتنعم بأمان العالم وهي بحضنه

ودائماً ما تمر سريعاً تلك الأوقات السعيدة

وصل أسفل منزلها وأوقف السيارة، شعرت هي بأن السيارة توقفت فرفعت رأسها تنظر إليه وتتسائل بعبث طفولي:

- وصلنا؟

شاركها العبث وهو يرد:

- للأسف اه

اعتدلت في كرسيها تبحث عن حقيبتها، ثم وجدته يمد يده لها بها بعد أن رأها موضوعة على مقدمة السيارة أمامها وهي لم تنتبه لها، ابتسمت بخجل وهي تشعر بلمسه لتوترها، فأمسك بكفيها داخل كفيه يقبلهما، ثم قال:

- خلي بالك من نفسك

أومأت برأسها في إيجاب، ثم قالت هي:

- وانت كمان خلي بالك من نفسك

- أوكى

فابتسمت وهي تسحب كفيها من يديه وهمت بالمغادرة وهي تقول:

- هتوحشني لحد ما أشوفك

وخرجت من السيارة فأرسل هو قبلة في الهواء وأتبعها بـ:

- بموت فيكي

وسارت إلى بنايتها يغلفها الشوق وتكاد تطير فرحاً

كانت تشعر أن اليوم هو أهم يوم بحياتها، اليوم الذي سيبدل الآلام إلى أفراح وسعادة ستغرقها مدى الحياة

فقد وعدها أنه لن يتركها أبداً

وهذا يكفيها.. حضنه وأمانه ودنيا سترميها خلف ظهرها ووعد بأن تنسى كل شئ

ونسيت أن لكل ألم أثر ولكل ذكرى أشخاص لازالو بحياتها

طرقات الباب جعلتها تستغرب، من يدق الباب عليها في هذا الوقت بعد أن دخلت شقتها بثواني حتى إنها لم تبدل ملابسها بعد؟

توجهت إلى الباب تفتحه، فوجدت والدتها تقف أمامها والشرر يتطاير من عينيها

وكما لم تتوقع الأم فلم يظهر على أسيل أياً من ملامح التوتر والخوف من مجئ والدتها في هذا الوقت

وكأن البرود خلق ليلتبس أسيل أمام أهلها

وكأن كل شئ حلو لا بد أن تجد المر بأخره

وتلك الليلة السعيدة لن تنتهي بنومة هادئة على فراش يحمل الأحلام الوردية

فالليلة انتهت والشمس سطعت في السماء وعلى أسيل مواجهة ذلك الصباح بكل تبعاته

** ** ** **

.. الفصل العاشر ..

السعادة تناثرت كذرات التراب وحلت مكانها الغيظ والضغينة في عيني أسيل التي جلست أمام والدتها تستمع لمحاضرة من التوبيخ

- امتى تموتي ونرتاح من أرفك بدل ما انتي جايبلنا العار؟

وكأن الموت قد رُسم على وجه أسيل بعد تلقيها تلك الجملة فقامت تنظر لها بوجه يستعل غضباً وصرخت في وجهها:

- أنا مش هموت غير لما أخد حقي منك.. هفضل عايشة وهفضحك أكتر وأكتر.. هموتك

انتي من الحسرة.. أنا كمان بتمنى موتك.. بتمنى تختفي من حياتي

وابتسامة حشرتها عنوة فوق شفاها وهي تتابع:

- أيوة أنا كان معايا راجل هنا في الشقة زي ما عرفة قالك وخلاكي تيجي جري عشان تلحقي تغسلي عارك.. بس انتي مش هتقدري تعملي حاجة

اقتربت من والدتها أكثر وهي تقول بصوت هادئ:

- أنا مبقتش بخاف منك

وبصوت خطوات حذاءها على الأرض تركتها ودخلت غرفتها وأوصدت بابها ووقفت خلفه تحارب دمعة حارقة تريد أن تنزل من عينها

والنهاية كانت هزيمة تبعها سيل من الدموع وانتفاضة جسدها، وانهارت وجلست مكانها بالأرض

وضعت كفيها فوق أذنيها تريد أن تخرس صوت عقلها الذي يعيد عليها صوت والدتها

- إمتى تموتي

سيكون الموت من نصيبها والراحة من نصيب والدتها

وهي لن تريحها ولن تفعل

لن تموت

ستعيش لأجل أسيل

فقط لأجل أسيل

وصوت هاتفها دق لإعلان وصول رسالة، فمسحت دموعها بكفيها وفتحت حقيبتها الموضوعة جانبها أرضاً وأخرجت الهاتف وبعد بضع لمسات ابتسم ثغرها وهي ترى بعينيها رسالة من مالك بكلمة واحدة

- وحشتيني

وكأنه يدرك ما بها وكأنه يشعر أنها بحاجة له

وكأن كلمته كانت تحمل إكسير الحياة

وقفت وقامت لتنام فوق الفراش على بطنها وكفيها لازالا محتضنا الهاتف وعيناها تتأمل كلمته، والرد بضع لمسات بأناملها وقلبها

- انت وحشتني أكتر

- لا انتي أكتر

وانفرج فاها عن ضحكة خالية من الهموم، واستلقت على ظهرها وهي لازالت مبتسمة

ولمسات الأنامل لم تنتهي ودقات القلوب لن تسكن وضحكتها باتت مصاحبة لوجهها حتى أنهيا حديثهما ونامت هي بملابسها وأيضاً بابتسامتها

*****

طرقات خفيفة على الباب أيقظتها من نومها وجعلتها تتذكر أنها ليست بمفردها في المنزل فوضعت الوسادة على رأسها لا تريد أن ترى والدتها ولا أن تجلس معاه وتبدأ حوار سخيف مضمونه الألم

- ماما اصحي

وكان هو صغيرها الذي افتقدته كثيراً فنزعت الوسادة من فوق رأسها وقفزت من الفراش وقامت لتفتح له

وارتمى بحضنها ولحظات من السعادة كانت تهنئ بها بقربه مرت على ذاكرتها وكالعادة كل ذكرياتها الحلوة أخرها "درية"

- انتي لابسة كدة بدري ورايحة فين؟

وإدراك أسيل أنها لازالت بملابسها منذ أمس

ولم تكن إجابة فقط نظرة بطرف عيني أسيل لوالدتها التي تقف أمامها وتنظر لها شذراً

أغاظتها بعدم ردها فصرخت بها كما كانت تفعل من قبل:

- اوعي تفتكري إني هفضل سكتالك كدة كتير

قامت أسيل لتقف وتقول بتحدي يغلفه المرارة:

- هتعملي إية؟ هتضربيني ولا هتحبسيني ولا هتقصيلي شعري؟

مشت إلى طاولة جانبية وأخذت علبة سجائرها الموضوعة عليها وأخرجت منها واحدة وأشعلتها بالقداحة ووضعتها بفمها ونفثت دخانها في الهواء في صمت يملئ المكان ثم تابعت

- تفتكري لسة تقدري تعملي كدة؟

فملئ الغيظ وجه والدتها التي لم تعطيها فرصة للرد وتابعت:

- ولا ناوية تبيعيني تاني زي ما عملتي قبل كده؟

- أنا مبعتكيش.. لو كنت بعتك كنت قبضت التمن.. أنا كنت بختارلك الحياة المناسبة

- زي ما طول عمرك كنت بتختاريلي

قالت جملتها بعيون غائرة تتذكر كل مرة كانت تريد فيها أن تدلي برأيها في شئ يخصها ولم تستطع

وفي النهاية ختمت الحديث بكلمة تبدو قاسية ولكن يملئها الألم:

- انسيني

وتحركت نحو الباب لتوصده أمام وجه والدتها التي كانت لازالت تقف مكانها خارج الغرفة

كانت كلمتها هادية وحركتها هادية، فلم تعد العصبية مجزية ولن يفهمها أحدهم

ورجعت لتجلس جوار مهند الذي اتخذ مكانه على فراشها يتابع في صمت، ضمته بحضنها وهي تقول:

- أنا بحبك

- وأنا كمان بحبك أوي ياماما

وكأن كلمات الصغير تداوي جروحها لتسطع الابتسامه على وجهها وعيونها وهي تنظر لدنيا جديدة أصبح يملئها الحب

وقضت الوقت معه في لعب وسعادة

سعادة طفولة لم تهنئ بها في صغرها

*****

الحب يضع لمسته على كل شئ، فيصبح كل شئ أفضل وأنقى وأخف

ورغم كثرة العمل وتزايد التصميمات وضيق الوقت كان العمل خفيف على قلبه وهي معه يراها وتراه والعيون تحافظ على حبل الوصال بينهما حتى أنهما لم ينتبها لمن حولهما من زملاءهما، فهما محبان وكفى ولا يهم أي شئ سوى ذلك

لم تكن هي فقط من تتابعه بنظراتها فقد كانت هناك أيضاً نظرات سماح تتابعه بهيام ثم تحول إلى غيظ عندما لاحظت نظراته المسلطة على أسيل، فلم يكن أمامها سوى أن تتصرف بغيرة أنثى حمقاء فقالت في ظل وجود الجميع في ذلك الاجتماع الذي أمر به مالك:

- ايه التصميمات المؤرفة دي.. حضرتك إزاي وافقت عليها ياأستاذ مالك؟

قالتها وهي تمسك بمجموعة من الأوراق قد خطت عليها أسيل ما طلبه منها مالك من تصميمات لبعض المنشئات

نظرت لها أسيل بغيظ وكادت أن تنفجر في وجهها لكنها لم تلحق عندما جاء من جانبها صوت مالك الذي كان يترأس طاولة الإجتماع:

- أظن دة مش شغلك ياأنسة سماح.. القرار ده بتاعي أنا وبس

واندثرت سماح في مقعدها وصوتته الجامد قد لجمها وأخرس لسانها، أما أسيل فكانت لا تزال

النيران مشتعلة بوجهها حتى وهي تنظر لمالك الذي أشار لها بعينه أن تهدأ، وقد كان

محادثات أخرى ونقاشات في مشاكل العمل تتداول هنا وهناك وأسيل لا تفكر بشئ سوى تلك الحمقاء سماح وما قالته وكيف ستنتقم

وانتهى الاجتماع وهي لازالت شاردة ولم تنتبه سوى عندما قام الحضور ليرحلوا إلى مكاتبهم، فهمت تلملم أشياءها هي الأخرى ولكنها توقفت إثر لمسة يده ليدها وهو يقول بخفوت قرب أذنها:

- استني انتي متمشيش

وبالفعل نفذت أمره وظلت ناظره في ما أمامها من أوراق حتى رحل الجميع فاقترب هو بمقعده منها يهمس في أذنها:

- ياهبلة

اندهشت لكلمته ونظرت له باستغراب، فتابع هو بعد ابتسامة ملئت وجهه:

- يعني مش عارفة ليه انتي هبلة؟

أومأت برأسها في نفي، فرفع خصلة من شعرها نزلت على عينها وهو يقول:

- عشان زعلانة ومكشرة وسرحانة طول الاجتماع وفارق معاكي أوي كلام إللي اسمها سماح دي

إكرام يوسف

وكأن كل شئ رجع إلى حاله بذكره لاسمها، فقد تأججت النيران بوجهها وهي تتحدث بحرقة:

- دي قالت على شغلي أنا مؤرف قودام كل الناس.. والله لأوريها

نظر لها بوجه يصطنع الدهشة:

- جرا إية ياعباس مش كدة ياأخي إهدى..

وبعدين

قال كلمته الأخيرة بوجه باسم جعلها تنفرج ضاحكة وسط مشاعرها الغاضبة

- عرفتي بقى إنك هبلة

اصطنعت الغضب بملامحها، فتابع مؤكداً وهو يداعب أنفها بسبابته:

- أيوة هبلة.. عشان شاغلة نفسك بحاجة متستاهلش أصلاً.. هي متغاظة منك

قالت بنظرة مختلفة ولهجة جامدة بعض الشئ:

- وهي متغاظة مني لية بقى ؟

- شوفي إنتي بقى

قالها وهو يقوم ليتوجة بالجلوس خلف مكتبه الموضوع بالجوار في نفس الغرفة وعيناه الثاقبة لازالت تتابع انفعالات وجهها ويبدو عليه الاستمتاع

- انت عارف إنها معجبة بيك؟

- هي معجبة بس؟

قالها وهو يضع قدماً فوق أخرى وعيناه مثبتة عليها، فقامت هي والغيظ يأكلها لتقف أمام مكتبه قائلة:

- ولما انت عارف إنها مش بس معجبة ليه سايبها هنا لحد دلوقتي

- أنا لو رفدت كل واحدة حبتني هنا مش هيتبقى في الشركة موظفين

وهنا فقدت السيطرة ووصل هو لما يبغاه بلعبته تلك بأعصابها حين قالت بغيظ:

- حبيب الملايين حضرت

- بس مفيش في قلبي غير واحدة بس

قالها بعمق لمسته بعينيه ونبرته وكل ملامح وجهه

وكأنه يعلم متى يغضبها وكيف يهدأ ثورتها وكيف يجعلها تضحك ومتى يهز كل كيانها

أربكها قليلاً بكلماته التي تشعر بصدقها

فلم ترد ولم يتوقع منها رد فأشار لها أن تجلس بعد أن رق قلبه لها بعد ما فعله بأعصابها

فجلست وهي تخفي عينيها عن عينيه الثاقبة لكل ما فيها

- مبحبش الغيرة

كلماته جعلتها تنظر له وظلت صامتة وهو يتابع:

- الغيرة شعور حلو وناس كتير بتحب تحسه من حبيبها بس أحياناً بيزيد ويقلب لهبل وخنقة وعشان كدة مبحبهاش

اقترب بيده من كفها فاحتضنه داخل يده وهو يقول:

- أنا عايز سولي تكون واثقة إني مبحبش ولا هحب غيرها

وكأنها تمثال نحت من الشمع لكن قلبها كان ينتفض من شده تأرجحه بين التوتر والسعادة

فهي أخيراً وجدت ذلك الحبيب في صحراء دنياها الخالية من الحب وهي الآن أمامه

أمام ملكها مالك

قبلته على كفها نبهتها أن يدها لازالت تسكن يده وإنحناءة منه على كفها ونظرة ساحرة من عينيه تنبئها بأن الأتي بعمرها أجمل

*****

هو لم يكن قطعة سكر تسعد به صباحها في قدحٍ من الشاى، بل كان زوبعة صرخت في وجهها صباحاً

- استيقظي فاليوم سعادة وغداً أسعد

وابتسامة لم تفارق وجهها طوال اليوم رغم نظرات الشذر التي كانت تتطاير من حولها من تلك المجاورة لمكتبها، لكنها لم تراها ولم تكن ترى شئ مما يحيطها

فهي تراه وتسمعه وتشتم رائحته في كل شئ حولها

وغادر الجميع وهي لازالت لا تشعر بما يحدث حولها

كانت تعيش على سحابة سعادة ترفعها بنعومة إلى سماء الحب

وصوت رنين هاتف المكتب أنزلها بثواني إلى أرض الواقع لتكتشف أنها تجلس وحيدة بالغرفة

فقامت لتتوجة نحو الهاتف ورفعت السماعة على أذنها قائلة:

- ألو

- أسيل كويس إنك لسة هنا

وكان صوته هو ملكها، فابتسمت رغم عنها وهي ترد:

- لا أنا مش هنا

فرد بمراوغة:

- المكتب فاضي ولا في حد عندك؟

- لا كلهم مشيوا

- طب لمي حاجاتك بقى وكفاية شغل وأنا هعدي عليكي عشان أوصلك

وضعت السماعة وهمت بجمع أشياء لا توجد بالمرة فهي لم تكن تعمل بل كانت هائمة برب عملها

- يلا حبيبي عشان أروحك

جاءها صوته من خلفها فاستدارت تنظر له، وكادت أن تبتسم ولكن ابتسامتها انطفئت وهي تتذكر من توجد بمنزلها الآن وتلك الحوارات التي تود الهروب منها معها، لم تفكر كثيراً

وهي تقول له ما تشعر به حين لوت شفتها السفلي بشكل طفولي قائلة:

- بس أنا مش عايزة أروح

اقترب منها وقبض على خصرها بيديه في حنان قائلاً:

- تحبي نخرج شوية؟

ورغم تعب العمل اليوم وما عاناه فيه ورغم ما يظهر على وجهه من أثر الإرهاق، كان على إستعداد لنزهة معها، فردت وهي تضع يدها على صدره:

- لا انت شكلك محتاج شاور دافي وتنام.. انت تعبت أوي النهاردة ولازم ترتاح

أمسك كفها وقربه من فمه يقبله، ثم رد:

- ملكيش دعوة بيا أنا كويس وأقدر أسهر عادي.. تعالي

قال كلمته الأخيرة وهو يقبض على كفها وسحبها خلفه للخارج حتى وصل لسيارته وفتح بابها لتجلس واستدار ليركب جوارها وتحرك بالسيارة متسائلاً:

- فيه إية بقى؟

نظرت له مستفهمة وهي لا تعلم ما يقصده، فتابع موضحاً:

- ليه حبيبي مش عايزة تروح النهاردة؟

إبتلعت غصتها ثم قالت:

- بصراحة أنا مش عايزة أخرج وأصلاً تعبانة من الشغل.. بس مش عايزة أروح

- حد من أهلك في البيت؟

ودائماً يفهمها قبل أن تتلفظ بشئ، فأومأت برأسها في إيجاب ثم قالت:

- ماما

تأثر بنظرتها التي تحمل الحزن رغم عدم علمه بما تكنه لوالدتها لكن نظرتها تلك تكفي، فمد ذراعه وتناول رأسها ليضمها إلى صدره وهو يقول بهدوء:

- أنا مش محتاج أسألك ليه زعلانة كدة من وجودها لأنك بالفعل مش حابة تعيشي معاها

رفعت رأسها تنظر بوجهه في صمت وعقلها يفكر كيف يقدر على فهمها رغم فشل الجميع،

ولكنه أسكت عقلها بتربيتة من كفه على رأسها ورسالة يحملها قلبه لقلبها

"أن كل الأمور ستكون بأحسن حال"

وبعد فترة أوقف السيارة فرفعت رأسها تنظر للمكان الذي وقفا فيه وكانت تعرفه رغم أنها لم تأتي إلى هنا سوى مرة واحدة، وقبل أن تسأل أجاب هو:

- أظن سولي هي كمان محتاجة إنها تاخد شاور دافي وتنام

ولم يعطيها الفرصة لتفهم، استدار وفتح الباب جانبها واحتضن كفها في يده وأخرجها من السيارة بابتسامة رسمها على وجهه لتمحي كل ما يشغل بالها وصعد بها إلى منزله

تتذكر كل شئ به، رائحته التي تملئ المكان وذوقه الهادئ في إختيار قطع الأثاث

- أنا طبعاً مش محتاج أقولك إنه زي بيتك والكلام دة

وابتسامة وجهه كانت دائماً هي الداعمة لها، لكنه فجأة تحدث بصورة جادة متسائلاً:

- بيتي برة البيت قبل كدة؟

وقبل أن تجيب تابع هو:

- عشان مامتك متستغربش مش أكتر

فأومأت برأسها في إيجاب، ثم قالت:

- كنت بيات.....

فقاطعها بحسم:

- مش عايز أعرف

فأربكها بلهجته الجامدة فتابع بهدوء:

- مش دلوقتي ومش بالطريقة دي.. وقت ما تحبي وتبقي عايزة تتكلمي هنعد مع بعض ونحكي ونتكلم عن كل حاجة

هكذا الأمور دائماً ما يصبغها بالبساطة، وما داخلها وتخفيه عنه أشبه بغابة تشابكت أشجارها لتحمل من العقد الآلاف

مسح على رأسها بحنان فجعلها تترك غابتها تلك وتبحر بعينيه قليلاً قبل أن يقول:

- قلتلك قبل كدة بطلي تتعبي نفسك في التفكير كل حاجة هتبقى تمام

وضمة إلى صدره أنستها كل ما بها، وبساطته تلك طغت على كل تعقيداتها لتنظر له قائلة بصدق لمس قلبه:

- أنا بحبك أوي

ولم يكن الرد كما توقعت، أو كما أوهمها هو بدهاءه حين اقترب من شفتيها فتأهبت لقبلته لكنه همس بهدوء أمام شفتيها وهو مبتسم:

- عارف

- والله؟

كانت هي، بغيظ أسعده، وتبعته هي بمحاولة واهية بالإبتعاد عنه لكن يده كانت تقبض على خصرها بقوة حين رجع بها لتستند إلى الحائط خلفها فأصبحت محاصرة، فصرخ هو بسعادة:

- بحبك يامجنونة

ولم تهدأ هي إثر كلمته ولا زالت تقاوم حصاره وهي تفتعل الغضب فضمها هو بقوة إلى صدره حتى استكانت داخله وبدأت تغمغم بصوت غير مفهموم، فقال هو:

- مش سامع

فرفعت رأسها تنظر له بغيظ قائلة:

- بطل تغظني

- لا مش هبطل

وكانت ثورة أخرى منها من اللكمات الضعيفة ومحاولة للفرار من بين يديه فضمها هو مرة أخرى إليه بقوة لتنسى بين يديه

من تكون ..

ومن كانت ..

ومن ستكون ..

** ** ** **

.. الفصل الحادي عشر ..

أروع ما في حبنا أنه ليس له عقل ولا منطق

أجمل ما في حبنا أنه يمشي على الماء ولا يغرق

" نزار قباني "

*****

فراشات تطير وسط خضرة المكان وطيور تغرد بأعذب الألحان وسعادة تملئ عينيها بطلته وطبول تدق شغفاً داخل قلبها وهي تجلس وسط خضرة الحديقة بين قدميه

هو ملكها ومالكها في هيئته الشامخة يجلس على عرشه الوثير داخل حديقة قصره

يبتسم فيزداد وسامة، يداعب شفتيها بسبابته فتنهار خلاياها، يدللها ويضاحكها ويسرد الحكايات وهي لاتشبع ولا تمل، يربت على رأسها فتريحها فوق فخذه وتظل متعلقة بنظراته وهو لازال يداعب خصلات شعرها، ويغلبها النعاس فتنام وعلى وجهها ابتسامة عشق لا تريد أن تصحو منه أبداً

أرض الأحلام خصبة للتخيلات، وخيالها الليلة كان حلم

حلم لم يكن فيه ألم، حلم يملئه سعادة ظلت تصحبها حتى الصباح

*****

وفي أرض الواقع

رائحة عطره تداعب أنفها، شراشف ناعمة ووسادة دافئة وابتسامة شقت وجهها رغماً عنها وهي لم تفتح عينيها بعد وفراشه كأنه مغناطيس يجذبها للمزيد من النوم

لكن عقلها نبهها أنها لاتحلم فهي بالفعل تنام في فراشه ففتحت عينيها تنظر إلى سقف الغرفة في

ظل ضوء الصباح البسيط الذي يعبر من شباك الغرفة

لا تذكر الكثير عن ما حدث أمس

مياة دافئة أذابت ذرات جسدها المنهك

ومنامته الضيقة ذات البنطال الطويل

وضحكاته العذبة حينما رأها ترتديها

ووجبة غذاء جهزتها أم صفاء مسبقاً وسخنها هو لهما

وتناولهما الطعام على الأريكة أمام التلفاز

وفيلم باللغة الانجليزية لم تستطع عينيها التي تحمل النعاس أن تقرأ ترجمته

وطبقها الفارغ الذي لم تقدر على حمله إلى الداخل واكتفت بوضعه على المنضدة أمامهما

وكتفه الذي إستقبل رأسها

وذراعه الذي حوطها لتسكن حضنه

وعيناها التي غلبها النعاس

ولا تتذكر كيف ومتى أتت إلى فراشه

تمطأت فى الفراش ولازالت الابتسامة تنير وجهها

نظرت إلى الساعة الصغيرة الموضوعة على المنضدة الصغيرة جانبها فوجدتها الثانية عشر ظهراً

فنزلت من الفراش وإلى خارج الغرفة تتفقد وجوده بالمنزل

حافية تلتمس قدماها برودة الأرض بشعر لم ترتب مظهره في المرآة ووجه خالي من مستحضرات التجميل منذ ذلك الحمام الدافئ أمس

وكأنها تُقر أمام نفسها أنه غير كل هؤلاء البشر، وهو فقط من يستحق أن يرى ما تخفيه عن الناس ويرى وجهها الحقيقي دون أقنعة

خطوات بسيطة ووجدته يتوسط الأريكة وعلى قدميه حاسوبه المحمول ويرتشف القليل من قدح صغير استنتجت أنه قهوة

وعندما شعر بوجودها ترك قهوته جانباً على المنضدة ووفتح ذراعه يشير لها أن تأتي بحضنه، وكطفلة أبيها المدللة لبت النداء وذهبت مسرعة تجلس جواره وتسكن رأسها بصدره وتنعم بجرعة الحب الصباحية داخل حضنه

- انت صحيت امتى؟

طبع قبلة على جبينها ثم رد:

- من ساعتين كدة تقريباً

رفعت رأسها تنظر إليه متسائلة:

- هو أنا نمت إمتى إمبارح.. أنا محستش بنفسي خالص.. وإزاي رحت الأوضة؟

ضحك قليلاً ثم قال:

- إنتي نمتي في أول خمس دقايق من الفيلم

فابتسمت هي، فتابع:

- وأنا شيلتك ونيمتك في السرير

نظرت بعينيه بعمق وهي تشكر حنانه الزائد عليها وحبه لها، فلمس خصلات شعرها المبعثرة وهو يقول:

- you are my little girl

اتسعت ابتسامتها ولفت نظرها ما وضع جانبه على الأريكة

وسادة وغطاء مطوي يخبراها أنها قضت ليلتها بمفردها داخل فراشه، ونظرة امتنان تشارك كلماتها:

- انت إزاي كدة؟

- كدة يعني إية؟

- ازاي مش زي أي حد أنا قابلته قبل كدة؟ كل الرجالة بيبقى هدفهم من أي واحدة إنهم ياخدوا منها اللي همة عايزينه وبس

لمس وجنتها بأنامله وهو يتأمل ملامحها بعشق قليلاً، ثم قال:

- عشان محبوش قبل كدة.. عشان مشفوش من أسيل غير اللي برة بس.. ما شفوش أسيل من جوة

- ازاي قدرت تعمل كدة.. ازاي قدرت تعرف أسيل من جوة وتفهم هي محتاجة إية؟

- عشان أنا جوة أصلا.. أنا جوة أسيل..
وعارف كل حاجة هي حاسة بيها

توتر اجتاح عقلها إثر كلماته وغصة ابتلعتها في صمت وهي تشعر بالرهبة من كونه يعلم كل ما تشعر به، فاحتضن هو وجهها داخل كفيه وقال بهدوء:

- متخافيش ومتقلقيش من حاجة.. أنا هنا عشان أسعد أسيل وبس

وسعادة غمرتها وانتشلها هو من توترها، كعادته يقدر على حملها من أي شعور إلى عكسه في لحظة واحدة

فضمها إلى حضنه، ولكنها نظرت له بعينيه متسائلتين حينما سمعت صوت يأتي من مطبخه فرد:

- دي أم صفاء هقولها تحضرلنا الفطار على بال ما بطتي تغسل وشها

ابتسمت لكلمته التي يدللها بها وقامت لتتوجه إلى الحمام فتابع هو خطواتها المغادرة وعيناه تتأمل جسدها البض في منامته الضيقة فصاح ضاحكاً:

- بطة يااخواتي بطة

فاستدارت تنظر له بابتسامة يملئها الخجل فغمز هو لها باحدى عينيه وتبعها بقبلة في الهواء فضحكت وغادرت إلى الحمام

وهناك نظرت على وجهها الحقيقي بالمرآة لكن بشعور مختلف اليوم، فهي الآن لا تمقته بل تحبه وتحب أسيل تلك التي تراها بالمرآة، أسيل الطفلة البريئة الطاهرة الخالية من الأقنعة

أسيل التي بين يده وملكه هو فقط

خرجت من الحمام لتجده ينتظرها على طاولة الطعام بوجه بشوش فتقدمت نحوه بابتسامة وجلست بالمقعد جانبه وجاءت تلك السيدة التي تتذكر هيئتها منذ المرة السابقة، ووضعت الأطباق وهي تمصمص شفاها قائلة :

- تؤمر بحاجة تانية ياأستاذ مالك

- لا شكراً يا أم صفاء

فرحلت، واستدار هو ينظر لأسيل قائلاً:

- يلا ياحبيبي افطري

وبدأا في تناول فطورهما،وبعد الانتهاء قال وهو يقوم من مكانه:

- أنا النهاردة أوف ومش رايح الشغل.. رتبت كل حاجة مع مصطفى وهو هيظبط كل الشغل النهاردة.. وانتي كمان مش هتروحي النهاردة.. إنتي النهاردة معايا

قالها وهو يداعب خصلات شعرها بعد أن قامت لتقف أمامه، فابتسمت، ولكنه تابع:

- بس شوفي مولبيلك الأول مبطلش رن من الصبح لغاية ما فصل وأنا حطتهولك في الشاحن

فأومأت برأسها في إيجاب وذهبت حيث أشار لها وأحضرت هاتفها وضغطت على زر به لتفتحه

وذهب هو ليجلس على الأريكة مفتعل انشغاله بالتلفاز وهو يلمس توترها وما تشعر به من ضيق وهي تتابع شاشة هاتفها، ثم حسمت أمرها وتوجهت لتجلس جانبه على الأريكة ووضعت هاتفها أمامهما على الطاولة وقالت بعدم إكتراث:

- دى ماما

نظر لوجهها المحتقن بالدماء وهي تفتعل عدم الاهتمام، فلمس حمرته وهو يقول بهدوء:

- مش هتكلميها؟ أكيد هي قلقانة عليكي

- لا

قالتها بعصبية وقد بدأ تنفسها يزداد حدة

- ليه ياحبيبي؟ مهما كان فيه خلافات ما بينكم أكيد هي قلقانة عليكي دلوقتي

- لا متخافش هي مش قلقانة

قالتها وهي تحاول أن تخفي وجهها بعيداً عنه، فلمس ذلك منها، وبأنامله رفع وجهها لتنظر بعينيه، فوجد الدموع تلمع داخل عينيها فضمها على الفور إلى صدره لتسمح هي لدموعها أن تنزل وتبلل قميصه وهي تقول بصوت متهدج:

- مش قلقانة وعمرها ما خافت عليا.. وعمرها ما حبتني

رفعت رأسها تنظر بعينيه المتأثرة لتقول بحرقة:

- دي بتتمنى موتي.. وهي قالتلي كدة بنفسها

وضمة أخرى منه رأسها ليسكن جروحها وقلبه يأن لها، ولحظة من الصمت لم تخلو من صوت بكاءها وصرخات قلبه الذي يأن لأجلها

ومسحة من كف يده على رأسها فرفعت هي وجهها الذي يملئه الدموع وهي ولازالت ترتعش وضمة من كفيه لوجهها بعد أن جفف دموعها

- كفاية دموع متعيطيش تاني.. انتي معايا وهتفضلي معايا وميهمكيش أي حد طول ما انتي معايا وكل حاجة هتبقي تمام

وابتسامته جعلتها تبتسم رغم ألمها

- يلا نخرج

وابتسامة منها لما يقول

- انت مجنون

- جدااا

وكأنها تملأ عينيها بالسعادة بالنظر إلى وجهه ظلت ناظرة له فقال هو بحماس:

- يلا

فقامت ملبية رغبته المجنونة تلك وعلى وجهها ابتسامة وقلبها يهنئ بنفحات بالسعادة التي ينثرها مالك حولها

ارتدت ملابسها مرة أخرى وخرجت من الغرفة وجدته بانتظارها، فدخل إلى غرفته بعدها وبدل

ملابسه وخرج ليسحرها مراراً وتكراراً بهيئته وسحر وسامته وملابسه العصرية وعطره الخلاب الذي يذيب خلاياها فتفقد جزء من أعصابها لا تعلم إلى متى ستظل مسيطرة عليه أمامه

وأنهى هو حرب أعصابها تلك بإشارة من يده ووجهه الباسم:

- يلا ياحبيبي

وسمح لكفها أن يستوطن يده وغادر بها من منزله إلى سيارته، فقالت متسائلة:

-هنروح فين بقى الصبح كدة.. الساعة لسة تلاتة الضهر؟

- أنا شخصياً معرفش الناس اللي بتخرج الصبح دول بيروحوا فين.. وليه يخرجوا الصبح أصلاً ؟

فضحكت، فتابع هو:

- بس أنا طلبت معايا نخرج بقى

ونظرة حنان منه لها وهي توقن أن عرضه المجنون بالخروج في هذا الوقت كان لأجلها

فهو يفعل كل شئ وأي شئ لأجلها

فهو حقا يحبها

وما أدراها هي بالحب؟

فهي لم تعرفه مسبقاً

أهكذا إذاً يكون الحب؟

تسائلت داخلها

والاجابة كانت

بل هو النعيم أسيل

نعيم مالك

أخرجها هو بحماس من أفكارها:

- مبدئياً كدة هنروح نعمل شوبينج

نظرت له بعدم فهم فتابع:

- مهو مش معقول حبيبي هيفضل بنفس اللبس.. وبعدين بصراحة أنا مش هسكت على إحتلال بيجامتي أكتر من كدة

فضحكت وهى تقول بفخر:

- انت تطول إني ألبس بيجامتك؟

أمسك بيدها وضغط على أناملها وهو يقول بوجه جامد في مزحة منه:

- هو مين اللي مش هيطول يابت؟

اصطنعت الدهشة وهي تكرر لكلمته:

- بت !!

- ايوة بت.. مش عاجبك ولا اية؟

حاولت نزع يدها من بين أنامله وهي تقول:

- طب سيب ايدي بتوجعني

فرفع كفها إلى فمه يقبله ثم قال:

- سلامة ايدك ياحبيبي

وتركها فابتسمت وهي تتحسس مكان شفتيه بيدها الأخرى، وقلبها قارب على فقد وعيه من فرط سعادتها

وبعد فترة قالت:

- عارف ساعات بحس إني غريبة

- إزاي يعني؟

- يعني المفروض إني مبحبش خالص إن أي حد يعرف عني حاجة.. وإحساس إن فيه حد يعرف إية اللي أنا حاسة بيه دة بيوترني.. مش عارفة ليه معاك وبرغم إنك بتحس بكل حاجة ومن الأخر فاقسني يعني.. بس مش مضايقة

ابتسم وهو يرد:

- فاقسك!! يابنتي إنتي كتاب مفتوح قودامي
- بس دي حاجة وحشة أنا مبحبهاش
- بالعكس.. دي حاجة جميلة إنك تلاقي اللي يفهمك ودة إللي أي حد في الدنيا بيتمناه
- ساعات بخاف

رد ببعض الدهشة:

- منـي؟

- لا مش منك.. بس بخاف لانك بتقدر تعرف كل حاجة ودة بيخوفني

أمسك بكفها مرة أخرى ثم قال:

- لا دة إنتي غريبة فعلاً ياسولي.. ولازم نشوف حل للموضوع دة

نزعت يدها من يده ولكزته بخفة على كتفه وهي تقول:

- إنت بتتريأ على فكرة

فضحك وهو يقول:

- يابنتي فكك.. وبطلي تشغلي بالك بحاجة.. إلا لو إنتي خايفة منـي

- لا والله ما خايفة منك

وكان ردها سريع يسبق صدق عينها فيما قالته، فظل ناظر بعينها للحظة، ثم قال بحب:

- أنا بعشق نظرة إحساسك بالأمان اللي بشوفها في عنيكي وإنتي معايا

فابتسمت في خجل وتابع هو قيادته، لكنها بعد فترة تسائلت:

- هي وحشة أوي؟

- هي مين دي؟

نظرت بعينيه وهي تقول:

- أسيل من برة

فضم رأسها بذراعه ليسكنها حضنه وطبع قبلة فوق شعرها، ثم رد:

- لا مش وحشة ياقلبي

رفعت رأسها تنظر إليه وداخلها إحساس بالذنب:

- بجد؟

- اه بجد ياحبيبي

وضمة أخرى وقبلة تسكن ذلك الشعور الذي يراودها من حين إلى أخر باحثاً داخلها عن أسيل أخرى كانت فاضلة

ودقات قلبه أخبرتها أنها سعيدة

وهذا يكفيها

وبعد فترة وصل بها إلى مبنى تجاري كبير، ونزلا من السيارة وسارا بكفين متلاحمين ينبضا بعشق لبعضهما

بين المحلات وأروقة المكان يتسامران ويضحكان، وأشار هو على فستان معروض في واجه محل قائلاً:

- حلو دة تعالي نشوفه

ومشت معه إلى داخل المحل وهناك كان يوجد عدة خيارات وبدأت في تجربة البعض منهم، وكان ذوقه في إختيار الملابس يعجبها، سوى تلك القطعة التي أتى بها إليها بوجه باسم، قائلاً:

- بصي بقى الفستان دة جاحد وهياكل من بطتي حتة

وغمزة من إحدى عينيه لم تراها وهي تتابع ذلك الفستان الذي كان من اللون الوردي المزركش بنقاط صغيرة من اللون الأبيض، بقصة ناعمة من على الصدر وحزام رفيع وردي يحدد وسطه، ومساحة واسعة من القماش سوف تصل إلى ركبتيها إذا إرتدته

نظرت له نظرة واجمة وقلبها يخفق، وردت بثبات:

- أنا مبحبش الفساتين القصيرة

فأومأ برأسه في سكون وأزاحه جانباً، ثم قال:

- أوكى.. طيب هتاخدي إية من الحاجات اللي قيستيها

أشارت على بنطال من اللون الأسود وبلوزة تحمل لون البرتقال قائلة:

- هاخد دول

ثم حملت قطعتين أخرتين من اللون الأزرق الفاتح وهي تقول بتحدي:

- وهاخد البيجامة دي

اقترب منها وأمسك بالقطعتين يشاهد تفاصيلهما، ودنى بجانب أذنها هامساً:

- بيجامتي عليكي أحلى

فابتسمت وهمست بخجل:

- كل حاجة منك أحلى

فملئت الابتسامة وجهه، ولف ذراعه حول كتفيها بعد أن ترك تلك المنامة جانباً، وتوجة نحو مكان المحاسبة حاملاً البنطال والبلوزة فقط، كادت أن تخرج نقود من حقيبتها، لكنه أوقفها قائلاً:

- بس بس.. بتعملي إية ياهبلة؟

والبله كان مصاحبها وهي ترد:

- هحاسب

وكفه الذي وضعه على كتفها في مزحة منه لينحيها جانباً وهو يقول:

- إمشي يابت من هنا

وإنتهى مما يفعله وخرجا من المحل وهو يحمل الحقيبة البلاستيكية التي تحمل ملابسها، وجذبها

مرة أخرى ودخل بها إلى محل لبيع مستحضرات التجميل ووقف خلفها يهمس في أذنها:

- أنا عارف إن الحاجات بتاعتكم دي بتبقى كتير وأكيد مش شايلاها معاكي كلها في الشنطة.. فاشتري كل اللي إنتي هتحتاجيه

ونظرة إمتنان منها له وهي تُقر بسعادتها لفهمه ومعرفته بكل شئ يخصها وكل شئ تحتاجه، وجولة داخل المحل ابتاعت فيها بعض الأشياء التي يجهللها هو وتعرفها هي بالاسم ودرجة اللون

وتوجه مرة أخرى للمحاسبة على مشترياتها بعد نظرة منه لها ألا تحاول المجادلة

وخرجا من تلك البناية وركبا السيارة مرة أخرى وذهب بها إلى مكان أخر يحوي على بضع طاولات ومقاعد وضعت على مرأى من نهر النيل

جلسا واقترب النادل فطلبوا مشروب بارد منعش

ترددت قليلاً قبل أن تسأله:

- أنا شكلي بالميكب أحلى ولا من غير
- بصي هو أنا مش بحب الميكب عامة أو بميل أكتر للشكل البسيط فيه

واقترب برأسه منها وهو يتابع:

- مش معنى إني خليتك تشتري الحاجات اللي بتستخدميها منه يبقي أنا بحبه.. أنا بس بحب

أعملك كل اللي إنت بتحبيه.. وأكيد شكلك من غيره أحلى

وابتسامة ملئت وجهها وهي تهنئ عقلها على توقعه أن الآتي في أيامها أحلى

وبعض رشفات من مشروبها البارد ورنين هاتفها جعلها تخرجه من حقيبتها لتمتعص شفتيها قليلاً وهي تقول:

- دة طارق أخويا

واضطرت للرد بعد طول مدة رنين هاتفها

- أيوة ياطارق

- إنتي فين يا أسيل؟ ماما هتتجن عليكي

- متخافش ياطارق وماما مش قلقانة ولا حاجة

- إزاي يابنتي طيب طمنيني بس إنتي فين؟ وبيتي فين إمبارح؟

توترت قليلاً وعيناها تتابع مالك الذي إفتعل متابعته لمشهد النيل، نطقت:

- كنت بايتة عند واحدة صاحبتي

فنظر لها مالك وهو يرفع إحدى حاجبيه ويرسم بيديه في الهواء جسد امرأة ثم تبعها بامالة رأسه لها فانفرجت شفاها بابتسامة لمزحته سرعان ما كتمها وهي تتابع حديثها مع أخيها الذي قال عبر الهاتف:

- وهترجعي البيت إمتى؟

وكان قرارها حاسم:

- مش هرجع غير لما ماما ترجع بيتها
- يا أسيل مش هينفع.. إنتي عارفة إن ماما مش بتيجي بالعند
- ودة أخر كلام عندي ياطارق.. أنا مش مستعدة أعيش في نكد وهي مبتزهقش ومزاج عندها إنها تضايقني

وترقرقت بعض الدموع داخل عينيها. ورد أخيها هدئها قليلاً:

- خلاص ياأسيل براحتك وأنا هكلمها دلوقتي وأقولها
- أوكي ياطارق

- خلي بالك من نفسك

- متقلقش

وأغلقت الاتصال ووضعت الهاتف بحقيبتها مرة أخرى، وشعر هو بضيقها فقال مازحاً:

- مش كنتي تقوليلي عشان أركب ضفيرتين وانتي قاعدة عندي

فضحكت كما لم تضحك من قبل وشاركها هو ضحكاتها وعيناه تحكي لها أياماً من السعادة بجانبه

وحوارات شتى فتحها هو يريد أن ينسيها بها ما ورد في مكالمتها، وختم حديثه:

- أنا جعت.. إنتي مجعتيش؟

- عادي يعني

- إية دة إحنا فينا من كسوف وكدة.. أنا مش هحب إنك تتكسفي مني خالص

- لا أنا مش مكسوفة والله

فقام وهو يقول:

- طيب يلا نروح ناكل أكيد أم صفاء حضرت الغدا

وكفه إستقبلت يدها ليسيرا معاً إلى سيارته ثم إلى منزله

ومنامة أخرى من ملابسه كانت ردائها، وابتسامة أشرقت على وجهه لرؤيتها ترتدي ملابسه، وغذاء أخر بصحبته

وعند انتهاءهما قال بوجه لطيف:

- ها تحبي تسهري فين النهاردة؟

وإجابتها خالفت توقعاته:

- هنا في البيت

وابتسامة على وجهه، فتابعت وهي تقترب منه وتلمس أزرار منامته:

- خلينا نتفرج على فيلم غير إللي أنا نمت فيه إمبارح

- أوكى يا حبيبي تعالي

وأخذها إلى الأريكة وبدأ يعبث في جهاز التحكم عن بعد حتى يشغل فيلماً مناسب وكانت هي تجلس جواره حينما أشارت إلى كتاب كبير

وُضع على الرف السفلي لمنضدة صغيرة جواره:

- هو دة ألبوم صور؟

- اه هاتيه لو حابة تتفرجي عليه

وفضولها كان سيد الموقف، فنزلت لتجلس أرضاً أمامه ومدت يدها لتحضره وتفتح عالم مالك أو ربما عالم ذكرياته

البداية كانت صور له بمفرده في صغره وكان طفل جميل، وابتسامة لم تفارق وجهها وهي تشاهد ملامحه تلك التي تحمل جمال البراءة وهو كان يتابعها وهي تقلب الصفحات

مراحل عمرية مختلفة كان أهم ما يميزها أنه كان سمين حتى في سن العاشرة، نظرت له وهي تقول متسائلة:

- اية دة إنت كنت تخين.. أومال بقيتك راح فين؟

ضحك وهو يرد:

- أيوة كنت تخين لحد وأنا في إعدادي كدة

والحماس بدى على وجهها لمعرفة سر حكايته، فاستندت بيدها على ركبته وهي تنظر له بشغف متسائلة:

- وبعدين؟

أرجع خصلة من شعرها نزلت على وجهها وهو يرد:

- بعدين عييت وجالي مرض وإتشخص غلط فالدوا اللي أخدته عملي مضاعفات وكنت هموت

ودهشة ظهرت على وجهها وهي تقول:

- إية إزاي يعني؟

- الدوا اللي أخدته غلط دخلني في غيبوبة لمدة شهر.. كنت خلاص بموت وكل الدكاترة قالوا لأهلي إني يستحيل أعيش

وصدمة كانت على وجهها وهي تتابع حديثه وعيون متسائلة عن البقية، فتابع:

- بس ربنا أحياني وأديني أهوه قودامك

- وقتها كانت مامتك لسة عايشة

- أه

وغصة تحمل كلمته تلك لكنه أخفاها سريعاً وهو يتابع بمرح:

- بس ياسيتي لما فقت بقي لقيت نفسي رفيع وحبيت شكلي كدة أكتر وحسيت أد إية بقيت خفيف في حركتي فقررت أفضل رفيع

كانت لاتزال هائمة في حديثه وأثر حكايته يظهر على وجهها، فقال:

- إية يابت روحتي فين؟

- لا ولا حاجة

وتوجهت بعينيها نحو كتاب ذكرياته مرة أخرى وبدأت تقلب في الصور لتظهر صورة العائلة، رجل كبير يحمل نفس ملامح مالك يبدو أنه

والده، وسيدة متأنقة لا تشبه مالك على الإطلاق، فتسائلت:

- والدتك؟

- أيوة

وبنتان يكبران مالك لكنهما يحملان جانب كبير من ملامح والدتهما ومالك في سن المراهقة يحمل بيده طفل رضيع

- دي مريم

قالها هو فإبتسمت وهي ترد:

- هي في سنة كام دلوقتي؟

- في أولي إعدادى

- ممم بقيت أنسة يعني

- دي حبيبة أخوها

وتابع وهو يشير إلي أختيه التي تحملهم الصورة أيضاً:

- دي أماني الكبيرة.. ودي آيات اللي قبلي على طول

- بينك وبينها أد إية؟

- سنتين.. وأماني بيني وبينها أربعة

- ربنا يخليكم لبعض

وابتسامة طغت وجهها حين رد:

- ربنا يخليكي ليا

وخبأت وجهها سريعاً داخل صوره والسعادة تنضح من كل جوارحها وهي تتابع صور أخرى لحفيد، ابن أخته الكبرى

- عمر

قالها هو موضحاً، فابتسمت وقلبت لصورة أخرى لتجدها غير كاملة يبدو أنه قص جزء منها، والجزء المتبقي يحمل صورة والده ببذة سوداء ومالك جانبه ببذة رمادية وعلى وجه كل منهما ابتسامة واسعة، وقبل أن تسأل أجاب هو:

- الصورة دي في فرح بابا

وعلمت من كان بالصورة وهو قص الجزء الخاص بها، بالتأكيد زوجة أبيه، لكن شيئاً ما أثار فضولها فتسائلت:

- زعلت لما باباك إتجوز؟

- زعلت دي كلمة بسيطة.. قصدك إتقهرت

- بس مش باين على شكلك يعني إنت في الصورة شكلك فرحان

- مش بس في الصورة كنت فرحان وطول الفرح كمان ولغاية دلوقتي محدش يعرف اللي جوايا

كان يدهشها بحديثه، فدنى يربت على وجنتها وهو يتابع:

- محدش يعرف إية اللي جوا مالك.. محدش يعرف هو حاسس باية.. عمري ما ببين إحساسي الحقيقي غير قودام واحدة بس وقريب هيبقوا اتنين

وغمزة من عينيه جعلتها تبتسم وهي تسأله:

- مين بقي الواحدة؟ ومين التانية؟

- الواحدة هي مريمومة.. والتانية دي طبعا إنت عارفاها

صمتت وعيناها تحثه على الاستمرار في الحديث، وأخيراً قال:

- أم صفاء

كادت أن تنطق لولا أنه أمسك برأسها من الخلف وضغط بها لأسفل وهو يقول بمزاح:

- هتكون مين يعني ياحمارة؟

ردت وهي لا تستطيع أن تعدل رأسها إثر يده المثبتة عليها:

- خلاص خلاص عرفت

- يبقى نبطل إستهبال بقى

- أوكى خلاص يامالك هبطل استهبل

فترك رأسها فرفعتها هي تنظر إليه وتقول بطريقة طفولية وهي تمسك بكفيها بنطاله:

- هو أنا قلتلك قبل كدة إني بحبك؟

فأجاب بمراوغة وهو يداعب خصلات شعرها:

- مش فاكر

فأجابت وهي تحتضن ساقه:

- أنا بحبك أوي

فرد وهو يربت فوق رأسها:

- وأنا كمان بحبك أوي

وتربيتته تلك ذكرتها بحلمها مع ملكها في حديقة قصره، فأراحت رأسها فوق فخذه بينما هو أخذ يداعب خصلات شعرها بأنامله

ولحظة صمت تبعتها هي بالنظر إلى عينيه قائلة:

- على فكرة أنا كمان عجبني الفستان إللي إنت إختارتهولي النهاردة

ونظرته كانت مستفهمة، فعدلت هي من وضع رأسها لتتابع:

- أنا أصلاً بحب الفساتين القصيرة

** ** ** **

.. الفصل الثاني عشر ..

- أنا أصلاً بحب الفساتين القصيرة

نظر بغرابة في وجهها وهو لا يفهم مغزى كلماتها فتابعت مؤكدة:

- كل الحكاية إني مقدرش ألبس حاجة قصيرة

- ليه؟

- عشان مبحبش حد يشوف رجلي

نظرته باتت مندهشة، فتابعت هي:

- مبحبش شكل رجلي

فأمال رأسه وهو يقول :

ومبتحبيش شكل رجلك ليه؟

- كده مبحبش شكلها .. عشان فيها حاجات شكلها وحش

نظر لها بتمعن وهو يسألها:

- حاجات اية يعني؟

- فيها آثار تعاوير وكدة

رفع كتفيه وهو يقول باستنكار:

- ايه الهبل ده ما كل الناس في فرجليهم آثار تعاوير من أيام ما كنا صغيرين

فصدمته بجوابها:

- بس دي مش آثار تعاوير قديمة

- يعني ايه؟ هو في حد كان بيعورك ياأسيل؟

فأجهشت بالبكاء وهي ترد:

- لا

وزادت في بكاءها حتى صار نحيباً، فرفعها من على الأرض لتجلس فوق فخذيه وضمها إلى صدره وقلبه يأن لبكاءها وعقله لا يستطيع توقع ما سوف تلقيه عليه، كادت أن تتابع وسط شهاقاتها فأشار لها أن تهدأ أولاً، فحاولت أن تلملم شتاتها وقالت بحروف مبعثرة وصوت مرتعش وعيون تخفيها عن ناظريه:

- أنا اللي بعور نفسي

فجحظت عيناه من هول صدمته وهو يرد:

- ايه؟ ازاي؟ وليه؟

أبعد رأسها عنه قليلاً وترك جحوظ عينيه يعارك ملامح وجهها حتى يحصل على شئ أخر يهديه

فتابعت بضعف ورعشة تملكت أطرافها:

- مش عارفة لية أنا بعمل كدة أو إزاي بعمله أنا بحس إني عايزة أعمل كدة أوي ومش بقدر أمنع نفسي

وقطعت كلماتها فجأة وحدقت في عينيه برهبة متسائلة:

- هو أنا مريضة؟

فأغمض عينه بألم وضمها إلى صدره وهو يقول بهدوء:

- عايزك تهدي وتحكيلي واحدة واحدة إمتى بيجيلك الشعور ده وبتحسي بايه بالظبط وبتعملي ايه وقتها

بعدت برأسها عن صدره وهي تقول بلهفة:

- أنا.. أنا.. أنا حاولت كتير أقاومه.. لما بيجيلي بحاول أقاومه بس مبقدرش.. مبقدرش

وانهارت مرة أخرى في البكاء واستسلمت لانتفاضة جسدها المرتعش، فضمها مره أخرى إلى حضنه وهو يقول:

- شششششش.. حاولي تهدي عشان أفهم ياحبيبي

بأطراف أنامله أرجع خصلات شعرها خلف أذنيها وحاول تجفيف وجنتيها من الدموع بمنديل ورقي، وتابع بهدوء:

- كان في حد بيأذي أسيل وهي صغيرة؟

أومأت برأسها نافية ما قاله، فتسائل مرة أخرى:

- في حد حاول يأذيها لما كبرت

أذاغت بعينيها وهي تنفي مرة أخرى برأسها وقد زاد شهيقها وزفيرها وهي تتذكر جيداً ما كان يحدث معها وتريد أن تنساه وتخفيه عن العالم أجمع ليس هو فقط

فما كان منه إلا أن احتضنها وهو يحاول أن يحبس عبرة لم تطيق الإنتظار ونزلت على وجنته وعيناه تمر على قدمها ويده تسللت لترفع طرف بنطالها لأعلى وهي كالصنم تجمد كل ما فيها

وعيناه التي تلقت صدمة ما تفعله تلك المسكينة بحالها، فأغمض عينيه بشدة يقفلها وعقله لن ينسى ما رأى وقلبه تتصارع دقاته، لكنه سرعان ما أرسلها وحوط وجهها بكفيه وهو ينظر بعينيها ويقول بشكل جاد:

- عدى وفات يا أسيل.. عدى وفات.. أسيل حبيبتي مش هتعمل كدة تاني.. مش كدة؟

قالت وقد غلبتها دموعها مرة أخرى:

- نفسي.. نفسي يامالك أقدر أبطل أعمل كدة

فرد بشكل صارم:

- مفيش نفسي.. إنتي مش هتعملي كدة تاني ودة أمر ولازم تنفذيه.. مفهوم ياأسيل؟

فأومأت برأسها في إيجاب، فضمها هو مرة أخرى وداخله يتصارع فهو يخاف عليها حتى من نفسها

مر الوقت ولم يشعرا به، هي فقط كانت تشعر بالدفئ والأمان في حضنه وهو يشعر بالهدوء وهو محتضنها

وظل محتضنها حتى غلبتها عيناها ونامت، فحملها هو إلى فراشها ودثرها به وجلس جانبها يتأمل ملامحها الهادئة، وداخله سؤال يؤرقه

أيعقل أن تكون تلك الملاك الهادئة هي تلك التي تأذي نفسها.. وكيف لها أن تفعل؟ كيف استطاعت؟

كان عقله يضج بالكثير من الأمور، فترك غرفتها وغادر إلى الخارج وجلس حائراً لا يعلم ماذا يفعل ليخلصها من تلك الحالة الغريبة والشاذة بالنسبة له

فجأة تذكر شيئاً ما فأمسك بهاتفه وبدأ يبحث عن شئ ثم ضغط زر الاتصال ورفعه إلى أذنه، انتظر قليلاً حتى جاءه صوت ناعس من الطرف الأخر

فرد ببعض الحرج:

- ازي حضرتك ياعمو.. أنا مالك التوهامي

- أهلا يابني

- معلش أنا شكلي صحيتك من النوم

- لا ولا يهمك يابني خير؟

- انا بس كنت عايز أجي لحضرتك بكرة العيادة.. حضرتك هتكون فاضي امتي؟

- هشوف مواعيد الجلسات بكره الصبح وهكلمك ياحبيبي

- اوكي ياعمو شكرا

- العفو يا ابني ده واجبي

وأنهى المكالمة وهو يفكر بأي حجة سوف يترك أسيل ويذهب لمقابلة الطبيب

وأخذ كل أفكاره معه إلى فراشه الحالي على الأريكة وأغمض عينيه لكن عقله ظل مستيقظاً حتى الصباح

*****

وفي الصباح كان دورها هي لتصحو أولاً، فقد أيقظها قلقها من سرها التي صرحت به لمالك في لحظة اعتبرتها طائشة

لا تعلم ما سوف يفعله معها وهل سيتركها أم ستتغير معاملته معها؟ وهل حقاً يخاف عليها أم يخاف منها؟

وعبرة ترقرقت على وجنتها وهي تتخيل حالها إذا قرر أن يتركها ومسحتها سريعاً وتوجهت إلى الخارج باحثة عنه كي تسأله ويرتاح عقلها

لكنها وجدته نائماً على الأريكة، فتركت عيناها تسبح في ملامحه التي تعشقها بعد أن جثت على ركبتيها أرضاً جانبه

هتسبيني؟

حدثته بداخلها

أنا مدقتش السعادة غير معاك

أنا محستش إني عايشة غير معاك

أنا هموت لو سيبتني

متسبنيش

وكانت الأخيرة بصوت سمعه وفتح عينيه مستيقظاً ليرى وجهها الذي امتلئ بالدموع فأدهشته رؤيتها بهذا الشكل فقام ليجلس وانحنى محتضناً وجهها بين يديه وقال برفق:

- ايه ياحبيبي مالك؟ في اية؟

فردت بصوت مرتعش:

- أنا خايفة يامالك

- من إيه ياحبيبي؟ وازاي تخافي وأنا موجود؟

- ما هو أنا خايفة تسيبني

- أسيبك!!

قالها ببعض الاستغراب، ثم تابع:

- مين قال كدة؟

سكتت،فتابع هو:

- انتي بتحلمي بأي هبل وتصحي تصدقيه؟

لكزته في ساقه وهي تقول بغضب مصطنع من بين دموعها:

- بطل تتريأ عليا.. أنا بتكلم جد

- والجد ده بقى انك حاسة إني هسيبك؟

سألها بوجه جاد، فردت بتوتر:

- أنا بس خايفة

اعتدل في جلسته بعد أن ترك وجهها، ثم قال بنفس جديته:

- يمكن لسه معرفتنيش كويس.. لكن شوفي يا أسيل.. أنا مبيهمنيش أي حد ولا أي حاجة في الدنيا كلها.. فلو كنت عايز أسيبك زي الهبل اللي في دماغك دة كنت قلتلك دة في وشك إمبارح.. مش هخبي ولا هداري ولا هرسم خطة للخلاص منك

ومد يده وأمسك إحدى ذراعيها وشد عليه قائلاً بتأكيد:

- أنا بحب أسيل ومش هسيبها وعايزها زي ما هي بكل مميزاتها وعيوبها

بظهر يده الأخرى ملس على وجنتها وهو يقول باستهجان:

- كلامي دة كفايا ولا لسة هتشكي فيا تاني؟

صدمها بردة فعله التي لم تتوقعها بالمرة، ورغم فرحتها بكلماته الأولى ردت بكلمات متلعثمة وقلب ينتفض:

- أنا مشكتش فيك يامالك

- أومال خوفك دة أسميه إية؟

ملامحه الجامدة وصوته الصارم وسؤاله الذي كان مفاجئاً وجلستها أرضاً جانب قدميه، جعلها تشعر برهبة ممتزجة بمشاعر مختلطة ذكرتها بتلك التي تشعر بها في أحلامها

سعادتها بشعورها بتلك المشاعر على أرض الواقع لم تدم طويلاً حين قال غاضباً:

- ردي

ورغم مفاجأتها برد فعله المبالغ فيه وحساسيته الزائدة وهول رؤيته بهذا الوجه الغاضب إلا أن قلبها كان يرتعش

عشقاً لا خوفاً

لهذا الذي طالما حلمت به وبحثت عنه في أرض الواقع

أنهت ذلك الصراع بين مشاعرها وقالت بضعف:

- مالك أنا مقصدتش اللي إنت فهمته.. أنا كنت بقولك على اللي جوايا واللي حساه

وضعفها أوجع ذلك الذي يدق بصدره، فملس على وجهها قائلاً:

- أنا مقلتش متقوليش.. بالعكس أنا عايز أعرف كل حاجة وأي حاجة بتحسي بيها أو تيجي في بالك

ثم أشار بسبابته إلى رأسها قائلاً:

- أنا مش عايز الأفكار دي تيجي في دماغك أصلاً

هل ما يحدث حقيقة؟

كل ما كانت تتمناه قليلاً من السلطة

ولم تكن تتخيل أن هذا المهوس سوف يضع سلطته حتى على أفكارها

- مفهوم؟

رادع في إنهاء حيرتها

فأومأت برأسها في إيجاب، وهي ورغم كل حيرتها تغمرها السعادة

ورفعها هو ممسكاً بذراعيها لتجلس جانبه على الأريكة وكأنه قد تبدل فجأة ليملئ وجهه الحب والحنان قائلاً:

- بحبك يا أجمل ما في حياتي

فاتسعت ابتسامتها واحتضنته بفرحة وقلبها يتراقص داخل صدرها، ثم أبعدت رأسها قليلاً لتنظر بوجهه قائلة:

- بحبك يا كل حياتي

فلمعت عينه بسعادة العشق الذي بات يسكن جنباته

رنين هاتفها جعلها تنظر أمامهما على المنضدة، ومدت يدها تمسكه بعدما قال هو:

- شوفي مين

- ده طارق

قالتها بعد أن رأت هاتفها يضئ باسمه، فغادر مالك متجهاً نحو الحمام وهو يقول:

- طيب أنا هجهز لغاية ما تخلصي

ابتسمت وهي تنظر له، ثم ردت:

- أيوة ياطارق

- خلاص يا أسيل أنا كلمت ماما إمبارح وقولتلها إنك مش هترجعي غير لو مشيت.. وهي وعدتني إنها هتمشي النهاردة.. يعني خلاص تقدري ترجعي بقى ومتقلقنيش عليكي

ترجع !!

هل هذا ما يهاتفها لأجله

ترجع وتترك مالك

وجواره

ومنزله

ومنامته

وفراشه

- أسيل انتي معايا

صوته نبهها لأنه لايزال على الهاتف، فردت بوجوم:

- خلاص ياطارق أنا هرجع البيت بعد الشغل

وأنهت الحديث وهي تشعر ببعض الحزن، فقد أدمنت جوار مالك

أنهى مالك ارتداء ملابسه واتجه نحوها وهو يقول:

- يلا عشان تلبسي ونلحق نروح نفطر برة قبل ميعاد الشغل

اتسعت ابتسامتها وهي تنظر له ثم اختفت تلك الابتسامة فجأة وهي تقول:

- في خبر وحش

نظر لها مستفهماً فتابعت هي:

- ماما خلاص سابت البيت ولازم ارجع

احتضن وجهها بكفيه وهو يقول:

- وليه لازم ترجعي؟

نظرت له ببسمة تلمع بعينيها

- خلاص لازم أمشي عشان مبقاش في حجة لعدم وجودي هناك

قبل جبينها، ثم قال بلطف:

- البيت هيبقى وحش من غيرك يابطتي

ثم تابع بحماس:

- بس مش مشكلة هبقى معاكي كل يوم في الشغل وحتى بعده

نظر بعينيها بعمق وهو يتكأ على حروف كلماته:

- أنا خلاص مبقتش أعرف أعيش لحظة من غير بطتي

فاتسعت ابتسامتها بفرح ودفنت رأسها بصدره وهي تشعر بالراحة فرغم ما كانت تخشى معرفته عنها فهو لازال معها ومحتضنها

- يلا ياحبيبي روحي غيري هدومك عشان نلحق وقتنا

قال كلماته تلك وأتبعها بغمزة من إحدى عينيه

فدخلت هي مسرعة إلى غرفته وبدلت ملابسها وودعت الغرفة بنظرات عشقها لكل ركن بها

وودعت فراشه بلمسات حالمة ووسادته بقبلة عاشقة وخرجت لتجده في إنتظارها

وتعانقت أصابعهما وهما يخرجان خارج المنزل حتى ركبا داخل السيارة

وكأن ليس بها أي شئ، وكأنها خلقت سعيدة ولم ترى يوماً حزيناً قط

فهي معه طفلة ولدت من جديد

ولدت على يده

وهو من يكتب سطور كتاب حياتها الجديدة

ولم تكن تعلم هي بما كان يؤرقه ويشغل باله، فرغم أنه يحبها ولن يتركها لكن ماسمعه منها وما رآه بساقيها أهابه وجعله يخاف عليها أكثر

- أنا بحبك أوي يامالك

قاطعت أفكاره بنقاء كلماتها، فنظر لها بابتسامه ثم ضم رأسها إلى صدره وهو يقول:

- وأنا بموت فيكي يابطتي

ابتسمت بسعادة لكلماته ولتدليلها الجديد على لسانه فهي تعشق كونها له وتنسى كل العالم جواره

وغاصت بكل مافيها داخل صدره وتركت لعقلها ساحة الأحلام

زهرة ببستان تملؤه الخضرة يلمسها هو بأنامله ينحني عليها ويقبل بتلاتها بشفاه، يقطفها ويحتضنها بين كفيه ويستدير ليكون في مواجهتها وابتسامة رزينة تنير وجهه ويقترب منها وبأنامله ينحي بعض خصلات شعرها جانباً ويدس وردته بينهم لتنير جانب رأسها بحمرتها فتضفي على وجهها حمرة فوق حمرة عشقها له

وزاد حمرتها خجلاً حينما اقترب من شفاها بشفاه ليقطف ثمارها بتملك يذيبها فيه

ابتسمت وهي في حضنه وانتبهت أنها تحلم بقبلته داخل حضنه، فرفعت عينها تنظر إلى وجهه وعيناه اللتان ترتكزان على الطريق وشفتاه التي أصبحت تتوق لتقبيلهما، بللت شفاها بطرف لسانها تهدئ من رغبتها فيه

لاحظ هو عينها المثبتة عليه فنظر لها وابتسم فبادلته الابتسام بحياء لخيالاتها التي خلت منه

قال برزانة:

- خلاص وصلنا

اعتدلت في جلستها ونزلا من السيارة واحتضن كفها داخل كفه وابتسامتهما تنير وجهيهما تجعل من يراهما يعلم أنهما محبان

ضوء الشمس لازال في السماء

وطاولة صغيرة تحمل قنينة صغيرة بها بعض الزهور والقليل من الأطباق بها جبن ومربى وزبده وخبز وقدحين من الشاى

ويديها المرتعشة بشغف

ويديه الواثقة تطفئ شغفها بلمسة حنونة قائلاً :

- انتي نورتي حياتي ياأسيل

كانت السعادة تتراقص على وجهها وهي ترد:

- انا أسعد واحدة في الدنيا

ونست العالم بأسره

ونست من هي

ونست ما كان

ونست كل ماتخفيه عنه

ونست حتى أنها لازالت تخفي الكثير

** ** ** **

.. الفصل الثالث عشر ..

كان يوماً ملئ بالعمل والمشاريع والتصميمات والمناقشات، وكعادة مالك انغمث بكل ما فيه في العمل

أما هي فأصبحت كبلهاءه، دائمة النظر إليه وتاركة عينيها تهيم في ملامحه

وهذا يناقش وأخرى تحاور ومالك يتابع جميع الحضور بكل تركيز

يأمر ويحدد ويعقب على كل ثغرة، فاجتماع اليوم في غاية الأهمية كما أكد عليهم اليوم

وهي لازالت تسرح وتعيش في عالم عشقها له وفقط، ولم تعد تبالي حتى بمن حولها، فهو وهو فقط من يهمها ويشغلها أمره

تتابع حركاته ونظراته وتعبيرات وجهه وتفاصيله كلها

وتغرق أكثر في تفاصيله حتى أنها لم تدرك أنها مدت قدمها بعفويه لتلامس قدمه فابتسمت في خفيه وكادت أن ترجع قدمها بسرعة ولكنها لم تستطع حيث قبض هو على قدمها بين ساقيه وحاولت أن تخلصها من بين ساقيه ولكنها لم تستطع نظرت له لتتفاجئ بأن ملامحه لم تتغير ولازال بنفس الجدية يستمع للحضور ويناقشهم في كل الأمور بنفس الصرامة وكأن شئ لا يكون وكأنه لا يقبض على قدمها أسفل الطاولة

لم تيأس وباتت تحاول وتحاول في إخراج قدمها وفي النهاية نجحت ولكن قدمها نجت حافيه بلا حذاء حيث أفلتت حذاءها خلف ساقه

ولكنها لم تستسلم للهزيمة بلعبته تلك وفي خلسة مدت قدمها خلف ساقه تتحسس الطريق إلى حذاءها، لكنه فاجأها بحركة قدمه السريعة التي أبعدت الحذاء بعيداً عن قدمها فنظرت له بغضب دون أن ينظر لها حتى، واستسلمت للهزيمة

لكن لم يتوقف هو عند هذا الحد، وعلمت أن لعبته تلك لم تنتهي بعد حينما نظر لها بجديه قائلاً:

- أسيل هاتيلي ملف التصميمات من على مكتبي

لم تكن تصدق أن عقله المشاغب أوصله لتلك الفكرة، تحسست برودة الأرض بقدمها الحافية وألقت نظرة على المسافة ما بين مكتبه ومقعدها، ثم لاحت فوق ثغرها ابتسامة وهي تجرد قدمها الأخرى من الحذاء وتقوم لتتوجه إلى مكتبه

أحضرت ما طلبه منها وعيناها تحمل المشاغبة كعينيه وسط همهمات من الجميع على تلك التي خلعت حذاءها وتتجول بالشركة حافية القدمين

وانتهى الإجتماع وغادر الجميع إلا سندريلا ذات الحذاء المفقود

ظلت تنظر له في صمت وهو يتابع بعض الأوراق أمامه مفتعلاً أنه لا يلاحظ بقاءها

فافتعلت الكحة حتى يرفع عينه وينظر لها لكنها تمنت لو ما كانت فعلت ذلك

حيث كانت نظرته تحمل مزيج من الغضب واللوم

ظل ناظراً فترة لها ثم قال:

- ينفع اللي عملتيه دة؟

ردت بتوتر وقد غمرها الخجل:

- أنا مكنش قصدي رجلي.....

قاطعها قائلاً:

- مش موضوع رجلك.. الموضوع إن حضرتك مبقتيش مركزة خالص في الشغل ولا حتى مركزة معانا في الاجتماع

اندثرت هي داخل مقعدها، وتابع هو:

- كدة مستواكي هينزل في الشغل.. وأنا عايزك تكوني أحسن مصممة هنا.. تقدري تقوليلي ازاي دة هيحصل وانتي مش مركزة؟

حاولت أن تفكر قليلاً قبل أن ترد:

- أنا بس تعبانة شوية فعشان كدة كنت مش مركزة

نظر لها بعمق يدل على عدم تصديقه لحجتها، فتابعت بمراوغة لطيفة:

- خلاص يامالك هبقى أركز والله

- أما أشوف

قالها وهو يرجع قليلاً بمقعده ويمد يده ويلتقط حذاءها من على الأرض وترك مقعده وقام ليقف أمامها، ثم فاجأها بأن جثى أرضاً على إحدى ركبتيه ورفع الأخرى والتقط قدمها بتملك وهو ينظر لعينيها

أسند قدمها فوق ركبته وألبسها حذاءها بلطف مع شبه ابتسامة حنونة ومزحة:

- ابقى خلي بالك من أشياءك بعد كدة

لاحت ابتسامة خجلة على وجهها، وقام هو ليعود فجأة إلى جديته مرة أخرى ويتجه إلى مكتبه ويمسك بيده حزمة من الأوراق ويتوجه بها ناحيتها وهو يقول بلهجة أمرة:

- التصميمات دي تتظبط النهاردة

نظرت إلى الأوراق بيده بذهول، فتابع هو مؤكداً:

- النهاردة ياأسيل

ووضعهم بين يديها وتوجه ليجلس وراء مكتبه، ثم قال بصوت عالي ووجه صارم:

- يلا على مكتبك

انتفضت وهي لم تكن أدركت بعد ما يفعله بها، لكنها لملمت حيرتها وخرجت من مكتبه وهي لا تعلم أي شعور يتملكها تجاهه

جلست على مكتبها بعد أن تجاهلت نظرات زميلاها في الغرفة، وضعت الأوراق أمامها ولم تكن تعرف من أين تبدأ

ولكنها قررت أن تنجز أي شئ حتى لا يغضب منها مرة أخرى

ولاحت على ذاكرتها نظراته الشزرة، ولكنها نفضت صورته سريعاً من خيالها

- ركزي يا أسيل ركزي

قالتها في نفسها، وأخرجت من حقيبتها هاتفها وأوصلته بسماعة للأذن وحشرتهما داخل أذنيها، لتستمع إلى بعض الموسيقى الناعمة التي تحمل بعض الكلمات الرومانسية الحالمة كي تهدأ أعصابها وتجعلها تبدأ في العمل

بالفعل بدأت في العمل، لكن صورته كانت تقفز في عقلها أحياناً

باسماً .. غاضباً .. محباً .. مازحاً .. شزراً .. حنوناً .. مخيفاً .. عاشقاً

تعترف ...

هي تعشقه حد خوفها منه، وتخافه حد عشقها له

انتهى موعد العمل وغادرا زميلاها بالغرفة، أما هي فظلت كما هي منكبة بوجهها على الأوراق أمامها، تخط بقلمها عليها بكل دقة وتركيز وقد رفعت خصلات شعرها إلى أعلى بشكل عفوي وسمعات الأذن لازالت بأذنيها

لم تشعر به عندما دخل إلى الغرفة متابعاً إياها في صمت، ثم اقترب بخفة ووقف جانبها وهي لازالت لاتشعر به، فمد يده ونزع إحدى سمعات الأذن من أذنها

أجفلت قليلاً وهي تنظر له بابتسامة، فبادلها بأخرى وهو يقول بحنان:

- اية اللي مقعدك لحد دلوقتي ياحبيبي؟

مدت يدها تشير للأوراق أمامها وهي تقول بحزن:

- لسة مخلصتش

- واية يعني ؟

أمالت رأسها وهي تنظر له قائلة:

- المفروض إني اخلص كل التصميمات دي النهاردة

مد يده لينزع القلم الذي وضعته بين خصلات شعرها لينسدل على كتفيها، وهو يقول:

- ومين اللي قال كدة؟

ابتسمت وهي تقول بمراوغة:

- مديري

- مدير على نفسه مش على حبيبي

قالها وهو يشدها من يدها لتقف أمامه، فضحكت هي ثم قالت:

- بس دة مفتري جداً.. وهيتعصب لو مخلصتش الشغل دة النهاردة

رفع خصلة تدلت على جبينها وهو يقول:

- متخافيش مش هيقدر يعملك حاجة

وسحبها إلى الخارج بعد أن حملت حقيبتها وركبا سيارته كي يصلها إلى بيتها

كانت تتأمله طوال الطريق، فنظر لها وابتسم، ثم ضم رأسها إلى صدره وهو يكتم داخله خوفاً ينهش عقله لأجلها

وصل إلى منزلها وودعها بقبلة على يدها وكاد أن يؤكد عليها توصيته لها بألا تؤذي نفسها ولكنه تراجع في أخر لحظة واكتفى ببسمة وبادلته هي أخرى وانطلقت إلى بيتها

أما هو فرفع هاتفه إلى أذنه ليقول:

- أيوة ياعمو أنا نص ساعة بالظبط وهكون في العيادة عند حضرتك

وانطلق حتى وصل إلى تلك البناية التي يوجد بها عيادة الطبيب دخل وجلس أمامه بعد

مصافحة ودودة منه، كان لا يعرف من أين يبدأ حديثه، فقال الطبيب بود:

- خير يابني قلقتني عليك

- لا ياعمو أنا بخير هو الموضوع مايخصنيش أنا

صمت قليلاً ثم تابع:

- هو يخص واحدة صاحبتي

- خير مالها

- مش عارف بصراحة هي بيجلها حالة غريبة أنا مش فاهمها

- خير كل مشكلة وليها حل متقلقش احكيلي اية اللي بيحصلها؟

*****

دخلت أسيل إلى منزلها بجسدها لكنها تركت عقلها وقلبها مع ملك حياتها وحبيبها مالك

خلعت حذاءها وتركت حقيبتها على الأرض جانبه واتجهت إلى غرفتها، وقفت أمام المرآة لترى نفسها بشكل جديد لم ترى تلك الملامح من قبل لكنها أعجبتها أكثر

فمن لا تعجبه تلك الابتسامة المشرقة التي زينت ثغرها ووجهها الذي أصبح أكثر إشراقاً ووجنتيها اللاتي صبغتا بحمرة العشق؟

هي عاشقة والعشق يصنع المعجزات

خلعت ملابسها ونظرت لجسدها العاري بالمرآة

ولأول مرة تراه جسد جميل وليس ذنب

جسد يستحق أن يعيش ولا يُجرح

جسد يستحق أن يظل جميل ولا يُشوه

ملست على ساقيها كأنها تطلب منها السماح على ما إقترفته في حق جمالها

وتذكرت شيئا هاماً فتوجهت لتجلس على طرف الفراش ومدت يدها في مكانها السري لتخرج بسكينها الذي طالما ألمها

نظرت له بغضب وتنفسها بات بصوت عالي

كانت كالتي تجاهد نفسها

وفي النهاية ألقته في صندوق القمامة الصغير الذي وُضع بجانب فراشها وجلست تحدق فيه وهو مُلقى داخله حتى هدأ تنفسها

قررت أن تطوي تلك الصفحة البائسة من حياتها فأغمضت عينها كأنها تحذفها من ذاكرتها

وقامت وارتدت قميص قطني قصير ودلفت إلى فراشها وتدثرت ومدت يدها تغلق الضوء وأغمضت عينها وابتسامة تنير وجهها وصورة مالك تملئ خيالها

*****

رد الطبيب بثقة:

- أكبر غلط إنك تتخيل إنها ممكن تبعد عن عادة زي دي بسهولة كدة.. يعني مجرد ما تقولها كدة غلط ومتعملوش تاني هيحصل؟ لا طبعا

وتابع موضحاً:

- دة مرض زي أي مرض محتاج وقت عشان تتعالج منه.. التحفيز أكيد مهم.. لكن

انت قلت بنفسك إنها لما بتكون مضايقة أو مخنوقة بتعمل كدة.. معنى كدة إنها مع أول حاجة هتضايقها هترجع تاني.. ودي حاجة لازم نتوقعها

بانت على مالك ملامح الإحباط وهو يتابع حديث الطبيب الذي ابتسم بدوره قائلاً:

- متقلقش أوي كدة الموضوع سهل وفي بدايته

- في بدايته؟

قالها بفزع وهو لا يكاد يصدق ماذا يمكن أن يحدث لها أكثر مما هي فيه:

- بص يامالك اللي عندها دة يندرج تحت حالة مرضية تسمي الماسوشية.. أساسه أو معناه

العلمي هو الاستمتاع بالألم أو حب تعذيب الذات

امتعص وجه مالك وهو يستمع لكلمات الطبيب، فاضاف مطمئناً إياه:

- بس كلنا ممكن يكون عندنا نسبة من الماسوشية

ضيق مالك ما بين عينيه بعدم تفهم، فتابع الطبيب:

- زي مثلا الناس اللي بتحب تتفرج على أفلام رعب أو يركبوا ألعاب فيها نسبة خوف عالية، ده علمياً يندرج تحت تعذيب النفس بوضعها في مواقف تأذيها زي الخوف

خلع عويناته وهو لازال يتابع:

- الماسوشية مش بس ألم جسدي ملموس ممكن تكون كمان في ألم نفسي.. عشان كدة قولتلك إن حالة صاحبتك لسه في بدايتها وممكن علاجها بسهولة

- طب معلش ياعمو اية المراحل اللي ممكن توصلها لو حالتها ساءت؟

- والله ده بيختلف مع كل مريض وظروفه.. في ناس بتوصل معاها لإنها متقدرش تحقق إشباع جنسي غير لما تحس بالألم ودة السائد.. وفي ناس بيطور معاهم الموضوع أكتر وبيتجهوا للإيذاء النفسي عن طريق الشعور بالذل والمهانة.. ودول طبعاً ممكن يقعوا ضحية ناس يستغلوهم ويتمادوا في

إهانتهم وذلهم. . فأرجو إنك تنتبه على صاحبتك

- ياه دة الموضوع طلع كبير

قالها ببؤس، فقام الطبيب وجلس أمامه ورتب على فخذه قائلاً:

- متخافش هتعدي.. وأي حاجه تحصل ضروري تقولي وأنا هبقى معاك وأقولك تتصرف ازاي

رد بامتنان:

- متشكر جداً ياعمو

- بس واضح إن صاحبتك دي مهمة أوي عندك

قالها مازحاً، فرد مالك سريعاً بتوتر حاول أن يخفيه ولكنه فشل:

- لا أبداً دي مجرد صديقة مش أكتر

- تمام

واستدار مرة أخرى ليقبع خلف مكتبه ويمسك بقلم ويكتب في ورقة أمامه، وهو يقول:

- أنا هفتحلها ملف عندي وهتابع الحالة معاك لغاية متقدر تجبها وتيجي وأعد معاها بنفسي

صُدم مالك قليلاً وتسائل:

- هو لازم هي تيجي بنفسها هنا؟

- كدة أحسن يعني لما هعد واتكلم معاها يكون أفضل في العلاج

- أنا بس قصدي لو رفضت يعني تيجي
- لو رفضت هكمل معاك لغاية ما توافق تيجي وإن شاء الله خير

ابتلع مالك ريقه وقد هاله ما بها وتمنى أن لا يضطر إلى إحضارها إلى هذا المكان

- اسمها إيه؟

أخرجه من شروده، فرد:

- ها.. ليه عايز اسمها؟
- عشان افتحلها ملف يامالك

فرد:

- اسمها ندى.. ندى محمود
- تمام

قالها وهو يسجل ذلك الاسم الوهمي الذي قاله له مالك

أنهى الطبيب كتابة أوراقه وطمئن مالك بابتسامة وتربيتة على كتفه خلال مصافحته له

وغادر مالك بعقل مشغول وقلب مفتور على قطعة قُدت منه أصبح لا يطمئن عليها سوى بحضنه

وصل إلى منزله وبدل ملابسه وجلس على فراشه فارداً ساقيه أمامه ومستنداً بظهره للخلف، وضع كفيه وراء رأسه ونظر بسقف غرفته في صمت والحزن كان سيد المكان والحيرة كادت أن تقتل عقله

والقلب قالها بحسم

لن تعاني مجدداً ياصغيرتي

ظل على حالته تلك لفترة، ثم شعر بالضيق من حجرته فتوجه إلى الخارج وفتح حاسوبه المحمول بعد أن جلس على الأريكة

كاد أن يفتح ملفاً خاص بالشركة ولكن طرقت بعقله فكرة، فتوجه إلى موقع للبحث عن المعلومات بالشبكة العنكبوتية، وسجل بخانة البحث كلمة " الماسوشية "

وظهرت له مواضيع عدة تتحدث عن هذه الحالة التي اعتبرها البعض كحالة مرضية والبعض الأخر كميول ورغبات شخصية

كان عقله لا يصدق خاصة حينما ضغط على خانة الصور وظهرت له صور لبعض من يعانون من ذلك الشعور الشاذ

ممارسات غريبة من تقييد وضرب بالسياط وإيذاء بطرق شتى

أغمض عينيه بشدة وقد ألمه ما رأى وألمه أكثر أن حبيبته من ضمن هؤلاء البشر الذين رأوا في الايذاء الجسدي راحة وفي الألم والذل متعة

أغلق حاسوبه وهو بغير حال، أخذ نفس عميق وأخرجه ببطئ يحاول أن يهدئ به نفسه

وصورتها طرأت على عقله فجأة ورأها كما بالصور مقيدة تنازع كي تحرر نفسها لكن محاولتها جميعاً باءت بالفشل، ورأى حذاء نعله

يطرق الأرض مقترب منها بوجه متجهم رفع يده التي تحمل السوط وأنزله بقوة على جسدها فصرخت

ففتح عينه منزعجاً من تخيلاته وهو يصيح

- لا

وتنفسه صار حاد وهو يعتصر الأريكة بكفيه وجحوظ عينيه لايرى سواها أمامه

قام ولازالت دقات قلبه متسارعة، ارتدى ملابسه سريعاً وخرج من المنزل

ركب سيارته وهو لا يفكر واتجه إلى بيتها، وهناك أوقف السيارة ونزل منها ورفع بصره ينظر إلى شرفة منزلها، غرفتها تبدو مظلمة من الشرفة، نظر بساعته فوجدها الثانية صباحاً

يعلم أن الوقت متأخر لكن قلبه لن يهدأ دون أن يراها ويطمئن عليها

ظل واقف قليلاً، لكنه تخيلها تجلس أرضاً في غرفتها المظلمة تمسك بيدها سكينا حاد تشرح به قدميها باستمتاع وهمي باسم الماسوشية

وحينها لم يفكر كثيراً وترك قدميه يسرعان في صعود الدرج حتى وصل عندها ودق الجرس وانتظر لحظة ولكن قلقه جعله يدق أكثر وأكثر وبشكل مستمر

استيقظت هي على صوت ذلك الجرس المزعج، لم تنظر إلى الساعة فقط قامت وعلى غير عادتها تنظر من خلف الباب فرأته وفتحت مسرعة دون تفكير

تنفس هو الصعداء حين رأها تقف أمامه

شعرها لم يكن مرتب، وجهها يبدو عليه النعاس ترتدي قميص قطني من اللون الأبيض وقصير يظهر ساقيها اللاتي اطمئن أخيراً أنهما لا يقطرا دماً كما تخيل

ابتسم بوجه منهك وبدون أي كلمة هدأ قلبه بضمة منه لها

ترك رأسها يغوص بصدره وظل هكذا لفترة، رفعت هي رأسها وتسائلت بوجه قلق:

- انت كويس؟

فأومأ برأسه، ثم قال:

- أنا كويس طول ما انتي كويسة.. مش انتي كويسة؟

- اه ياحبيبي كويسة

فقال بابتسامة حرجة:

- معلش جيت في وقت متأخر وصحيتك من النوم

- ازاي بتقول كدة انت تعمل اي حاجة وأنا مبسوطة إنك جيت

قالت جملتها الأخيرة وهي تفسح له الطريق كي يعبر إلى الداخل، فجلس على الأريكة بعد أن دخل وجلست هي جانبه فاستدار يحتضن وجهها بكفيه قائلاً:

- وحشتيني أوي

- انت بقي موحشتنيش

فنظر لها بدهشة فتابعت بابتسامة صادقة:

- عشان انت على طول معايا وشايفاك
قودامي حتى لما بغمض عنيا بشوفك

وكأنها أذابت كل ذراته بحديثها فاقترب منها بهدوء وترك شفتيه يقطفا ثمار شفاها في قبلة طويلة غيبتها عن الدنيا

** ** ** **

إكرام يوسف

.. الفصل الرابع عشر ..

قبلته كانت كالحلم لم ترد أن تصحو منه أبداً لكنها صحوت منه لتغرق بعمق عينيه الناظرة إليها وهو يزال محتضناً وجهها بيديه، ابتسم بعيون تملئها العشق وهو يقول:

- بعشقك يابطتي

قفزت السعادة على وجهها ولم تتحدث فقط دلفت إلى حضنه وأغلقت عيناها وهي تشعر بالأمان، وملس هو على شعرها بحنان وهو يقول:

- شكلي اتعودت إني أكون جمبك على طول

رفعت رأسها قليلاً تنظر بعينيه وهي تقول:

- أنا لو فضلت عمري كله في حضنك مش هزهق

ربت على وجنتها بحنان وظلا هكذا فترة، وقال هو بعد أن لمح دمية صغيرة ملقاه على جانب من الأرض:

- عروستك دي؟

- اه.. كانت صاحبتي زمان ومكنتش بتفارقني في أي مكان حتى لما بنام

- ودلوقتي؟

نظرت له بعينين يملئهما الكثير من الأسى وهي تقول:

- كبرت

- بس انتي لسه صغيرة

- مهو مش بالسن.. جوايا أكبر كتير من سني

تنهد بألم ثم قال:

- جواكي هيكون أحسن كتير بعدين متقلقيش

وضمها وهو يربت على رأسها، ثم قال فجأة بحماس ليخرجها من حالة الحزن التي سيطرت عليها:

- عايز أشوف أوضتك.. إشمعنى انتي شوفتي أوضتي

ابتسمت بطفولة وهي تقول:

- مش حلوة زي أوضتك

- أشوف وأقول رأيي بنفسي

ضحكت بصوت وهي تقوم وتمسك بيده ليقف بعدها وتسحبه إلى الداخل قائلة:

- تعالى شوف بنفسك

دخلا إلى غرفتها وأخذ هو يتفقد محتوياتها التي لم تكن بالكثيرة

فراش وثير يتوسط الغرفة عليه شرشف مبعثر الأطراف ووسائد قطنية، ودولاب صغير يقف في جانب الغرفة، ومرآة متوسطة على الجانب الأخر وُضع عندها منضدة متوسطة وقد اصطف فوقها بعناية الكثير والكثير من حاويات مستحضرات التبرج بجميع أشكالها وأحجامها

نظر لها بابتسامة وهو يقول مازحاً:

- كل الحاجات دي بقى عشان تخبي عنا الجمال دة

قال كلمته الأخيرة وهو يملس على وجنتها بلطف مما جعلها تبتسم بسعادة وخجل بنت بريئة لازالت تقطن داخلها

تجول قليلاً في الغرفة ليرى منضدة صغيرة وضعت جانب الفراش وُضع عليها إطار خشبي يحمل صورة فوتغرافية

مد يده والتقطها ونظر بها بابتسامة

كانت صورة لها في عمر التاسعة عشر ترتدي قميص فضفاض من اللون الأبيض حشرته داخل تنورة فضفاضة من اللون الأزرق الغامق وقد جدلت شعرها في جديلتين محكمتين كأزرار

قميصها ويتخللهما شرائط من اللون الزهري وتقف بشكل منضبط وابتسامة خجل تنير ثغرها

- دي انتي؟ مش معقول

بادلته الابتسام وهي ترد:

- عندك حق ساعات بحسها مش أنا

نظر لها قليلاً بعمق وهو يقول:

- بس انتي هي.. وهي انتي

صمتت تفكر في حديثه وانتبهت فقط حين تحدث متابعاً:

- انتو الاتنين أسيل

وأضاف:

- بطتي

فابتسمت وهي تملئ عيناها بملامحه، فانحنى يرجع صورتها إلى مكانها فوقعت عينه على صندوق القمامة الذي وُضع جانب فراشها أرضاً، ولفت نظره ذلك السكين المُلقى به وظل ناظراً به قليلاً حتى نطقت هي:

- أنا رميته عشان أنا هسمع كلامك ومش هعمل كدة تاني

رفع بصره واقترب منها وأمسك ذراعيها وشد عليهما وهو يقول بابتسامة صادقة:

- انتي رميتيه عشان انتي حبة تتخلصي من أي حاجة بتأذيكي.. عشان انتي متستهليش كدة.. عشان انتي أقوى منه.. وأقوى من أي حاجة ممكن تسيطر عليكي

نزلت الدموع من عينها وابتسامة مشرقة تنير وجهها، فمسح الدموع بأنامله فقالت بحروف باكية:

- أنا قوية بيك يامالك

فضمها إلى صدره وحديث الطبيب لازال يرن بعقله

- مع أول حاجة هتضايقها هترجع تاني

فضغط على رأسها قليلاً يريد أن يخفيها بجوفه حتى لا يضايقها أحد

فرفعت رأسها لتقول بابتسامة مازحة:

- شفت بقى مش قولتلك أوضتك أحلى من أوضتي

- بالعكس أوضتك جميلة زيك يابطتي

فذهبت لتجلس على طرف الفراش وهي تقول:

- يبقى خلاص زي ما أنا نمت على سريرك انت كمان هتمام على سريري

نظر لها نظرة لم تراها بعينيه مسبقاً ولم تفهمها لكنها أشعرتها بالخجل فقالت بتلقائية:

- وأنا هنام برة

أومأ برأسه نافياً وهو لا زال على نفس نظرته الراغبة

- لا.. أنا اللي هنام برة خليكي انتي هنا

وتحكم بكل ما يثور داخله وخرج ليجلس على الأريكة

بعد القليل من ذهولها من نظرته خرجت خلفه لتقول:

- على فكرة في أوضة نوم تانية تقدر تنام فيها أحسن من الكنبة

فرد وهو يخلع حذاءه ويمُد جسده فوق أريكتها:

- لا.. أنا هرتاح هنا أكتر

- طب ليه ما فيه أوضة تانية تقدر تنام فيها

نظر لها بنصف عين وهو يقول:

- قلت لا.. روحي نامي ياأسيل

فرحلت من أمامه وهي تقول بغيظ:

- عِنَدي

دلفت إلى الغرفة الأخرى، وأحضرت وسادة وغطاء، ودثرته بالغطاء، فبادلها بابتسامة ممتنة فجثت هي على ركبتيها لتدس الوسادة أسفل رأسه بعد أن رفعها قليلاً، فقال بامتنان:

- أنا كدة هاخد على الدلع دة على طول

فلمست وجنته وهي تقول بحنان:

- إدلع زي ما انت عايز ياحبيبي

فتعالت ضحكاته بعد أن سألته ببلاهة:

- هو انت بجد ؟

- بجد ازاي يعني؟

- يعني انت حقيقي؟

واتسعت ابتسامته وهو يداعب وجنتها بأنامله

- لو محتاجة تتأكدي أنا ممكن ألطشك قلمين عشان تصدقي إنك مش بتحلمي

أنزلت يده عن وجنتها وهي تقول بغيظ مصطنع:

- بطل رخامة.. أنا بتكلم جد

وتركت عيناها تغرق في بحر عينيه وهي تتابع:

- انت غير أي حد.. غير أي حد عرفته قبل كدة.. مفيش حد خاف عليا كدة زيك.. مفيش راجل كان معايا كدة.. مفيش راجل فكر فيا غير عشان عايز مني حاجة

وشعرت بالخجل وقتها وزاغت بعينيها عنه فرفع هو وجهها بأنامله كي تنظر إليه وقال:

- قلتلك قبل كدة إن محدش شافك زي ما أنا شايفك.. محدش شاف الجوهرة اللي جواكي.. وبعدين مش كل الرجالة بيفكروا بنصهم التحتاني

ابتسمت بخجل فضمها إلى صدره وهو يبتسم، ثم قال مازحاً:

- يلا بقى إدخلي أوضتك ونامي لأن ممكن يحصل حاجات مش كويسة حالاً

رفعت رأسها تنظر لوجهه باستغراب قائلة:

- انت إيه ما تستقر على حالة بقى لغبطني معاك

ضحك ثم قال:

- طوعيني هقوملك.. يلا على أوضتك

- حاضر

قالتها بنعومة ثم انحنت بوجهها على وجهه وقبلته على وجنته قائلة:

- تصبح على خير

ودلفت إلى غرفتها وتسطحت بجسدها على الفراش وابتسامة عشق تنير وجهها، ثم مدت يدها والتقطت صورتها من على المنضدة جانبها ملست على ملامحها البريئة بها ثم قربتها من شفاها وقبلتها ووعدتها قائلة:

- خلاص يا أسيل مفيش حزن تاني.. دلوقتي بس هتفرحي

ووضعتها جانبها، واحتضنت وسادة جانبها تُسكِن داخلها حنينها إلى مالك، وأغمضت عيناها ولازالت الابتسامة تنير وجهها

*****

استيقظت مبكراً على غير عادتها وخرجت من غرفتها بهدوء فوجدته لازال نائماً كما توقعت تأملت ملامحه لدقائق، ثم توجهت إلى المطبخ في هدوء، وشرعت في تحضير الفطور لهما

مر وقت قليل وهي منشغلة بتحضير بعض الأصناف، البيض بالجبن والزيتون وحلقات البطاطس المقليه وعليها نثرة من التوابل تجعل رائحتها شهية وجبن بالزعتر وزيت الزيتون ورقائق الخبز المحمص

أجفلت حينما سمعت صوته خلفها يصدر صفيراً فنظرت له ضاحكة، فقال هو:

- مكنتش أعرف إن بطتي شاطرة في المطبخ كمان

ابتسمت وهي ترد:

- دة مجرد فطار

واقتربت منه لتعدل ياقة قميصه، وهي تقول بفخر:

- اللي قودامك دى كانت شايلة مسئولية بيت كامل.. ماما كانت شايلة إيديها من كل حاجة وملبساني

ابتسم بحنان وهو يمسك بيديها:

- بس بطتي طلعت قدها

وقبل يديها، ثم رفع عينيه ينظر بعينها قائلاً

- إنسي.. إنسي كل حاجة حصلت وكل حاجة ضايقتك

كانت ابتسامتها تحمل مرارة الماضي وهي ترد:

- طول ما أنا معاك عمري ما هحزن تاني يامالك

فضمها إلى صدره قائلاً:

- أكيد ياحبيبة قلب مالك

وأعلن جرس الفرن على إتمام تحميص الخبز فتركت حضنه وتوجهت لإخراجه وهي تقول:

- ثواني والسفرة هتكون جاهزة على بال ما تغسل وشك

- تمام يابطتي

وتركها ودخل الحمام، وهناك كانت عينيه تتفحص كل ركن فيه، يتأكد من عدم وجود أي شئ ممكن أن تؤذي نفسها به، وهدأ قليلاً عندما اطمئن لعدم وجود أي شئ يؤذيها هنا

كانت هي قد رصت الأطباق على السفرة حينما خرج من الحمام ووجدها تقف أمام المائدة بابتسامة ساحرة، فتوجه نحوها وانحنى مقبلاً يدها قائلاً بحب:

- تسلم إيديكي

وسحب كرسي لتجلس عليه وهي تشعر بالسعادة وجلس في المقعد المقابل لها

بدأ يأكل وهي كانت تتابعه بين الحين والأخرى، تتابع تفاصيله في عشق وهي تهنئ بصباحها الذي بات يحمل رائحة الجنة جانبه

انتهيا من تناول فطورهما وساعدها في جمع الأطباق وتنظيف المائدة، وانتظرها حتى بدلت ملابسها، وغادرا منزلها إلى منزله كي يبدل ملابسه سريعاً، وتوجها إلى العمل

وهناك فقط افترقا بشكل مؤقت، حيث توجه كل منهما إلى مكتبه

ليشرع هو في متابعة كافة الموظفين ودراسة طلبات العملاء، وهي إتجهت إلى تكملة ما طلبه

منها أمس وهي تتذكر كيف كانت سعيدة عندما أرغمها على مغادرة المكان دون أن تكمله

- مجنون

قالتها في نفسها، وقد اقتنعت داخلها أنه متناقض حد الجنون

لكنه جنون ممتع ويعجبها

خرجت من بحر أفكارها على صوت هيثم زميلها ورفيقها في الغرفة:

- أستاذ مالك طالبك على التليفون ياأسيل

فقامت والتقطت سماعة الهاتف ورفعتها إلى أذنها بعد أن تلقطت نظرة غيظ من سماح ولكنها لم تهتم، وردت بهدوء:

- ألو

ليأتيها صوته الجاد حازماً:

- الشغل اللي معاكي من امبارح يكون على مكتبي حالاً

ليقع قلبها في أخمص قدمها وعقلها يراجع شعورها بمتعة جنونه التي باتت تخشاها

فتابع هو بصرامة:

- يلا

- حاضر

متهتكة بحروفها

وتوجهت إلى مكتبها تلملم أوراقها من فوقه وخرجت من الغرفة وهي واجمة

إكرام يوسف

وعقلها يحدث حاله بلا شئ أو ربما شئ غير مفهموم

إنما في الواقع هي كادت أن تفقد عقلها من أفعاله

طرقت على باب مكتبه فأتاها صوته بنفس نبرته الجامدة:

- ادخلي

فدخلت في صمت وأغلقت الباب خلفها فوجدته منكباً على بعض أوراقه وبين أنامله لفافة تبغ أوشكت على النفاذ، فنظر نحوها وهو يدعس لفافته في المرمدة، ثم قال:

- فين التصميمات؟

استجمعت شجاعتها وبقايا عِنادها وهي تقول:

- أنا لسه مخلصتهاش

- ليه؟

عجزت عن الرد لثواني، أو ربما كان عقلها يحاول أن يستوعب الموقف

فردت بوجه محتقن بالدماء:

- عشان انت اللي قولتلي أكملهم النهاردة عادي

- أنا؟

كاد الدخان أن يخرج من أذنيها وهي ترد بغيظ طفلة متهورة:

- أيوة انت.. بطل تجنني

تعالت ضحكاته، وقام ليقترب منها ورفع سبابته أمامها وهو يقول:

- لا أنا أخدك مجنونة لوحدك متلبسهاليش
- دة أنا اللي باينـي لبست

أرجع رأسه إلى الخلف وهو يضحك، ثم داعب أنفها قائلاً:

- خليكي فاكرة إني قلتلك بلاش

هز كتفيه بلامبالاه وهو يتابع:

- ولو عايزة ترجعي في كلامك إحنا فيها
- لا بقي انسى.. أنا لازقة وقعدة على قلبك مهما تحاول

فتبدلت نظرته لتملئها الحب وهو يقول:

- ومين هيسمحلك أصلا إنك تغيري رأيك؟

كادت أن تبتسم، لكنها بترت ابتسامتها حينما لمس وجنتها واقترب من فمها يلثمه قبلة

والقبلة في شريعة العاشقين ميثاق

الميثاق ألا يفترقا

طرقات على الباب شقت الميثاق، وابتعدت الشفاه لكن النظرات ظلت مترابطة، فدخلت نسرين لتعرض عليه بعض الأوراق ورحلت

كانت أسيل لا زالت تنظر أرضاً بابتسامة خجلة بعد أن جلست على المقعد أمام مكتبه

فتوجه ليجلس على المقعد المقابل لها وهو يتحدث بجدية:

- عندك حاجتين مهمين هتعمليهم

إكرام يوسف

فنظرت له تحثه على المتابعة، فتابع هو:

- أولاً هتخلصي التصميمات دي النهاردة.. ثانياً بقى .....

وأمسك بعلبة موضوعة على مكتبه ثم تابع موضحاً:

- دة كريم أنا بعت جبتهولك من برا.. دة مع المواظبة هيشيل كل الأثار اللي مضيقاكي في رجلك.. ويرجع رجلين أسيل الجميلة تاني.. عشان تقدر تلبس الفاستين القصيرة اللي بتحبها

ابتسامة حنان دفئتها، ويده التي وضعت العلبة بيدها، وصوته الملئ بالحماس:

كل حاجة هتبقى أحسن

فنظرت له ممتنة وهي تقول:

- شكراً

فقال وهو يعود إلى مقعده:

- دة واجبي ياحمارة.. ماسمعش منك كلمة شكراً دي تاني

وكانت وجنتيها بلون ثمار الكرز وابتسامتها تضيف لمعة على ملامحها وهي ترد:

- حاضر

وغادرت وهي تحمل العديد من المشاعر المتداخلة، ولكن كان أهمها

أنها عاشقة

*****

ومرت الأيام التي لم يعدوها

فكيف نحسب أغاريد العشق؟

وكيف نحصي بساتين الحب؟

وكيف للمتحبان أن يفيقا من الغرق في بحر الهيام؟

صباح ككل صباح بينهما تستيقظ على رنة هاتفها باسمه

وجملة "صباح الخير" منها تنعشه ليقفز من فراشه ويبدل ملابسه

وصباحها لا يكتمل بدون "أنا تحت يلا انزلي"

فتركض حاملة حقيبتها الصغيرة، وتأكل بقدميها درجات السلم حتى تصبح أمامه، ويترجل ليفتح لها باب سيارته لتركب، ويركب جانبها وينطلقا إلى العمل

لكن تلك المرة عندما ترجل ظل واقف أمامها قليلاً مندهشاً من هيئتها ثم قال:

- إية اللي انتي لابساه دة؟

كانت ترتدي بلوزة حريرية من اللون الأبيض حشرتها داخل تنورة سوداء قصيرة لدرجة أنها تكشف عن معظم ساقيها

فردت بوجه ممتعص:

- وحشة؟

فأمعن النظر إلى هيئتها مرة أخرى وهو يري لوحة فنية يزينها جمال ساقيها الخالية من أي أثار للجروح ولأول مرة

فقال بابتسامة:

- لا ياحبيبي انتي قمر في كل حاجة

وتابع وهو يغمز باحدى عينيه:

- بس أنا مكنتش أعرف إن رجليكي حلوين أوي كدة

فلكزته على صدره بخفة وهي تعبر أمامه وتتجه نحو سيارته قائلة بمزاح:

- سافل

ليرد وهو يفتح لها الباب لتركب:

- قديمة

فضحكت وهو شاركها، ثم نظر بعينيها بعمق قائلاً:

- أنا كنت عارف إنك قوية وهتقدري ترجعي وأحسن من الأول كمان

ابتسمت بامتنان وهي ترد:

- لولا إنك معايا مكنتش قدرت

فضمها إلى صدره وهو يقول:

وأنا مش هسيبك أبداً ياحبيبي

ثم قال بحماس:

- أختي الكبيرة عايزة تشوفك

فخرجت من حضنه وهي تنظر له بدهشة قائلة:

- وهي تعرفني منين

فداعب خصلة من شعرها وهو يرد بابتسامة مشاكسة:

- أنا حكتلها على البنت اللي هتبقى مراتي

فقالت بدهشة أكبر:

- اية !

فأكد بنفس الابتسامة:

- أيوة انتي اللي أنا هتجوزها يا أسيل

** ** ** **

.. الفصل الخامس عشر ..

- أيوة انتي إللي أنا هتجوزها يا أسيل

ضيقت ما بين عيناها وهي ترد:

- انت بتتكلم جد؟

أمسك كفها بيديه ثم قال بصوت دافئ:

- إية يعني مش عارفة أنا بحبك أد إية؟

- لا عارفة.. بس متوقعتش إنك تكون عايز تتجوزني

- ومتجوزكيش ليه بقى؟

ردت بعفوية:

- عشان انت عارفني وعارف كل الحاجات اللي كنت بعملها وعارف كل البلاوي بتعتي

نظر أمامه بملامح أخرى قاتمة ثم توجه ببصره نحوها وهو يقول:

- وإية اللي فيها؟ انتي كنتي بتدوري على الحب.. بتدوري على حد يحتويكي.. مش غلطتك إنك كنتي مع شوية ذكور مفهموكيش

- غلطان يامالك.. مكنتش بدور على الحب فيهم.. أنا كنت بنتقم من نفسي معاهم

وكانت إجابتها بالطبع داخلها والصمت كان له، فضمها هو إلى صدره متابعاً بحنان:

- أنا بحبك وعايز أكمل حياتي معاكي.. مش مهم أي حاجة فاتت.. مفيش أهم من إن إحنا نعيش مبسوطين

وقبلة على جبينها ذكرتها بحقيقة زواج تكره ذاكرتها معه

وقاد ذلك الحالم العاشق سيارته متجهاً بتلك التي يكاد عقلها ينشق بسبب تلك الكارثة التي وقعت فوقها

وفي العمل توجه كل منهما إلى مكتبه بعد أن ودعته بابتسامة مزيفة

كان هو فرحاً سعيداً، فقد تعافت حبيبته من مرضها كما ظن متناسياً حديث الطبيب له من إحتمالية عودتها مع أي شئ يضايقها

نسى أو تناسى وبدأ يرسم الخطط والأحلام الوردية لعش الزوجية الهادئ المفعم بالحب

وهناك ستكون هى بأمان بحضنه دائماً، يغمرها بحبه ويحتوي كل ما فيها ويغدق عليها بحنانه الجارف وينهل من عبيرها العشق أنهاراً

أما هي فدلفت إلى الغرفة التي بها مكتبها والتي لم يكن بها أحد فلازال هناك نصف ساعة على مواعيد العمل، لكن مالك أراد أن يكون بالعمل

قبل الجميع لكي يحضر لمقابلة عمل هامة مع أحد أهم عملاء شركته

جلست خلف مكتبها وهي لازالت واجمة وتفكر في ما قاله لها مالك في سيارته

حديث ذكرها

بيده التي كانت تقبض على رقبتها تخنقها وتثبتها بالجدار

ويده الأخرى التي تصفعها على وجهها صفعات متتالية بلا رحمة

وفحيح صوته الذي يحمل سُم الأفاعي داخله:

- انتي مراتي وأعمل فيكي اللي أنا عايزه

هزت رأسها بألم تريد أن تخرجه وذكراه من رأسها، أخذت القليل من هواء الغرفة وأخرجته من أنفها بهدوء وهي تقول لعقلها:

- انسي.. انسيه يا أسيل

ولكن عقلها لا ينسى ولم ينسى

ولازال يتذكر كل شئ

منذ البداية .....

كان أخر يوم باختبارات نهاية عامها الدراسي الأخير بالجامعة، رجعت إلى المنزل بعدها فوراً بعد أن فشلت في إقناع والدتها بالخروج مع رفيقاتها للتنزه بعد تعب المذاكرة طوال أيام الإختبارات

فودعتهم وتمنت لهم نزهة سعيدة وعادت إلى المنزل تحمل غصة داخلها ربما تعودت على وجودها

فهي ليست مثل أي فتاة قابلتها

هي الفتاة التي ليس لها رأي ولا يأبه أحد بمشاعرها

حتى والدها الحضن الدافئ الذي كان يغدق عليها بحنانه وقت غياب والدتها عن المنزل رحل عن دنياهم منذ عامان

رحلت الشجرة الصامتة التي لا تتحرك من مكانها ولا تثمر أي نوع من الثمار

رحلت وحرمتها حتى من ظلها

هكذا كان هو دائماً بالنسبة لها

ظِل

مجرد ظِل لأمان وهمي من سيطرة أمها التي كانت تطوله هو شخصياً في بعض الأحيان

ومات الظِل

ولم تتغير حياتها كثيراً

فتحت الباب بالمفتاح لتدخل على صوت ضحكات والدتها بالهاتف، من المؤكد أنها تتحدث لأحد صديقاتها كالعادة

تنهيدة صغيرة منها وهي ترى الفوضي أمامها بكل مكان، فقد كانت بأجازة من أعمال المنزل طوال فترة الإختبارات، ومكافئتها أن تحاول السيطرة على ما تم إفساده في تلك الأيام

وضعت حقيبتها جانباً على الأرض وخلعت حذاءها، لتجد أخيها ذو الأربع أعوام يركض نحوها محتضناً إياها، فقبلته بسعادة وهي تحاول مسح وجهه من أثار الشيكولاتة بمنديل كان بيدها، وحاولت أن تهندم قليلاً ملابسه رغم ركضه إلى الداخل بسرعة

دخلت خلفه مسرعة فوجدت والدتها تجلس على الأريكة أمام التلفاز الذي أخفضت صوته وتتحدث بالهاتف

وما أن رأتها والدتها حتى استأذنت من صديقتها وتوجهت بالحديث إلى أسيل قائلة بلهجة صارمة كالعادة:

- جهزي نفسك وانضفي كدة في ناس جايين النهاردة بالليل

- ناس مين؟

فقالت بنبرة عالية:

- انتي هتقفي تتسايري معايا.. شوفي أخوكي الزفت هبب إيه

وكانت تشير بيدها إلى موقع خلف أسيل، فاستدارت أسيل تنظر له لتجده يقف بكل براءة ويمسك بكلتا يديه كوب به القليل من العصير وقد سكب معظم الكوب على ملابسه

فاتجهت إليه مسرعة وحملته بسرعة إلى الحمام وهناك خلعت كل ملابسه ونظفت جسده وبدلت الملابس بأخرى نظيفة

ونظرة براءة منه جعلتها تبتسم وتقبله وأخذت بيده إلى الغرفة وأجلسته أرضاً أمام بعض من ألعابه المفضلة فنظر لها قائلاً:

- جعان

- حاضر ياحبيبي هجبلك تاكل

كادت أن تخرج من الغرفة لكنها عادت مسرعة حين نطقها بهدوء:

- عايز بيبي

فحملته مسرعة إلى الحمام مرة أخرى، وما إن بدأت تخلع عنه ملابسه حتى اكتشفت الأمر، فنظر لها بدهاء الأطفال قائلاً:

- أنا قلت

فردت بغيظ:

- وأنا قلت تقول قبل ما تعملها مش بعد ما تعملها

فابتسم ببلاهة، أو ربما هو الذي يراها بلهاء حين عاد وجهها لهدوءه وهي تعيد ما فعلته منذ دقائق مرة أخرى

تخلع ملابسه تحممه وتلبسه ملابس نظيفة

وحملته مرة أخرى إلي الغرفة بجانب ألعابه ليصرخ بها:

- جعاااان

فجرت مسرعة إلى المطبخ فرأت أنه لا يوجد أي طعام جاهز على الموقد، فيبدو أن والدتها قد أوقفت إجازتها في أعمال المنزل من اليوم

إذاً لا طعام جاهز وهي والصغير يشعرا بالجوع

والوالدة الحنون لازالت تتحدث على الهاتف

زفرت بقلة حيلة وفتحت الثلاجة وأخرجت الجبن والخبز وصنعت شطيرتين واحدة لها وأخرى لأخيها

وبعد إقناع شديد والكثير من اللعب والحيل المتعبة تناول الصغير شطيرة الجبن التي لا يحبها

وهنا دخلت والدتها زاعقة:

- انتي قاعدة تلعبي ولا حضرتي الغدا ولا جهزتي نفسك ولا حتى غيرتي هدومك

انتبهت أسيل أنها بالفعل لازالت بملابسها وردت بضعف:

- أنا كنت بأكل مهند

فأشارت لها والدتها بأمر:

- طب يلا جهزي الغدا الأول عشان طارق هيجي من الشغل جعان

- حاضر

قالتها وهي تدخل إلى المطبخ، وقد انتحرت كلمة "لماذا؟" من قاموسها

فلم يعد

لماذا أنا؟

ولماذا هو؟

ولماذا تكرهني؟

ولماذا تعاملني بهذا الشكل القاسي؟

لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟

نستهم في دوامة حياتها المتعبة التي تبدأ مع استيقاظ والدتها مبكراً وتنتهي مع نوم مهند بعد منتصف الليل

وجاء المساء بعد أن انتهت من تحضير الغذاء وجاء أخيها الكبير هامش أخر من الهوامش بحياتها

وأخذت حمام دافئ وبدلت ملابسها بأخرى انتقتها لها والدتها

فهي لم تُخلق لتنتقي أي شئ حتى أقل الأشياء الخاصة بها

وبعض مساحيق التبرج التي أحضرتها لها والدتها اليوم فقط، وهي من تمنتها منذ زمن وكانت الإجابة الرفض

فدرية فقط من تعطي وقت ما تريد ومن تمنع أيضاً وقت ما تريد

وقفت بعد ما انتهت من لمسات تبرجها الهادئة ونظرة ابتسامة على وجهها

والمخيلة ترسم أمال وردية ككل فتاة في سنها

فهو عريس كما أفصحت أمها عن ماهية زوار اليوم

والعين تعلقت بالفستان الأبيض والمنزل المريح الذي ستهنئ فيه بالحرية بعيد عن والدتها

وابتسمت لنفسها بالمرآة وهي تتخيل شكل ذلك العريس

وجهه

ملامحه

صوته

يداه

أنامله

قامته

شعرت بالخجل وبدأ قلبها يدق من فرط توترها

وحضر العريس وخرجت تلك الحالمة لتجلس أمامه وظلت ناظرة أرضاً ولم ترفع عينها إلا عندما تحدث قائلاً:

- انتي حلوة أوي

ياله من جرئ، وياله من وسيم أيضاً

وصمتت وابتسمت بخجل

والصمت سمة القبول

والعريس لا يعيبه شئ

ماله ووظيفته وشكله وحسن لباقته

ودغدغته لمشاعر تلك البتلة التي تشتاق لقطرة واحدة من مياة الندى

والتقطت السمكة الطعم

وفتنها الصياد بمحاسنه

وأصبحت زوجته بعدها بأقل من شهرين

كانت مبتهجة بكل شئ، عيناها تلمع على كل شئ يخصه

منزل كانت تتمناه أي بنت مثلها

وإن لم يكن يكفيها أنها حرة فيه

أو هكذا اعتقدت

فستان أبيض وحفل زفاف سعيد انتهى للتو

وهي تقف في منتصف تلك الغرفة الواسعة يغمرها الخجل

واقترابه منها أربكها

ويده التي رفعت وجهها لتنظر هي بعينيه وهو يقول بتملك لم تفهمه:

- معقول القمر دة كله بقى بتاعي؟

وأنامله التي ضغطت على أسفل فكها بعنف أرعبها

وشفتيه التي سحقت شفتيها بقبلة أشبة بالإغتيال

ونظراته التي باتت ترعبها

وابتسامته التي شوهها قائلاً:

- اقلعي هدومك

فأومأت برأسها نافية وهي تشعر بالخوف

وابتعدت خطوة واقترب خطوتان

وقبض على رقبتها بقبضة يده يمنع عنها الهواء ويخنقها برائحة أنفاسه

- هنا ممنوع الإعتراض

وكأن هذا الممنوع خُلق ليصير رفيقها فبات مصاحبها من منزل والدتها إلى هنا أيضاً

وتاهت أفكارها وتناثرت أحلامها لتسقط أرضاً وتتكسر تحت قدمي من قرر أن ينتزع براءتها

بالقوة حين دفعها للخلف لتسقط على الفراش فريسته وملكه بصك مأذون

لم تعرف كم مر من الوقت وهي تجلس بركن من أرضية الغرفة شبه عارية وضامة ركبتيها إلى صدرها

ترتعش وتزرف الدموع تشعر بالخوف وهي تنظر إلى صيادها الذي غلبه النعاس وقرر أن يتسطح على الفراش ويسمعها سيفونية أنفه الشجية

استطاعت بعد فترة أن تتمالك نفسها لتقوم من على الأرض ودون أن تدري اصطدم رأسها برف وضع بعناية على نحو عالي نسبياً جانب الفراش

لم تتأوه ونست ألم اصطدام رأسها حين سقط شئ من على الرف لم تفهم في البداية ما هو يبدو كحزام جلدي رفيع فرفعت وجهها تنظر على محتويات ذلك الرف لتصدم مما رأت

معظمها أشياء لا تفهم ماهيتها ولا فيما تستخدم لكن هناك ما جعلها تدرك الأمر قليلاً، فهناك العديد من السياط المختلفة في الحجم وعصي صغيرة ومختلفة الأشكال وأشياء أخرى لا تفهمها

- كدة بوظتي المفاجأة اللي كنت محضرهالك ياحياتي

فُزعت حينما سمعت صوته وتراجعت للخلف وهي تحدق به

- إيه ياحبيبتي المفاجأة معجبتكيش

- مفاجأة إية انت أكيد مجنون

قام ليجلس في الفراش وهو يقول:

- في واحدة محترمة تقول على جوزها مجنون

شعرت بالخوف فرجعت مسرعة وحاولت أن تفتح باب الغرفة، لتكتشف أنه أوصده بالمفتاح

فظلت متعلقة بمقبضه كأنه شخص سوف يحميها من ذلك الهمجي الذي قرر أن يقوم ويقترب منها في هدوء مميت، وما إن اقترب حتى كانت الصفعات تتوالى على وجهها وجسدها وهو يهدر:

- أنا بقى هوريكي الجنان بيكون ازاي

ولم تصرخ فقط استسلمت له وسقطط أرضاً فسحب أحد سياطه يلقنها به درساً لن تفهمه من أسوأ مخلوق على وجه الأرض

حسبته جنة النعيم لكنه كان الجحيم

وانتهى الأمر بجروح دامية وجسد يأن، وهو لم يهتم فقط انتهك جسدها مرة أخرى باسم الزواج وتسطح على الفراش غير مبالي بتلك التي دعسها أرضاً وقتل كل ما بها

ظلت ملقاه على الأرض حتى الصباح، لم تكن فاقدة الوعي رغم أنها تمنت الموت لكنها كانت لا تقدر على الحراك

وأخيراً حاولت أن تقوم بتأني، ألقت نظرة عليه فوجدته يغط في النوم ولا يشعر بها، لمحت

مفتاح الغرفة وُضع على المنضدة الصغيرة بجانب الفراش

بهدوء تام التقطته والتقطت قطع ملابس تستر بها جسدها الدامي

وخرجت

لم تكن تصدق أنها نجت وخرجت من المنزل بأكمله

ركضت بجسدها المنهك وأنفاسها المتهدجة على الدرج وركبت سيارتها وقادتها بوهن إلى منزل والدتها

وهناك كانت كالغريق الذي رفع وجهه فوق سطح الماء وبدأ يلتقط أنفاسه

طرقاتها على باب المنزل كانت كمعاودة ضخ الدم لقلبها مرة أخرى بعد مفارقته للحياة

دقائق وفُتح الباب وشهقت درية قائلة:

- يامصيبتي

ودخلت المكلومة والتقطها أخيها قائلاً بفزع:

- مالك ياأسيل؟

وأغلقت والدتها الباب سريعاً وإتجهت نحوها قائلة:

- انتي إزاي جيتي هنا؟

رفعت عينها تنظر بوجه والدتها التي لم تهتم حتى بحالها، لكنها صبرت نفسها

لا يهم أسيل لا حنان ولا عطف ولا حتى إهتمام يكفيكي أنك هنا بأمان

- إية اللي حصل يا أسيل؟

كان السؤال من أخيها الذي جلس جانبها بوجه مفزوع

نظرت بوجهيهما وهي تقول:

- ضربني.. مخلاش حتة في جسمي سليمة
- وضربك ليه؟

وكان سؤال والدتها يحمل إتهام أهانها لكنها تغاضت عنه وقالت بحرقة:

- عشان مجنون. . أنا اتجوزت واحد همجي ومجنون بيعشق الدم والألم.. أنا خلاص مش عايزة الجوازة دي

- انتي أكيد اتجننتي

نظرت لوالدتها التي تابعت بلا هوادة:

- انتي عارفة يعني إيه واحدة تيجي مضروبة بالشكل دة يوم دُخلتها؟

لم تصدق ما تسمع وقد اغرورقت عيناها بالدموع

فتابعت درية:

- عارفة الناس هتقول اية؟

- مش مهم الناس المهم حياتي.. حياة بنتك ياماما

رفعت درية وجهها تنظر بعيد عن أسيل وهي تقول بجمود وقد تجردت من كل مشاعر تخص الأمومة:

- انتي لازم ترجعي عند جوزك ودلوقتي حالاً قبل ما حد من الجيران ياخد باله إنك هنا

صُدمت أسيل من رد فعل أمها في حين قال طارق:

- إزاي ياماما عايزاها ترجعله بعد ما عمل فيها كدة ؟

- مش أحسن متجبلنا العار.. انت عارف إنك مش هتقدر ترفع عينك في وش حد لو فضلت هنا

نظر في الأرض يفكر، وقد هزه كلام والدته

فقامت أسيل بضعف وهي تقول:

- متخافيش مش هخلي حد يشوفني ولا هخرج من أوضتي خالص بس أرجوكي خليني هنا

ردت بحسم:

- مينفعش.. انتي ناسية إن جوزك هيجي يسأل عليكي ولا انتي فاكراها سايبة

اقتربت أسيل من والدتها تترجاها قائلة:

- مش مهم أي حسابات ولا أي حد.. المهم إني أكون هنا.. وحياتي ياماما خليني هنا

ولم يتغير وجهها وهي ترد بقرار صارم:

- يلا ياطارق عشان توصل أختك على بيت جوزها

ودلفت إلى غرفتها تاركة ابنتها تغرق في الصدمة

قال طارق والخجل يطل من عينيه:

- انتي أكيد مترضيش إننا نتأذي كلنا بسببك ياأسيل وكلام الناس مبيرحمش.. ومتقلقيش بس تعدي فترة على جوازك وبعدها اطلبي الطلاق عادي

كانت تنظر له وكأنها لا تراه وداخلها قد تجمد من هول صدمتها في أمانها الوحيد بهذه الدنيا "أهلها"

وتقدمت لتسير أمامه في صمت، وتنفذ الأوامر في صمت

كما اعتادت دائماً أن تفعل كل شئ في صمت

واليوم تقتل روحها أيضاً في صمت

** ** ** **

.. الفصل السادس عشر ..

كانت البسمة تملئ وجهه وهو يستقبل ضوء الشمس من شرفة مكتبه، يستمتع بنسمات الهواء ويتركها تداعب خصلات شعره وهو يتخيلها عروسه وملك يمينه

مد يده بجيب سترته وأخرج علبة لفائف التبغ خاصته ووضع لفافة بفمه وبحث بجيوبه على قداحتة فلم يجدها نظر على مكتبه فلم يجدها أيضاً فانتبه إلى إنه نسيها بسيارته

توجه إلى خارج وبحث عن أي أحد يعيره قداحة فلم يجد

لم يأتي أحد بعد إلى العمل فهو مبكر اليوم بالحضور إلى العمل، فتوجه نحو مكتب أسيل ربما يكون هناك قداحة بحقيبتها الصغيرة تلك التي تثير جنونه بيدها الرفيعة الطويلة التي تتدلى بنعومة من أعلى كتفها لتنزل على منتصف صدرها وتحبس خصرها بنهايتها ربما توجد بتلك النهاية الدائرية الصغيرة قداحة

دلف إلى مكتبها وعيونه تلمع بشقاوة وعقله يدبر لعبة جديدة يلعبها معاها، لكنه فوجئ بها تجلس على مقعدها وقد غرق وجهها بالدموع فتقدم نحوها بسرعة وانحنى وأمسك وجهها بين يديه نظر بعينيها بلهفة

- أسيل مالك؟ في ايه؟ اية اللي حصل؟

كلماته جعلتها ترجع من بئر ذاكرتها إلى حضنه الذي دفنت وجهها فيه وهي تبكي لألام لا يعلمها هو

ضمها لفترة وهو لا يعرف ما بها وقلبه ينتفض لصوت بكاءها وقال بصوت يحمل الأسى لأجلها:

- كفاية ياحبيبي حاولي تهدي

بدأت تهدئ من روعها وتتحسس الواقع حولها

حضنه

دقات قلبه

رائحته

أمان بات ملجأها من أي شخص كان يأذيها بالماضي

بدأت تتنفس بهدوء وتحاول أن تسيطر على رجفتها رفعت يدها وهي لازالت بحضنه تحاول أن تجفف دموعها فقال بود:

- ممكن تمسحي في قميصي عادي على فكرة

فابتسمت واعتصرها هو داخله وانحنى يضع قبلة على شعرها ثم قال:

- كفاية دموع.. مبحبش أشوف دموعك

فرفعت وجهها تنظر إليه بعينيها التي تلمع من أثر الدموع ثم قالت:

- أنا بحبك يامالك.. أنا بتنفس هواك

- وأنا بعشقك ياحبيبي

وقبلة أخرى على جبهتها

- مين اللي زعل حبيبي؟

صمتت ولم تعرف بما ترد فتابع هو:

- هي مامتك كلمتك في التليفون؟

فكرت قليلاً ثم أومأت برأسها في إيجاب ثم قالت:

- هو ينفع أستأذن وأمشي؟ حاسة مش هقدر أشتغل النهاردة

- أكيد ينفع.. هاتي شنطتك ويلا نمشي

- لا أنا هاخد تاكسي خليك انت عشان الاجتماع

- أنا مش هسيبك وخلاص الاجتماع اتلغى

نظرت له غير مصدقة وهي تقول:

- اتلغى ازاي؟

- أنا لغيته حالاً

وأخرج هاتفه وهاتف شخص ما قائلاً:

- حصلي ظرف طارق اتصل بالعميل وأجل معاه الميعاد لأخر الأسبوع

وأغلق الهاتف ووضعه بجيبه ونظر لها بابتسامة قائلاً:

- قلتلك إنه اتلغى خلاص.. يلا

وسحبها من يدها إلى الخارج وهي كالفراشة تطير معه في عالم بلا نهاية بلا حدود ولا أسوار

توجة بها إلى منزله وهناك كان حضنها الدافئ الذي رمت خارجه كل ماضيها وكل ما عانت

وأغلقت جفنيها واستسلمت لحركة أنامله على خصلات شعرها لفترة لم تحسبها فقط استمتعت بكل ما فيها

رائحته

أنامله

دفئ حضنه

والأمان في عالمه

- مفيش حشيش؟

لم يسمعها وهي تغمغم داخل حضنه فرد:

- بتقولي اية؟

رفعت رأسها عن صدره لتنظر بعينيه وهي تقول:

- عايزة أشرب حشيش

ضحك وهو يقول:

- يا مساء المزاج

قالت بعيون فرحة:

- عندك حشيش؟

قال بمراوغة:

- ليه هي شنطة أسيل مفيهاش حشيش؟

وغمز بإحدى عينيه يذكرها بيوم ما وجد بحقيبتها العديد من اللفائف المحشوة

- أسيل مش بتروح في حتة من غير مالكها دلوقتي فأكيد يعني انت عارف إني مشترتش حشيش من زمان

- اه عارف

اعتدل في جلسته وهو يتابع:

- بس أنا مش هينفع أضرب دلوقتي

- ليه؟

- احنا في البيت يامجنونة اتهدي بقى

- واية اللي يمنع يعني

احتضن رأسها مرة أخرى داخل صدره وهو يقول:

- لما تكبري هقولك

ابتسمت وشعرت بالخجل ثم رفعت رأسها مرة أخرى تسأله بفضول:

- كام واحدة جبتها معاك البيت هنا غيري؟

إفتعل التفكير وهو يحك رأسه ثم نظر بعينيها بضحكة مشاغبة قائلاً:

- اتنين

استندت برأسها على كتفه وهي تنظر له متسائلة:

- مين همة ؟

- انتي عايزة اية بالظبط؟

سألها بمراوغة فقالت بعفوية:

- والله عادي يعني مفيش حاجة.. يعني بنتسلي ونحكي

- مممم نحكي.. نحكي في ايه بقى؟

- مين همة؟ احكيلي عنهم

تنفس بأريحية وهو ينظر أمامه ثم نظر لها متحدثاً:

- أولاً أنا مش أي بنت بعرفها تقدر تيجي هنا.. يعني زي ما انتي عارفة إنه مش سهل حد يدخل جوا خصوصياتي

- عارفة

- أول واحدة كانت "ماجي" بنوتة روسية اتعرفت عليها لما كنت هناك في أجازة بتفسح وعجبتني.. بنوتة لذيذة واتصاحبنا فترة وفضل في تواصل ما بينا حتى لما رجعت مصر وجاتلي هي بعدها زيارة لمصر واستضفتها هنا

- وبعدين؟

كان يشعر بداخلها الذي كان يغلي رغم هدوء ملامحها ونبرة صوتها فتسائل بحذر:

- وبعدين اية؟

- يعني سيبتوا بعض ليه؟

- لا هي كانت مجرد مرحلة في حياتي مش أكتر.. وهي كانت عايزاني أهاجر وأفضل معاها والجو دة وانا أكيد مش هعمل كدة

- والتانية؟

كانت ملامحها باردة عكس ما يخالج صدرها، كاد أن ينفجر ضاحكاً من شكلها لكنه تابع بوجه هادئ:

- مش عايزة تشربي حاجة؟

- لا.. كمل

- متأكدة؟

- أيوة يامالك كمل

كانت نبرتها تحمل بعض الحدة ويدها تتحرك بتوتر

فاحتضنها وهو يتابع:

- التانية كانت "ولاء"

وتنهيدة منه تبعت نطقه لاسمها ثم تابع:

- كنت فاكر إني بحبها لحد ما قابلتك فاكتشفت إني اللي كنت بحسه قبل كدة دة مش حب

رفعت عيناها تنظر له وتلقت قبلة فوق جبينها منه وقلبها قد هدئ قليلاً من لوعته وابتسامة رضا نبتت فوق ثغرها وهي تتسائل ببراءة طفلة:

- اتعرفت عليها ازاي؟

- كنا صحاب في النادي

- حلوة؟

داعب خصلة من شعرها وهو يقول:

- جداً

نظرت له بغيظ فداعب أنفها بطرف أنمله قائلاً:

- بس مش أحلى من بطتي

ابتسمت بحماقة فتاة تعشق الغزل، وتسائلت:

- وليه سيبتوا بعض؟

نظر أمامه بوجوم لفترة يتذكر ما لا يريد تذكره ثم قال:

- غلطت وكان لازم تدفع تمن غلطتها

نظرت له ببعض الخوف متسائلة:

- غلطت ازاي؟

- كدبت عليا وأنا كنت بثق فيها

صدمها بكلماته لكنه لم يشعر بما يخالج صدرها وهي تقول بحذر:

- كدبت عليك في اية؟

- مكنتش بتحبني.. كانت بتقولها لكن كانت بتكدب.. واكتشفت بعدها إنها بتقابل واحد تاني غيري

التقطت أنفاسها وهي ترد:

- وبعدين؟

- سيبتها طبعاً.. وبعد فترة رجعت تعيط وتقولي كانت معاه عشان تغيظني وبس.. لكن كانت خلاص خلصت بالنسبالي

- قدرت تنساها بسهولة كدة؟

- أنا مبنساش حاجة ومبنساش حد.. بس بعرف كويس أتحكم في قلبي وأقفل الباب.. ودة اللي أنا كنت عامله فعلاً لحد ما قابلتك يابطة

ابتسمت فتابع وهو يداعب وجنتها بانامله:

- بس انتي غير أي حد وحبك في قلبي غير أي شعور حسيته قبل كدة.. انتي جوهرتي اللي هكمل معاها حياتي

- ليه عايز تتجوزني؟

استغرب سؤالها لكنه أجاب بمزاح:

- انتي عبيطة يابت؟

لكزته في صدره وهي تقول:

- جاوب بقى وبطل رخامة

فكر قليلاً ثم أجاب:

- هي الأسباب كتير بس يمكن أهمها إني عايز أخلف منك بنتي

ابتسمت ثم قالت:

- انت غريب أوي على فكرة

- اشمعنى؟

- يعني البنات دايماً هي اللي بتفكر في الأمومة وبتسعى ليها وبتكون سبب من

أسباب جوازها.. لكن الرجالة بتتجوز عشان حاجات تانية خالص

وابتسمت بخبث فصفعها بخفة على رأسها وهو يرد:

- مش قلتلك ياحمارة قبل كدة مش كل الرجالة بتفكر بنصها التحتاني

رفع وجهها واحتضنه بكفيه وهو ينظر بعينيها قائلاً:

- أيوة أنا عايز أخلف منك ومش هجيب ولاد غير منك

ابتلعت غصتها في صمت وقلبها يدق بشدة فشعر بتوترها وترجمه خجل فقال:

- ها مقولتليش تحبي تقابلي أماني أختي إمتى؟

زاغت بعينيها وهي ترد:

- بصراحة يامالك أنا خايفة من المقابلة دي متوترة جداً.. وبفكر نأجلها شوية

- ليه؟

قالها باستغراب، فردت هي:

- خلينا نأجلها بليز.. أكون مستعدة أكتر

- أنا شايف إنك مكبرة الموضوع.. قلتلك قبل كدة أنا صاحب القرار ومحدش هيدّخل فيه وهمة كلهم عرفوا إني خلاص قررت أتجوزك

- كلهم؟

تسائلت بدهشة، فرد بابتسامة:

- طبيعي ياحبيبي دة خبر الموسم وأكيد أماني نشرته.. إنتي متعرفيش هي فرحت أد إية لما عرفت

وبقدر السعادة التي كانت تتراقص بين عينيه كان ألمها

وبرغم سعادة أي أنثى عاشقة بما تسمع من بين شفتيه كانت هي غارقة في مخاوفها وأحزانها

تتمناه وتخشى قربه

تريده وتهاب جواره

هي البريئة المخادعة

الصادقة الكاذبة

وهو قارب محاط بالنيران

ولا نجاه لها سواه

مسح على شعرها وبنظرة حنون قال:

- عموماً براحتك ياحبيبي وقت ما تكوني مستعدة قوليلي

وابتسمت لتفهمه وانغمست داخل صدره تستمد الهدوء لنفسها من حضنه

تنهدت بحسرة على حب عمرها الذي جاءها بعد فوات الأوان

فهو يكره الكذب وهي تكذب من أول يوم التقته يريدها زوجة وهي لا تصلح أن تكون زوجة فهي امرأة مهترئة وهو لا يعلم شئ

شعرت بالخجل منه فقد كان فرحاً بفكرة مقابلتها مع أخته وهي ضيعت فرحته تلك

رفعت رأسها وهي تفكر في شئ تقوله ثم قالت بمشاغبة:

- بس انت مقولتليش اية موضوع حبيبي دة؟ يعني ليه بتقولي حبيبي بصيغة المذكر يعني مش بتقول حبيبتي

ابتسم وهو يرد:

- ببساطة عشان حبيبتي دي أنا ممكن أقولها لأي حد.. كنت بقولها لماما الله يرحمها بقولها لأي واحدة من اخواتي أو اصحابي.. لكن انت حاجة تانية وفي مكانة تانية خالص ياحبيبي

نظرت له بوجوم ثم قالت:

- انت بتقول لصحباتك ياحبيبتي؟

ولم يستطع أن يكبح لجام ضحكاته التي تعالت بسخرية وهو يقول:

- هو دة كل اللي لفت نظرك في الموضوع؟

شعرت بالخجل ولكنها ردت:

- لا طبعا مش هو دة أنا فرحانة إني في مكانة تانية عندك بس استغربت إنك ممكن تقول لصاحبتك ياحبيبتي

- نص كلامك الأول بيلغي نصه التاني

ونظر بعينيها وهو يتابع بصدق:

- مهما قلت ومهما بصيت ومهما كان حوليا من البنات مفيش في قلبي غيرك.. انتي غير أي حد افهمي بقى وكبري مخك عشان أنا مبحبش الغيرة والكلام الفاضي دة

- بس أنا .....

وقاطعها:

- مفيش بس.. الحوار خلصان وطلعي أفكار العيال دي من دماغك

واستسلمت وسكتت فضمها إلى صدره وهو يسألها بحنو:

- احكيلي بقى إية اللي خلاكي تعيطي الصبح

** ** ** **

.. الفصل السابع عشر ..

وكأن سقف الغرفة قد وقع فوق رأسها وهي تحاول أن تخفي توترها عنه قائلة ببعض الهدوء:

- ما أنا قلتلك ماما كلمتني وضايقتني بالكلام شوية

- قالتلك اية؟

كانت تفكر وهي تتحدث:

- مش عاجبها إن أنا قاعدة لوحدي وبتقول يا أنا أروح أعيش معاهم يا هي هتيجي تعيش معايا.. وانت عارف هي بتخنقني أد اية

- هي معاها حق

نظرت له بجمود وهي تحمد ربها أن كذبتها تلك دخلت عقله، فتابع هو بود:

- هي خايفة عليكي يا أسيل

- مش صح هي عمرها ما خافت عليا هي بتخاف من كلام الناس وبس عشان أنا قاعدة لوحدي والناس بتتكلم

كانت تتحدث بحرقة وكأنما الأمر جدي ولكن الأمر لمس وترها الحساس، ولكنه رد بهدوء يمتص به توترها:

- أولاً وأخيراً هي أم وأكيد خايفة عليكي

قالت بألم داخلها:

- انت مش عارف حاجة دي لا عمرها كانت وهتكونلي أم يامالك

وصمتت ولم تتحدث فقط تركت داخلها يأن واحتمت بحضنه من كل ما يحزنها ومن نفسها البائسه ومنه حتى لا يعلم ما بها

- عموماً إحنا لازم نتجوز بسرعة عشان نحل المشكلة دي

رفعت رأسها تنظر له بدهشة وهو يتابع:

- كدة مش هتبقي عايشة لوحدك ومامتك مش هتخاف عليكي ولا هتضايقك بكلامها تاني

لم تقدر على نطق الحروف وهي ترى نهايتها تقترب بسرعة القطار

وأخيراً نطقت بوهن:

- أنا تعبانة وعايزة أروح

رد بقلق:

- طيب حاسة باية؟ لو تحبي نروح للدكتور

- لا مفيش داعي يامالك.. بس وصلني البيت وأنا هنام وهبقى كويسة

أومأ برأسه في إيجاب وأخذها إلى سيارته وقادها إلى منزلها

وصلت المنزل وأغلقت بابه كمن تغلق باب القبر على نفسها لتخنق روحها وتدعها ترحل قبل أن يودعها هو

صاحب الحياة

والشمس التي تحمل الدفئ والضوء لها

حتماً سيرحل

قالتها في نفسها

أجلاً أم عاجلاً سيرحل أسيل

سيرحل ويتركك وسط الألام

سيرحل لتموتي وحدك

خلعت حذاءها وألقت حقيبتها جانباً وأطفأت الضوء بالمكان كما انطفئ نورها هي أيضاً تحسست الأرض بقدميها حتى وصلت إلى الأريكة ارتمت عليها بهمومها

زهرة لم تكد تتفتح بعد، قطفها أحد المارة وألقاها بالوحل لتغطيها الأوساخ ويركلها المارة بلامبالاة وأخيراً سيدعسها هو بقدميه حين يعلم الحقيقة

ولما تتركه حتى يدعسها هو؟

فانتظار الموت أشد ألف مرة من لقاءه

فلتنهي حياتها وينتهي الأمر وينتهي ألمها

وينتهي الألم

الألم

طرقت الكلمة أبواب عقلها بشدة

وبدأ تنفسها يزداد حدة وهي تكاد لا ترى ما أمامها

وصراع ينشب داخلها بين ماضي ملبد بالدماء ومستقبل مظلم بالعواصف والغيوم

والنجاة دائماً تكمن في الألم

فهو راحتها الوحيدة في تلك الدنيا المليئة بالمخاطر حولها

فلم يعد هناك أمان

حتى هو

لم يعد هناك

مسحت دمعة انسابت على وجنتها اشتياقاً لأمان تتنفسه بحضنه

وقرارها كان .. إن كان الألم هو حياتها فلتنهيها كي يفنى ألمها معها

وقامت بعيون غائرة وخطوات ثقيلة إلى المطبخ أشعلت الضوء ووقفت تنظر لتلك السكاكين التي وُضعت بنظام أمامها

أيهما تختار؟

لا يهم

فالخلاص هو غايتها

وقد كان

أمسكت واحدة منهم بيدها وضغطت عليها بأصابعها ومدت ساعدها الأخر أمامها وقربت رسغها من حد السكين برعشة لا إرادية تملكتها وعيناها بدأت تزرف الدموع

ولحظة وينتهي كل شئ

لكنها ظلت ترتعش وخفق قلبها وانتفض رعباً فأنزلت يدها وبكت بحرقة وهي لازات ترتعش وألقت السكين أرضاً وظلت تنتفض حتى خارت

قواها وجلست في الأرض محتضنة قدميها وهي تنتفض وتبكي بحرقة

ويدها تسللت لتلتقط السكين من على الأرض

ونظرت لها وكأنها مسلوبة الإرادة، وكأن شئ ما يحركها، مدت ساقيها أمامها وبدأت ترسم خطوط الألم بسكينها

خطوط حمراء صغيرة

خطوط جعلتها تسقط مرة أخرى في بئر الألم بلا عقل

بدأت تشعر بالألم وبدأت رعشتها تختفي فاحتل مكانها الهدوء، وتركت تلك المغيبة سكينها التي تحمل قطرات دماءها

وقامت بساقان تأن من الألم تمشي بهوادة إلى فراشها

وسقطت داخله كمن يريد الخلاص

وغرقت في النعاس في لحظتها

لم تشعر بنفسها سوى الصباح حركت جسدها في الفراش فشعرت بألم في ساقيها جعلها تتذكر ما فعلته ليلة أمس

قامت في الفراش بوجه مفزوع تنظر إلى ساقيها، شهقت وهي ترى الدماء لطخت ساقيها ووضعت يدها على فمها ولم تستطع منع دموعها من الهطول، وجرت على الحمام تغسلها وتزيل عنها الدماء لكن أثار جروحها

التي لازالت تنتشر على ساقيها جعلتها توقن فداحة الأمر

بدأت تنتحب وهي تهزي ببعض الكلمات التي كان يغلب عليها الخوف مما إقترفت

وخوفها قادها مرة أخرى إلى الفراش فدثرت جسدها بالغطاء واحتضنت نفسها وهي ترتعش وعيونها لم تتوقف عن زرف الدموع بعد

وظلت هكذا لفترة حتى صدح هاتفها بنغمة رنين قد خصصتها لمالك وما إن سمعتها حتى قامت منتفضة وجلست في الفراش تنظر إلى شاشة هاتفها التي تنير باسمه

لمسة بسيطة من طرف إصبعها ورفعته على أذنها لتقول بصوت جاهدت ألا تظهر فيه رعشتها :

- ألو

فرد بمزاح كعادته:

- عندك خصم يومين يا أنسة.. مصحتنيش النهاردة ليه؟

وتذكرت أنها اعتادت في الفترة الأخيرة أن توقظه من النوم كل يوم بمكالمة هاتفية، فصمتت وخشت أن ترد حتى لا يفضحها صوتها، فأردف هو متسائلاً:

- كنتي بتعملي اية؟

فغطت هي ساقيها بحركة تلقائية خوفاً منه وكأنه يراها ويرى مافعلته بنفسها مجدداً، ثم ردتت بتوتر:

- مبعملش حاجة

- ازاي يعني؟ ما هو انتي يا إما كنتي نايمة وأنا صحيتك وساعتها هزود الخصم عشان راحت عليكي نومة.. يا إما كنتي في الحمام ودة اللي خلاكي تتأخري في الرد عليا

نزلت عبرة حارقة من إحدى عينيها على وجنتها تصرخ بعالمها الذي سيحرمها وجوده بقربها

- سكتي ليه؟

وشفاها كانت مرتعشة:

- أنا بحبك

وشعر من نبرتها أنها ليست بخير ولكنه رد:

- وأنا بموت فيكي ياحبيبي

وأردف ببعض القلق:

- هو انتي كويسة؟ أنا حاسس إنك تعبانة

- لا أنا كويسة متخافش

وكان صوتها ملئ بالعبرات، فرد هو بصرامة:

- أسيل

فارتبكت وتعثرت وهي تقوم من الفراش قائلة:

- شوية برد بس يامالك

- طب خليكي متنزليش أنا جايلك

وقع قلبها في إخمص قدمها وهي ترد بسرعة:

- لا يامالك مفيش داعي أنا كويسة متتعبش نفسك

- خلاص أنا جاي

حاسم كما تعودته، وأغلق الهاتف وجعلها تتخبط بين جدران غرفتها وهي لا تعلم بعد ماذا تفعل وماذا تقول له

ولكنها بعد برهة تحركت مسرعة نحو الحمام وأخذت حمام سريع بارد يهدأ أعصابها وخرجت ووقفت أمام خزنتها تفكر فيما سوف ترتديه وتخفي به جريمتها التي فعلتها بساقيها من مالك

وفي النهاية استقرت على منامة ببنطال طويل يخفي ساقيها وسوف تساعدها في إتقان دور المريضة

لم تنتظر كثيراً حتى سمعت صوت جرس الباب فتوجهت مسرعة وحاولت أن ترسم على ملامحها الوهن والتعب وساعدها على ذلك أثار الدموع الظاهرة بعينيها وأنفها الأحمر

فتحت الباب، فرأت حنان العالم بعينيه وهو ينظر لها بصمت أتبعه بضمة حنونة فرفعت هي عينها تنظر له وهي تقول:

- ادخل

ودخل وأغلق الباب خلفه، وكانت هناك أيضاً تلك المرأة العجوز جارتها تتابعهما من خلف

بابها المغلق وقد حيرها ماهية ذلك الشخص الذي جاء عند جارتها المطلقة الطائشة أسيل

وفي منزل أسيل كان هو الحنان الجارف الذي افتقدته منذ نعومة أظافرها، نامت بحضنه وهي تنعم بدفئ حنانه وانتبهت عندما سألها:

- حاسة باية ياحبيبي؟

فكرت قليلاً ثم أجابت:

- عندي صداع شكلي كدة عندي برد

فطبع قبلة على جبينها وهو يقول:

- ألف سلامة عليكي ياحبيبي

وصمت قليلاً ودفنت هي رأسها داخل صدره تحاول أن تسكت أفكارها البائسة ولكنه تابع:

- بس أنا عايز أجبلك الدكتور عشان أطمن عليكي

فردت بتوتر:

- لا يامالك مفيش داعي.. أنا هبقى كويسة

اعتدل في جلسته وهو يقول:

- طيب على الأقل لازم تاخدي دوا

ردت بامتعاص:

- بصراحة يامالك أنا بكره الدوا.. دلوقتي هعملي عصير ليمون وهيفوقني

فقال بحسم:

- بتهرجي صح؟ خليكي قاعدة هنا وأنا هقوم أعملك العصير وهتشربيه وبعدها هروح أشتريلك الدوا وهتاخديه

ولم يعطيها وقت للرد فقط توجه نحو المطبخ، أما هي فظلت جالسة في مكانها للحظة تستجمع مشاعرها المختلطة ثم توجهت خلفه ووقفت على باب المطبخ تتابعه وهو يعد لها العصير وهي تتحسر على سعادة فانية وجنة سوف تطرد منها قريباً

كانت هائمة في هيئته حين نظر لها بابتسامة مشرقة قائلاً:

- متخافيش بعرف أعمل عصير كويس .. وعموماً الإسعاف بيجي بسرعة لو حصلك حاجة يعني

وابتسمت ابتسامة مشوهة بحزنها واقترب منها حامل كوب العصير كادت أن تحمله منه لكنه رفعه إلى فمها فارتشفت من الكوب بعض القطرات وهو لازال بين يديه و مرة تلو الأخرى والعيون متعلقة بحبال الهوى التي تراها هي خيوط غزل من حرير رقيق ويراها هو سلاسل من حديد

وأنهت كوبها ووضعه هو جانباً ورفع خصلات شعرها بأنامله وهو يتأمل ملامحها بعشق واقترب بشفاه من وجهها وهو يعلن بعشق:

- أنا مكنتش عايش قبل ما أحبك يا أسيل

وسكين خداعها له يقطع في شرايين قلبها

وعبرة ترقرقت رغماً عنها وصوتها كان يأن وهي ترد:

- أنا بحبك أوي ياماللك.. بحبك أوي

وهربت من عينيه إلى حضنه وخافت من أن يكشف أمرها وخافت من تلك اللحظة التي ستأتي لامحالة

وبعد فترة ملس على شعرها وهو يقول:

- بطلي تهربي

أجفلت من كلمته ومعرفته بهروبها منه فنظرت لو متوجسة فتابع هو بمزاح:

- برده هنزل أشتري الدوا وهتاخديه

وأدركت ما يعنيه بهروبها فحاولت أن تبادله الابتسام على مزحته لكنها لم تستطع، فقط اكتفت باماءة من رأسها في إيجاب ورافقته حتى باب المنزل وفتح هو الباب ليجدا تلك العجوز واقفة أمام باب شقتها تفتعل أنها تفعل لاشئ، ولكنها في حقيقة الأمر تنتظر خروجه

وبطريقة تطفلية اقتربت منهما وهي تتدقق النظر بمالك بعيون أهلكها العجز تقبع خلف عويناتها وقالت:

- مين دة يا أسيل ؟

ولم تمهلها الرد وتابعت بثرثرة:

- هو دة اللي كان جوزك؟ هو انتي رجعتيله؟

.. الفصل الثامن عشر ..

وبطريقة تطفلية اقتربت منهما وهي تتدقق النظر بمالك بعيون أهلكها العجز تقبع خلف عويناتها قالت:

- مين دة يا أسيل ؟

ولم تهملها الرد فتابعت:

- هو دة اللي كان جوزك؟ هو انتي رجعتيله؟

شعرت أسيل بصدمة كادت أن تسقطها أرضاً ونظر لها مالك يريد أن يفهم ما تقوله تلك السيدة وردت هي بسرعة بقلب يخفق بشدة:

- ملكيش دعوة ياطنط ولو سمحتي تدخلي شقتك

وهمست بأذن مالك:

- دي جارتي بس عندها زهايمر وبتقول كلام تخاريف

وسمعتها فردت:

- أنا بخرف يا أسيل ماشي أنا هقول لأمك

ودخلت إلى شقتها وصفعت بابها بقوة فنظر مالك لأسيل قائلاً:

- مالها دي ؟

فردت بشبح ابتسامة حشرتها عنوة فوق شفتيها

- غلبانة ومخها على قدها

فربت على كتفها وطبع قبلة على وجنتها وهو يقول:

- طيب ياحبيبي أنا مش هتأخر

وغادر وتنفست هي الصعداء أنه لم ينتبه لحديث تلك الخرقاء جارتها ودخلت وأغلقت الباب خلفها وبكت بقلة حيلة وهي لا تدري كيف ستنقذ حب عمرها من الضياع

وفجأة جاءتها فكرة فقامت مسرعة وهاتفته قائلة:

- مالك مش هينفع تيجي دلوقتي ماما اتصلت بيا وقالت إنها في الطريق وانا خايفة تيجي تلاقيك هنا

رد هو ببعض القلق:

- طيب هاجي بس أديلك الدوا

- لا ياحبيبي مش مشكلة ماما هتجيب معاها كل حاجة

- حاضر ياحبيبي المهم خلي بالك من نفسك

- حاضر ياحبيبي

وأغلقت الاتصال وجلست مكانها جثة هامدة تنعي روحها أعز ما تملك

تموت ببطئ

قررت أن تدفن نفسها حية

فان لم تقدر على المواجهة فالهروب هو الحل

لكنها نست أنها لن تستطيع حتى الفرار

والقرار كان أرعن

وخطتها كانت واهية بهزلية

أغلقت هاتفها وأوصدت عليها باب غرفتها وظلت هي وسكينها وروحها المهشمة تنعي جسداً فارق الحياة بدون شهادة وفاة

ومراسم الدفن قد حانت

*****

لا تعلم كم مر من الوقت يوم أو يومان وهي على حالتها، فقط تخرج من الغرفة تقتات لمعدتها بعض اللقيمات وتدخل إلى مدفنها مرة أخرى

أما هو فيدرك الأمر جيداً

ثلاثة أيام لا يعرف عنها أي شئ، لا هاتف يوصله بها، ويخشى أن يذهب لها البيت فيتسبب لها في مشكلة مع والدتها

ثلاثة أيام لا تأتي حتى فيها إلى العمل

وما العمل؟

تسائل في نفسه، وتنهد تنهيدة طويلة قبل أن يأخذ القرار بتنفيذ ما فكر فيه جيداً طوال ليلة أمس

ضغط على زر جانبه ثم قال:

- نسرين تعالي حالاً

وبعض ثوان كانت تقف أمامه تلك السيدة الوقور أمامه الذي طالما اعتبرها أخته الكبرى وليست موظفة تعمل عنده

علاقتهما تحمل بساطة الصداقة لكن ظاهرهما رسمي حتى يحافظ على تلك الهالة التي رسمها المجتمع حول المرأة المطلقة ويحافظ على سرها ذلك أيضاً بين زملاءها بالشركة

- الناس مبترحمش وشايفين المطلقة دي عاهرة وحاطين دايماً عليها ألف علامة غلط

لا ينسى حديثها حين صارحته بتلك الحقيقة، ورغم إعتراضه على إختباءها وكأنها أذنبت حين اختارت ألا تعيش مع رجل لا يناسبها، لكنه لا زال يحافظ على سرها ويحترم رغبتها في إخفاء ما بينهما من علاقة صداقة في مجتمع لا يؤمن بصداقة الرجل والمرأة

- عايزك في خدمة مهمة يانسرين

- خير يامالك؟

قالتها وهي تنظر له بانتباه شديد بعد أن جلست أمامه

- أسيل

قالها بحزن

- شكلك باين عليه.. متقلقش انت مش قلت إنها عيانة ومامتها معاها يبقى أكيد لما تخف هتيجي

خبط على مكتبه وهو يقول بعصبية:

- تعبانة ومش قادرة تيجي ماشي.. لكن قافلة موبيلها ليه؟

- مش عارفة يامالك والله

قالتها بحيرة

- عشان كدة عايزك تروحلها البيت وتطمنيني عليها

- أنا !

- أيوة أنا مش هينفع أروح عشان مامتها هناك وخايف أعملها مشكلة معاها.. لكن انتي زميلتها في الشغل ورايحة تسألي عليها

- بس هي أسيل هتستغرب إنك حكيت معايا أكيد

- نسرين متخافيش أنا وأسيل واحد.. هي لسه متعرفش إننا صحاب بس أكيد لما تعرف مش هتقول لحد.. متقلقيش منها خالص

- مالك أنا مستعدة أعمل عشانك أي حاجة.. إنت أكتر حد وقف جمبي وساعدني في

مشاكلي.. ومتقلقش أنا هروحلها النهاردة بعد الشغل وهطمنك عليها

- هتروحي دلوقتي.. كفايا عليكي شغل النهاردة

ابتسمت وهي تقول:

- مستعجل أوي كدة؟

- بصراحة اه.. يلا بقى

- حاضر

وقامت وهي تضحك، وخرجت من الشركة وهي تفكر بصديقها العزيز الذي وقع في الحب رغم أنفه وبدأ قلبه يدق وبشدة بعد سنين من العصيان

*****

الاسم .. أسى وجراح

العمر .. سنين من الحرمان

الشكل .. مسخ أنهكه العجز

الحالة .. جثة لازالت تتنفس

لا ترى شئ أمامها سوى مستقبلها الأسود دونه

والبداية .. لا تقوى حتى على الحياة

الظلام يخيم على غرفتها ولازالت طرقات الباب تصدح في أذنيها قرعاً بات يزعج حياة القبور التي دفنت نفسها داخلها

فتوجهت بخطوات هادئة وروح هزيلة تنظر من خلف باب شقتها وقلبها يرجف علُّه يكون مالك وتستطيع رؤيته مرة أخرى حتى ولو من خلف

بابها، لكنها استغربت حين رأت نسرين هي من بالباب، لم تكن تعرف ماذا تفعل، فقط مسحت دموعها بأطراف أناملها وملست على خصلات شعرها المبعثرة تهندمها وفتحت الباب، ورحبت بضيفتها التي هالها منظر أسيل المزرى وحالتها الصحية السيئة التي تظهر من هيئتها

- ألف سلامة عليكي.. انتي شكلك تعبانة أوي - يعني شوية

- إحنا قلقنا عليكي أوى بقالك تلت أيام مبتجيش الشغل

نظرت لها في صمت وقد أدركت كم من الوقت فارقتها الحياة، فتابعت نسرين :

- ومالك هيتجنن عليكي وخصوصاً إنك قافلة موبيلك

قلبها يصرخ باسمه وعيونها تشتاق لرؤياه وعبراتها كادت تخونها لولا أنها خنقتها وحبستها بين جفونها، والأخرى لازالت تتابع:

- انتي روحتي لدكتور؟

أومأت أسيل برأسها في نفي، فتابعت نسرين مرة أخرى:

- بس انتي شكلك تعبان أوي يا أسيل.. طيب بتاخدي أي دوا؟ انتي حتى شكلك مش بتاكلي

فصمت أسيل لا تعرف بماذا ترد، فتسائلت نسرين:

- هي مامتك مش هنا؟ مالك قالي إنها هنا عشان كدة هو مش عارف يجيلك

فزاغت أسيل بعينيها دون أن ترد، فاقتربت نسرين لتجلس جانبها هامسة وقد أدركت شيئاً مما يحدث بفراسة الأنثى:

- ليه بتعملي في نفسك وفيه كدة؟ مالك بيحبك يا أسيل.. مالك بيحبك بجد وأنا متأكدة.. مش هتلاقي حد يحبك زيه

- عارفة

قالتها والدموع قد ترقرقت على وجنتيها فردت نسرين:

- طيب قومي اغسلي وشك وأنا هطلبلك حاجة تاكليها وبعدين نتكلم

- أنا مش عايزة أكل

- يابنتي انتي كدة هتموتي شكلك مكلتيش بقالك كام يوم

- بل مت بالفعل

قالتها داخلها وهي تومأ برأسها في إيجاب وتوجهت إلى الحمام تغسل وجهها لتتخلص من ثرثرة نسرين

وقبل أن يأتي الطعام قالت نسرين بحنان تفتقده أسيل في أهلها:

- ليه يا أسيل بتعملي في نفسك كدة؟

ردت بعفوية وابتسامة شاحبة:

- أنا بخير يانسرين متقلقيش

- لا مش صحيح.. أنا عارفة إنك ممكن تكوني مستغرباني ومستغربة وجودي هنا لأن العلاقة ما بينا مجرد زملا وبس لكن أنا بحبك أوي وبتمنى أكون قريبة منك وأسمعك لو تحبي

شعور لم تختبره من قبل أحد يريد أن يسمعها غير مالك أحد يهتم لأمرها غيره، وبالأخص أنثى مثلها

قالت نسرين بعد برهة:

- بصراحة أنا ومالك أصدقاء من سنين وهو طبعاً حكالي عنك

نظرت لها أسيل وداخلها بعض المشاعر المتضادة وهي تسمعها تتابع بثقة:

- اللي مالك حاسه ناحيتك عمره ما حاسه مع حد قبلك.. صدقيه ياأسيل وأوعي تخافي منه
- أنا عمري ما خفت منه

قالتها بحرقة وقد نزلت الدموع من مقلتيها فاقتربت منها نسرين ورتبت عليها وهي تقول:

- وليه بتبعدي عنه؟
- أنا مش ببعد
- وأنا عارفة إنك بتكدبي.. أياً كان اللي عندك أو حتى مامتك عندك زي ما قولتيله.. تقفلي موبيلك ملهاش غير تفسير واحد.. هو إنك بتهربي

تنهدت بألم وهي تتابع بحسرة لم تشعر بها أسيل:

- مالك مش اللي يتهرب منه أبداً يا أسيل..
مالك دة فرصة عمرك اللي ممكن
متلاقيهاش تاني أبداً.. صعب الواحد يلاقي
حد يحبه بالشكل دة

وكأنها كانت تعزف على أوتار جروحها دون
أن تعلم ما يخالج صدرها

فانفجرت أسيل باكية وضمتها نسرين في صمت
كان يحمل لها الحنان

بعد فترة حضر البائع بالطعام وتناولا الطعام
سوياً في وقت مر على أسيل ببعض الراحة
لأنها وجدت من يحمل همها لبعض ساعات
حتى دون أن يعلمه

وانقضت تلك الزيارة اللطيفة على قلب أسيل مع
وعد من أسيل بالحضور غداً إلى العمل
وكأنها كانت تنتظر
تنتظر ..
إشارة بحياة زائفة
هواء ينعش رئتيها من جديد
نبضات قلب شغفة في حضوره
رعشة خلاياها من لمسته
وحضن تروي ظمأها فيه

*****

لم تنم ليلتها وظلت تفكر كيف ستواجهه غداً
وكيف ستبرر بُعدها عنه؟

الأمر صعب، لكن شئ ما بقلبها أنبئها أنها ستكون بخير طالما ستكون بقربه

كل شئ سيُحل

كل الأمور ستصبح على ما يرام

وعندما اقترب موعد ذهابها إلى العمل بدأ التوتر يتسلل إليها مرة أخرى لكنها أخذت القرار ونزلت من منزلها

استقلت سيارة أجرة وهي ترتب بعض الحديث الذي ستلقيه على مسامعه حين تلقاه

تبرير .. وإعتذار .. وسهاد .. وإشتياق .. وألم إشتد في بعده

لكن كل هذا تناثر في الأرض حين ترك مقعده وتوجه نحوها فور وُلوجها إلى مكتبه ودون أي

حديث ضمها إلى صدره في صمت وبدأ يستنشق رائحتها في هدوء وكأنه يعيد نبض الحياة داخله، أما هي فاستكانت بحضنه في صمت وأغلقت عقلها عن التفكير

حتى رفع هو وجهها بأنامله قائلاً:

- وحشتيني

فنظرت إلى العشق الذي يطل من تجويف عينيه وهي ترد:

- وانت كمان وحشتني أوي

توجه بها في صمت إلى مقعد لتجلس وجلس بالمقعد المقابل لها ثم سألها بهدوء:

- عاملة إية دلوقتي ؟

- الحمد لله بقيت كويسة

- ماما مشيت ؟

- ايوة

قالتها بعيون زائغة وهي تنتظر سؤال بعينه لكنه لم يسأله، فقط قال بلوم:

- كنت هموت من القلق عليكي

فردت هي بعفوية:

- أنا أسفة

فأشار بإصبعه أمام فمها يسكتها قائلاً:

- شششش.. أنا مبحبش الكلمة دي ومش عايزك تقوليها تاني أبداً

أومأت برأسها وهي تستغرب عدم سؤاله عن إختفاءها، لكنه فاجأها بسؤال أخر لم تحسب حسابه حين قال وهو ينظر لملابسها:

- إشمعنى لابسة جيب طويلة النهاردة؟

وسؤاله كان يحمل الشك وذكرى لتنبيه الطبيب له برجوعها إلى تلك الحالة في أي وقت

فشعرت بالخوف وانكمشت داخل تنورتها الطويلة الفضفاضة، وبدأ داخله يفور حين تأكد من شكوكه عندما مدت يديها بحذر تحكم تغطية ساقيها دون وعي منها وكأنها تستر ما تخاف أن يكشفه هو

لكنه ورغم ما داخله تحرك بهدوء يسيطر على ملامحه ووقف أمامها وهي تنظر له بخوف قد تملك منها

ترفع عينيها وتنظر بعينيه وهو يزمجر بملامح باردة ككفيها:

- ليه يا أسيل؟

صمتت وقد تحققت أنه كشف ما فعلته فجثى هو على الأرض أمامها فارتعبت وهي لا تستطيع حتى الحركة وكأنها قد تجمدت على مقعدها

وبتملك أهلك ما تبقى من أعصابها أمسك بيديه طرف تنورتها الطويلة ورفعه لأعلى قليلاً ليكشف له عن فداحة ما تخيله

ساقين ملطختان بأثار الجروح وبقايا الدماء المتجمدة، وقلبه إنشق ألماً لألمها، وخانته عبرة نزلت من عينه وهو ينظر بعينيها

وفجأة تبدل الحال وقام ليقف أمامها زاعقاً كثور هائج:

- ليه يا أسيل؟ إية اللي حصل عشان ترجعي تعملي في نفسك وفيا كدة؟

وأشار إلى جروحها وهو يتابع بنفس ثورته:

- هو دة اللي انتي عايزة تفضلي عايشة فيه؟ هو دة اللي انتي عايزاه؟

وهي لم تنتطق، فقط تنتحب في خوف وألم

خوف من ذلك الذي تحول فجأة من دفئ الشمس إلى ليلة برد قارسة

- هو دة اللي خلاكي تقفلي موبيلك وتبعدي؟

وصمت قليلاً ثم تابع بألم:

- انتي فاكرة إني مش حاسس بيكي؟

نظرت له بحيرة وهي لا تعرف عن ماذا يتحدث

- انتي فاكرة إني مش واخد بالي إنك مقلوب حالك من وقت ما قلتلك على جوازنا؟

واستغربت الأمر وبدأ عقلها يتسائل كيف علم بالأمر، لكنه أسكن حيرتها حين أمسك بساعديها يوقفها أمامه بهدوء، وتابع وهو يجفف دموعها بأنامله:

- قلتلك قبل كدة إني جواكي وعارف كل حاجة بتحسي بيها

وعاد دفئ الشمس من جديد حينما ضمها إلى صدره وهو يقول بحنان:

- أنا كنت مستنيكي تيجي وتحكيلي اللي جواكي.. بس مكنتش متخيل أبداً إنك هترجعي تأذي نفسك تاني

ورفع وجهها إليه لتنظر له وهو يتابع بجد:

- أي حاجة تحصلي أهون عندي من إنك تتأذي يا أسيل

فضمته وهي ترد أخيراً:

- بعد الشر عليك ياحبيبي

فقال بتأكيد:

- مفيش أي شر هيحصل طالما إحنا مع بعض

- ياريت.. ياريت ياماللك نفضل مع بعض

فرفع وجهها بأنامله وهو يقول بدهشة:

- إية اللي ممكن يبعدنا عن بعض؟ وهو دة نفس السبب اللي مضايقك من وقت ما كلمتك في جوازنا؟

أومأت برأسها في إيجاب

فأمسك بيدها وهو يقول:

- طب تعالي

وكاد أن يتحرك بها للخارج، لكنها وقفت مكانها لتقول:

- مش هينفع ياماللك.. خليني أروح وبالليل هكلمك وأحكيلك

- وليه مش دلوقتي؟

نظرت بالأرض وهي تجيب:

- مش هعرف أحكي وانت قودامي

نظر لها بلوم، فتابعت بسرعة لتهرب من عينيه:

- ولو سمحت هاخد غياب النهاردة كمان..
مش هقدر أشتغل

فأومأ برأسه في إيجاب وهو يفتح لها الباب ويتقدمها قائلاً:

- وأنا هوصلك

وفي السيارة لم ينطقا بشئ

هي تفكر بما ستقصه عليه أمس ومن أين تبدأ حكاية خداعها له

وهو يشغله ذلك الأمر الذي فضَّلت أن تقوله بعيداً عن حضنه

وعند المنزل ظلت ناظرة له قليلاً وكأنها تشبع عيناها من رؤيته، فربما يكون هذا لقاءهما الأخير

وابتسمت بحزن وهي تقترب من وجنته لتطبع عليها قبلة ربما تحمل الوداع

وغادرت السيارة، وصعدت إلى منزلها تنتظر موعد نحرها في مواجهة تدرك أنها ستخسر بعدها النعيم

أما هو فعاد للعمل بنصف عقل

فعقله كان معها ومع حديثها ومع غموض نظرتها الأخيرة له

وفي المساء عاد إلى منزله ليس له شهية للطعام بدل ملابسه في عُجالة وأمسك هاتفه وفي خانة محادثاتهم اليومية كتب

" لسة صاحية؟ "

ليأتيه الرد سريعاً

" مستنياك "

أراح جسده على مقعد وثير وهو يهاتفها فتلقى صوتها المهزوز:

- ألو

فرد:

- أيوة ياحبيبي

وصمت لحظة وتابع وداخله يحترق من الفضول:

- إتكلمي أنا سامعك.. وهفضل على طول بسمعك يا أسيل

لتعود إلى غموضها:

- ياريت يامالك.. ياريت تفضل على طول بتسمعني

وحمل صوتها البكاء، فقال هو بشبة إنفعال:

- ولية لا يا أسيل؟ إية اللي ممكن يخليني أبطل أسمعك؟

- إنك تكون مش معايا

كلمات خرجت من قلبها المجروح، وضمدها هو مؤكداً:

- عمري ما هكون غير معاكي يا أسيل

لكنها ردت بانفعال وقد زاد بكاءها:

- انت مش عارف حاجة.. إحنا مش هينفع نكون لبعض يامالك

صدمته بكلماتها لكنه رد بهدوء منافي لما داخله:

- اهدي وبطلي عياط الأول

ولكنها ظلت تنتحب، فكرر بدون ملل:

- أسيل اهدي أرجوكي

حاولت هي أن تسكن لوعتها وترد من بين دموعها:

- انت أجمل حاجة حصلتلي

- وانتي كل عمري

- أنا مستحقش أكون في المكانة دي.. مستهلش حتى حبك ليا

صمت وهو يشعر بالضيق، فتابعت:

- أنا كدبت عليك يامالك

- كدبتي في إية؟

وهدوءه أربكها، فردت:

- أنا مكنش قصدي أكدب عليك ولا كنت مخططة لدة.. انت اللي فهمت كدة وكل الناس اللي حوليا بيفهموا كدة

- فهمت إية؟

جامد كالصخر دون أي إنفعال

- أنا مش زي ما انت فاهم يامالك.. أنا مش بنت.. أنا كنت متجوزة قبل كدة

وصمتت تنتظر رد فعله، لكنه أجاب بنفس هدوءه:

- وبعدين

فردت بحذر وقد قررت أن تقص عليه كل شئ ولا تخفي عنه أي شئ، وبالفعل حكت كل ما مرت به، وأكملت حكاياتها للنهاية:

- جوازنا إستمر ٣ شهور بس.. كانوا أسوء أيام حياتي.. بتمنى أنساهم واحذفهم من حياتي.. أنا لسه فاكرة يوم ما ضربني وزقني وساب البيت من غير حتى ما ياخد باله إني وقعت على التربيزة ودماغي اتفتحت.. ساعتها قومت بالعافية ووشي كان كله دم جريت على باب الشقة وأخدت

مفاتيح عربيتي ونزلت سوقتها.. مكنتش عارفة أنا رايحة فين ولا سايقة على سرعة كام.. أنا كنت بهرب وبس.. كان قلبي بيتنفض من الرعب وعنيا مش شايفة بيها حاجة.. محستش بنفسي غير وأنا بخبط في العربية اللي قودامي وبعدها فقدت الوعي ومصحتش غير بعدها بكام يوم بس وقتها اكتشفت إني فقدت نفسي.. فقدت أسيل اللي كنت عارفاها.. مسمعتش لحد ومستنتش أسمع وأول مشفته في المستشفي طلبت منه الطلاق وبعد شهر تقريباً كان طلاقنا رسمي .. بعدها قررت أعيش لوحدي بعد ما اكتشفت إن مفيش حد من أهلي قدر يحس بيا أو يقف جمبي.. نسيت أسيل القديمة..

أسيل الهادية المطيعة.. وبقيت أسيل تانية تعبت على بال متعودت عليها.. واتعودت عليها رغم كرهي ليها.. محبتهاش بس غير وأنا معاك

وبكت بحسرة وصوته كان دافئاً بلزوعة اللوم:

- لية خبيتي عليا كل دة؟

ودموعها سبقتها إليه:

- خفت.. خفت تضيع مني.. ونسيت وعشت حلمي معاك.. وطرت فوق وسط النجوم وفضلت أرفرف بجنحاتي وأحلم كمان وكمان.. ياريتني ماطرت ولا حلمت

- شششش.. حاولي تبطلي عياط وتهدي

صمتت قليلاً ثم عادت لنحيبها وهي تقول:

- أنا عارفة إنك بتكره الكدب والكدابين.. أنا بس عايزة أقولك إن فيه حاجة مهمة أوي أنا مكدبتش عليك فيها

- إية هي؟

- أنا بحبك.. وعمري ما حبيت حد غيرك

- عارف.. ومتأكد كمان

وصمت قليلاً وهو يشعر بالحنق داخله، ثم سألها:

- كدبتي عليا في إية تاني غير إنك كنتي متجوزة وإنك بتعرفي تسوقي؟

ردت بسرعة وهي تشعر بالضيق:

- ماكدبتش في أي حاجة تانية والله

- طيب خلاص دلوقتي بعد ما تقفلي معايا تبطلي عياط وتدخلي تغسلي وشك

- حاضر

- يلا تصبحي على خير

- وانت من أهله

وأغلق الهاتف وهي لازالت تشعر بالذهول، فلماذا لم يحاورها في الأمر؟ ولماذا لم يعقب بكلمة واحدة؟

وكم كبير من الأسئلة أدخلتها متاهة لتجد حقيقة واحدة أمامها

هو يهرب منها

وتجمدت جميع حواسها وتبلورت حول تلك الحقيقة

فهروبه شئ متوقع ومنطقي

جلست كالصنم دون حتى أن تقطر عيناها الدموع

مالك تركك أسيل وانتهى الأمر

تركك تدفعي ذنب لم تقترفيه

ذنبك الوحيد أنك .. كاذبة

والألم أصبح نصيبك

وجرس الباب أنقذها من الغرق في بئر آلامها من جديد

وانتفض قلبها وركضت نحو الباب وقلبها يتعلق بالأمل كالغريق

وقرت عيناها برؤيته من خلف الباب

فهو دوماً منقذها

وسيظل

فتحت الباب بملامح مترقبة لوجهه الذي لا يحمل أي تعبير حين نظر لها قائلاً بحروف هادئة:

- تتجوزيني؟

** ** ** **

.. الفصل التاسع عشر ..

- تتجوزيني

كلمة تحمل الكثير

وأتبعها هو بنظرة احتلت قلبها ليجعلها تخضع بكل جوارحها له وتنهار داخل حضنه باكية فاستغرب هو من ردة فعلها وقال بدهشة:

- لدرجادي طلبي زعلك !

فهزت رأسها نافية بعد أن خرجت من حضنه وتنحت جانباً وهي تقول من بين دموعها:

- ادخل طيب

وأغلقت الباب دون أن تنتبه لجارتها العجوز التي وقفت خلف بابها تتابعهما، وما إن دخلوا إلى شقة أسيل حتى أمسكت بجوالها وضغطت على بعض الأزرار ورفعته إلى أذنها لتقول بتأكيد:

- أيوة يادرية أهو جالها ولسه شايفاه داخل عندها حالاً

صمتت قليلاً تستمع إلى محدثتها من الطرف الأخر ثم تابعت:

- طب يلا شهلي وتعالي بسرعة

وفي منزل أسيل كانت هي وهو ودموعها التي بللت قميصه فرفع وجهها يحاول مسح دموعها بأنامله وهو يقول:

- خلاص انسي كل حاجة.. انتي في حضني ومفيش حد هيقدر يأذيكي طول ما انتي معايا

- أنا منفعكش يامالك

- ليه بقى إن شاء الله ؟

قالها باستنكار، فردت هي:

- انت لسه متجوزتش قبل كدة وقودامك المستقبل وألف واحدة تتمناك

- بس أنا مش عايز منهم غير واحدة بس

قالها بابتسامة وهو يداعب أنفها بأنمله

- بس أنا مطلقة

- واية العيب في كدة؟ انك كنتي مع حيوان مقدرش يفهمك وربنا خلصك منه؟ هو دة

عيبك إنك عندك إرادة وقلتي لا؟ لو هو دة عيبك فأنا عايزك وهفضل عايزك.. وأكيد مش عايز واحدة بهيمة بتقول حاضر وتوطي راسها عشان مجتمع تافهة بيوزن البنت من بين رجليها

فقالت بابتسامة خجلة:

- طب بطل بقى

ونظرت في الأرض بخجل فقال بابتسامة لخجلها:

- ما هو انتي اللي بتنرفزيني وتخليني أقول كلام مش عايز أقوله

فابتسمت رغم خجلها،ثم غمرها الحزن مجدداً وهي تسأله:

- وأهلك هيوافقوا على جوازك من مطلقة؟
- قلتلك قبل كدة مفيش أي حد على وجه الأرض يقدر يتدخل في حياتي أو في قراراتي.. أنا اللي هتجوزك ودي حياتي
- وهمة بقي بعد ما تغصبهم على قرارك تفتكر هيحبوني؟ هيتقبلوني وسطهم وأنا موجودة بينهم بالعافية؟ مش كل حاجة بنعوزها بتمشي زي ما احنا عايزيين يامالك

فرد بتأكيد:

- لا بتمشي وأحسن كمان ما احنا عايزيين.. وأنا فكرت فاللي قولتيه دة.. ولو حبة إنهم ميعرفوش أصلاً إنك مطلقة ودة يفضل سر ما بينا عشان التعامل ما بينكم يكون لطيف مش أكتر لكن أنا مش بيهمني أي حد أنا

بس مش عايز أعرضك لأي موقف تحسي فيه بالضعف.. لأنك مش ضعيفة وهتفضلي قوية يا أسيل

فكرت قليلاً في حديثه تستوعبه ثم تسائلت:

- ازاي كدة؟ هو مش المفروض بيكون فيه إشهار للجواز والقسيمة يعني أكيد هيعرفوا

- ملكيش دعوة انتي أنا ساعتها هتصرف ومش هيتقال دة في الإشهار

فكرت قليلاً في حديثه، فتابع هو:

- فكري كويس وردي عليا

وقام ليقف وقد غمره الغرور للحظة وهو يقول:

- عرضي هيفضل قائم لغاية بكرة في ميعاد الشغل.. وقتها هسمع منك رد

وأنحنى يجذبها من ذراعيها لتقف أمامه وهي لازالت في حالة من الذهول، فقال هو بحسم:

- عايزك تشيلي من دماغك أي خوف أو قلق وتتأكدي إن أي حاجة انتي عايزاها أنا هعملهالك

وطبع قبلة على جبينها ونزل بشفاه أمام أذنها ليهمس بها:

- انسي كل حاجة فاتت.. فكري في أسيل النهاردة وأسيل بكرة وبس

وقبلة أخرى على وجنتها تحمل حروفه

- ب ح ب ك

وغادر وهي لازالت تقف مكانها تشعر بالذهول

فهو فكر ورتب لكل شئ وهي فقط عليها القرار

قرار لماذا؟

هي حتى لا تستوعب بعد

فأين كانت قبل مجيئه؟

ضائعة وحيدة في صحراء شقاءها

وأين أصبحت بعد مجيئه؟

معلقة بسلاسل لؤلؤية في سماء نجومه

وأين أصبحت الآن ؟

أمام نظرات والدتها الشزرة التي اقتحمت المنزل منذ ثوان وتقف أمامها صارخة

- هو فين؟

لم تكن أسيل تستوعب الأمر بعد ، لكنها أجابت بدهشة:

- هو مين؟

فدخلت الجارة العجوز لتقف خلف أمها قائلة:

- الراجل اللي لسة داخل عندك من شوية

وأخيراً أدركت أسيل الأمر ونظرت لتلك المرأة العجوز وقد أيقنت أنها رأت مالك وهو قادم إليها فقالت لها بحدة:

- وانتي مالك

- بتجيبي رجالة البيت يا أسيل؟

قالتها أمها ولكنها نظرت لها بحدة دون أن ترد وتوجهت بنظرها إلى تلك المرأة العجوز وبنبرة أخرجت فيها كل ما يعتليها من ضغوط قالت:

- اطلعي برة

فنظرت المرأة لوالدتها التي قالت:

- عيب كدة يا أسيل

لكنها لم تعتريها أي اهتمام وتوجهت نحو المرأة وهي تتكأ على حروف كلماتها:

- اطلعي برة.. وملكيش دعوة بيا

فرحلت المرأة في صمت واستدارت أسيل تنظر لأمها قائلة بقوة:

- جاية ليه؟ عايزة مني اية؟

- عايزة أعرف اية حكاية الراجل اللي بيجيلك هنا كل فترة

نظرت لها بصمت تمنع نفسها فيه عن مهاجمة أمها وحاولت أن تكون باردة وهي ترد:

- أظن دي حاجة متخصش أي حد غيري

فردت والدتها بعصبية:

- دة على أساس إنك ملكيش أهل ؟

فردت أسيل بسرعة:

- تصدقي أه.. أنا فعلاً مليش أهل.. مليش سند اتسند عليه.. مليش صدر حنين يضمني لما أحتاجله.. مليش حد يقف جمبي لما إتظلم.. ومش بس كدة دة انتو ظلمتوني ودوستوا عليا أكتر

صمتت تنظر لها شذرا وهي تتابع:

- أنا أهلي ماتوا يوم ما جيتلك هنا مضروبة وسلمتيني بايدك للراجل اللي بيدوس عليا تاني

- كنتي عايزاني أوافق على طلاقك عشان تفضحينا زي ما انتي عاملة دلوقتي مش كدة ؟

وابتسامة ساخرة احتلت فم أسيل وهي ترد:

- مفيش فايدة من الكلام.. أقولك حاجة اتبري مني أحسن واخلصي

- ياريت كان ينفع يابنت بطني.. بس وحياتك ما هتعيشي لوحدك تاني ودلوقتي حالاً يا هتيجي تعيشي معايا ياهنيجي نعيش معاكي.. لكن المسخرة اللي انتي عايشة فيها دي مش هتتكرر تاني

صدمت أسيل قليلاً من حديثها، ولكنها ردت بقوة:

- وانا بقولك إن اللي بتقوليه دة مش هيحصل.. أسيل اللي كنتي جراها وراكي أكنها شنطة خلاص انتهت.. ماتت وأنا دفنتها.. أسيل دلوقتي غير ومش هتسمحلك تتحكمي فيها زي زمان

شعرت والدتها بالغيظ وردت:

- ماشي يا أسيل أنا بقى هوريكي كلام مين اللي هيمشي

وغادرت المنزل وتركت أعاصير الغضب تجتاح عقل أسيل، وأخرجتهم في صرخة وهي تلقي بمزهرية وُضعت على طاولة جانبها أرضاً

لتتكسر مع أحلامها الجميلة وتظل صورة الماضي الأليم أمامها

وتبكي بحرقة وهي تردد:

- مش قادرة أنسى.. مش قادرة أنسى يامالك

*****

اللعنة على من يكرهون سعادة الأخرين

ليت للحب جناحين يحملاهما بعيداً عن الأرض

ليت للعشق درع يبعد عنهما كل البشر

وتبقى هي وهو والسعادة

بلا ماضي بلا ذكريات وبلا ألم

نظرت لوجهها بالمرآة وهي تضع لمستها الأخيرة على خصلات شعرها قبل أن تغادر للعمل

وجه لم تخفيه بمساحيق التبرج كعادتها

فقط اكتفت بلمسات بسيطة تزين بها ملامحها الباهتة

ونظرة بائسة بعينيها لم تستطع إخفاءها

وغادرت المنزل

لم ترتب لحديثها معه، فقط تفكر بملامح وجهه التي ظلت مرافقة لخيالها طوال الطريق

وهناك كانت تقف أمامه بشبه ابتسامة وهو بادلها الابتسام، ثم قال:

- تعالي

كعادته حنون وابتسامته مشرقة ، فتقدمت لتجلس على المقعد أمام مكتبه

نظر لوجهها الذي يبدو عليه القلق قائلاً:

- يلا قولي اللي عندك

ابتلعت ماء حلقها بصعوبة وهي تنظر له بعيون متوترة وقررت أن تأجل الأمر قليلاً، فقالت:

- أنا اتخانقت مع ماما

فرد باهتمام:

- ليه؟

- ذكية جارتي الحشرية اللي انت شفتها قبل كدة

- اه عارفها.. اللي انتي كدبتي عليا وقولتلي إنها عندها زهايمر

شعرت بالحرج وأومأت برأسها في صمت وهي ترى ملامح الحنق على وجهه وهي تعلم أنه قد توقع ردها على طلبه لكنه يسايرها في الحديث، لكنه تابع باهتمام رغم ما داخله:

- مالها بقى ذكية ؟

فردت:

- شافتك امبارح لما جتلي واتصلت بماما عشان تيجي

تبدل وجهه قليلاً لما سمع، وتابعت هي:

- أول ما انت مشيت هي جت وفضلت تزعق واتخانقنا

- ليه اتخانقتوا؟

- مصممة يا أنا أعيش معاها يا هي تعيش معايا.. وأنا رفضت طبعاً، فزعقت شوية ومشيت

صمت وهو يتوغل بملامحها قليلاً، فقالت هي بابتسامة مصطنعة تحاول بها تهدئة ملامحه:

- لو كنت اتأخرت شوية عندي كانت ماما جت وشافتك

- ياريت كان دة حصل.. كنت طلبت إيدك منها على طول

وتابع وهو يتوغلها:

- ولا كنتي هترفضي برده يا أسيل؟

شعرت بالخوف من نظرته التي علم بها ما ستقوله قبل أن تنطقه، ولم تستطع كبح جماح دمعة فرت مسرعة من بين جفنيها وهي ترد:

- مالك أنا بس خايفة

وسؤاله جاء بصرامة:

- خايفة مني؟

ورغم خوفها المؤقت من ملامحه الغاضبة لكنها تعلم ما يقصده فأجابت:

- انت الوحيد اللي حسيت معاه بالأمان.. أنا خايفة من الجواز نفسه

- يعني خايفة تتجوزيني؟

أومأت برأسها في صمت وهي تشعر بالخزي فتابع هو بحسم:

- أوكى تمام براحتك يا أسيل

وافتعل انشغاله بالأوراق أمامه وملامح وجهه تصرخ بالغضب دون أي حديث

فاستجمعت هي شجاعتها وازدردت ريقها وهي تقف وتتوجه نحوه لتصبح أمامه وهي تقول بصدق:

- مالك أنا مش هقدر أعيش من غيرك

أرجع ظهره للخلف وهو ينظر لها بصمت وهي لازالت تقف أمامه، ثم قال بعد فترة من سبر أغوارها:

- عارف

كان الغصب يطل من ملامحه رغم ما قاله وهو يتابع:

- وأنا كمان مقدرش أعيش من غيرك

كانت تنظر له بحيرة وهي لا تستطيع أن تقرر أيهما تصدق حديثه أم ملامح وجهه التي تتوق لسفك دماءها؟

تنفس بهدوء وهو يغمض عينيه قليلاً كأنه يبعد أي شئ يزعجه أو يخفيه داخله كما تعود دائماً ونظر لها بوجه أقل غضباً، وهو يجذبها لتجلس فوق قدميه، ليقول وهو يحوطها بذراعيه:

- انتي هتفضلي في حضني ومش هتخرجي منه أبداً

والحب طغى على كل المشاعر داخلهما

وبعد فترة من مداعبته لخصلات شعرها قال:

- أنا مقدر إللي انتي مريتي به في عمر صغير.. مفيش حد غيرك وفي سن أكبر يقدر يستحمله.. أنا لما قلتلك تنسي كنت عارف إنه صعب.. بس إنتي لازم تنسي عشان تقدري تعيشي من تاني.. الحياة لسة قودامك ولازم تكوني سعيدة فيها

تنهد بحزن، ثم تابع:

- أنا مش بقولك كدة عشان أرجعك في قرارك.. دة اختيارك وانتي لوحدك إللي من حقك تاخديه

كانت الدموع تنزل من عيونها دون أن تدري، فرفعت رأسها تنظر بوجهه وهي تترجاه بطفولة:

- اوعى تسيبني

قرص بأنامله على وجنتها وهو يسألها بحنان:

- ولو سيبتك تقدري تقوليلي أعيش إزاي وقتها من غيرك؟

فابتسمت رغم دموعها، فضمها إلى صدره يعتصرها بين ذراعيه قائلاً:

- مش قلنا نشيل الأفكار الغبية دي من دماغك

- أنا مش غبية

كان صوتها ضعيف من داخل صدره، فرد وهو يضحك رغم ألمه:

- إنتي مش غبية ياحبيبي.. بس ساعات كتير بتتغابي

فحاولت أن تخرج من قبضته، فقال وهو يضحك عالياً:

- انسي.. انتي إتحبستي خلاص

- انت رخم

والضحكات غلفتهما رغم الوجع

فصارت حتى الضحكات تُألمهم

*****

فراشة بلا أجنحة

تتوق لمغادرة الأرض

تحلم بسماء

شمسها صاطعة نهاراً

ونجموها كثيرة ليلاً

حملها طائر كبير فوق ظهره

ورفعها عالياً بجناحيه

وبدأ يرفرف ويرتفع
لكن الأرض بجاذبيتها ظلت تشدهما للأسفل
فوقعا في فخها
فتناثر الحلم على الأرض
وظلا كلاهما متعلقان بخيوط الهوى

وكانت الفراشة تسكن حضن طائرها في لحظة
من الصمت لا يعلما لأخرها مدى

لكنها قطعتها فجأة لتقول:

- مش عايزة أروح

نظر لوجهها بعد أن رفعه وهو يرجع
خصلات شعرها خلف أذنيها وهي تجلس

على الأريكة جانبه في منزله بعد أن أخذها معه بعد انتهاء ميعاد العمل

قال بعد أن حمل وجهه بعض الحزن الذي يكمن داخله:

- أنا معنديش مانع أكيد.. بس وبعدين؟ لازم تحلي الموضوع مع مامتك.. مش هينفع تهربي طول الوقت

أومأت برأسها في سكون وهي تدفن رأسها داخل صدره، لا تعلم هروبها هذا منه، أم من نفسها التي تخبرها أن كل مشاكلها ستُحل بزواجها منه؟ والأهم أنها ستظل دائماً بحضنه

ظل صامت طوال الليل وهي أيضاً

فقط اكتفت بإغلاق هاتفها لتهرب من أهلها ولازت بالصمت لتهرب منه ومن نفسها وهاتفه هو من قطع صمتهما، فأمسك به ولمسة من إصبعه ورفعه إلى أذنه قائلاً:

- إزيك ياحبيبتي؟

فرفعت هي رأسها تنظر له بعيون تحمل الغيرة، فتابع هو دون أن ينظر لها:

- أنا بخير الحمد لله تمام

وجملة أخرى تشعل النار داخلها

- تمام ياحبيبتي يوصل

وتابع :

- خلاص هستني تليفونك أكيد

وأغلق الهاتف ووضعه جانبه وهي لازالت تنظر له بغيظ وهو لم ينظر لها حتى إلا عندما تسائلت بغيظ:

- مين دي؟

رفع وجهه ينظر لها ببرود وهو يرد:

- تفتكري مين؟

- معرفش

قالتها وهي تشتعل غضباً، فقال بهدوء:

- دي أماني أختي، وبتسلم عليكي

- بتسلم عليا أنا !!

- أه.. إية إللي مخليكي مستغربة؟

- يعني استغربت إنها فاكراني

- فاكراكي !!

قالها باستنكار، ثم تابع:

- يابنتي إنتي حبيبة مالك.. مش عارفة دة يعني إية بالنسبة لعيلتنا.. الكل كان مستني اللحظة إللي هختار فيها البنت إللي هتكون شريكة حياتي

غمرها الحنق للحظة وهي تدرك ماضيعت بقرارها من حلم لم يكن له وحده، بل لكل عائلته

شعر بما يخالجها، فضمها مرة أخرى وهو يقول:

- أهم شئ إنك في حضني.. ومش مهم أي حاجة تانية خالص

صمتت قليلاً ثم طرأ إلى عقلها سؤال، فقالته:

- بس إنت ليه سيبت البيت وعشت لوحدك؟
أهلك باين عليهم بيحبوك أوي
شعر بالتوتر قليلاً من سؤالها ولكنه رد:
- مكنش ينفع أعد في البيت بعد ما بابا إتجوز
- لية يعني دة بيتك.. ولا هي مرات باباك كانت بتعاملك وحش؟
ابتسم لبرائتها وهو يرد:
- مش هتبطلي الأفلام إللي في دماغك دي.. يابنتي دي لو كانت بس فكرت تضايقني كان بابا طلقها في ساعتها
- طيب أومال ليه برده سيبت البيت؟
زفر وهو ينظر لها قائلاً بمزاح:
- انتي عايزة إية؟

فردت بغنج وهي تداعب أزرار قميصه بأناملها:

- عايزة أعرف كل حاجة.. مش انت عرفت كل حاجة عني؟

- مممم تمام

وتنهد ثم تابع بهدوء:

- بصي.. مكنش ينفع أكون موجود عشان أنا مكنتش صغير.. وللأسف هي صغيرة

ظلت ناظرة له تحثه على المتابعة، فتابع:

- هي أصغر من أماني أختي

فتسائلت بشك:

- طيب بس دي مرات باباك يعني.. إية إللي فيها؟

ابتسم بحرص وهو يرد:

- بس هي مكنتش شايفاني كدة.. مكنتش شايفة إني بس ابن جوزها

فتسائلت بدهشة:

- يعني إية؟

- يعني كانت بتلمح لحاجات تانية.. وأنا محبتش إني أكون سبب مشاكل..

وخصوصاً إن بابا متعلق بيها جداً.. ففضلت إني أمشي

- ومقولتش لباباك؟

- ولا أي حد يعرف أي حاجة.. بس هي خدت مني كلمتين هيخلوها تفكر ألف مرة قبل ما تحاول تبص في أي مكان تاني..

ويمكن دة إللي مخليها عايشة مع بابا لحد دلوقتي

- بس هي متستهلش دة
- للأسف بابا ممكن يجراله حاجة لو سابته.. وأنا سلامة الحاج عندي أهم منها ومن إللي خلفوها
- بس انت ضحيت بنفسك وبسعادتك وسط عيلتك
- السعادة إللي بشوفها في عيون الحاج وهو قاعد جمبها بتغنيني عن أي شئ.. وبعدين أنا بزورهم على طول وبطمن عليهم دايماً

وقبل يدها وهو يتابع:

- وربنا خلاص رزقني باللي خلت حياتي جنة

اغرورقت عيناها بالدموع وضمته بشدة وهي تشعر أنها ليست وحدها التي تحتاج لحنانه، فهو أيضاً يحتاج لحنانها

.. الفصل العشرون ..

حياتك لن تعيشها سوى مرة واحدة
السنين التي تمر هي مجرد أرقام في
تاريخك إن لم تحفر فيها أثر
الحزن والألم يمكن محوهم من أيامك
وقصهم من عمرك

الآن .....
أنتِ صغيرتي
مولودتي الجميلة
وُلدتي يوم التقيتك
لم تري الألم قط
ولا تعلمي طعماً للحزن
أيامك القادمة ستعيشها معي
فقط أغمضي عينيكِ
وأنظري إلى العالم بعيني
أخطي خطواتك الأولى بين يدي
تعرفي على عالمك الجديد من خلالي
هذا أبيض ، وهذه فراشة
تلك فرحة تنير ثغرك
وهناك سماء نجومها تلمع لدنيانا

نظرت بعينيه المشرقة بابتسامة وجهه وهو يمد يده لها بعلبة من اللون الأحمر يزينها شريط أبيض وكتب على أحد جوانبها "أسيل بطتي"

ضحكت بصوت وهي تنظر لما كتبه خارج العلبة والتقطت منه العلبة بحماسة وعيون طفلة يغلبها الفضول وضعتها على طاولة أمامها وهمت بفتحها، وهو يتابعها باهتمام

أخرجت ما بداخل العلبة بسعادة دمية بخصلات شعر سوداء وشرائط زهرية ترتدي فستان مزركش يخطف العيون

لمسات من أناملها على فستانها وخصلات شعرها وشرائطها الزهرية، ونظرت له بامتنان وهي تقول:

- أنا عندي شرايط زي دي بالظبط

أومأ برأسه في إيجاب وهو يقول:

- عارف.. شفتها في صورتك اللي حاطها جمب سريرك

نظرت له ببعض الذهول وهي تستغرب تذكره لأدق تفاصيلها حتى الصغيرة منها اقترب منها وهو يمسك بيديها التي تتحس دميتها الجديدة وهو يقول بتأكيد:

- دي انتي.. العروسة دي انتي يا أسيل

نظرت له مستفهمة، فتابع:

- انتي البنوتة البريئة اللي شفتها في صورتك.. انتي الطفلة الحلوة اللي بالشرايط.. بنتي اللي اتولدت بس يوم ما قابلتها.. بنتي اللي معاشتش أي ألم أو حزن

ملس على خصلات شعرها وهو يتابع بتصميم:

- أسيل النهاردة وبكرة وبس

كانت عيناها تنهل من حنانه وهو ينظر لها قائلاً:

- بحبك يا بطتي

اغرورقت عيونها بالعبرات وتشبثت بقميصه وهي تدفن رأسها بصدره قائلة:

- بعشقك يامالك قلبي

وابتسامة رضا كانت تزين وجهه وهو يتمنى أن يتوقف الزمن حتى تظل بحضنه لكن رنين هاتفه جعلها تخرج من حضنه قائلة:

- تليفونك

أخرج الهاتف من جيبه ولمسة من أنامله ورفعه إلى أذنه قائلاً:

- صباح الفل ياحاج

لحظة من الصمت ثم رد:

- اه هو النهاردة.. طيب تمام أكيد هكون موجود.. سلام ياحاج

نظر لها قائلاً:

- النهاردة عيد ميلاد مريم.. كنت ناسي خالص

ابتسمت وهي ترد:

- كل سنة وهي طيبة

- ينفع تقوليهالي أنا؟

- مهو أنا مش هينفع أقولهالها هي

- واية اللي يمنع؟

- يعني هشوفها فين؟

رد وهو يفتعل انشغاله بالعبث في هاتفه:

- والله انتي لو عايزة تشوفيها ممكن تشوفيها النهاردة وتقوللها كدة بنفسك

نظرت له بصدمة ثم قالت:

- لا يا مالك متفكرش.. أصلا مينفعش.. يعني هروح بصفتي اية؟ وكمان هتكسف جداً.. وأهلك هيقولوا عليا اية؟

نظر لها بصمت وهو يتابع توترها ثم رد بهدوء:

- أهلك.. مينفعش.. صفتي.. من امتى بيهمنا حد أصلاً؟

زاد توترها وخرجت حروفها مبعثرة:

- مهو أنا هتكسف أروح

- انتي مش هتكوني لوحدك

- بس انا.....

فقاطعها قائلاً:

- عارفة هي هتفرح أد اية لو جبتي معايا؟

ابتسمت رغم ما يخالجها، فضمها إلى صدره وهو يداعب أنفها بأنفه قائلاً:

- هتكون ليلة لطيفة وهتحبيهم

- عارفة من غير ما أشوفهم.. أي حد يخصك أكيد هحبه

قبلة صغيرة فوق ثغرها وهو يقول:

- خلاص جهزي نفسك عشان لما نرجع عايزك في موضوع مهم

- ايه هو؟

ربت بسبابته فوق وجنتها وهو يرد:

- لما نرجع يابطة
وغمز لها باحدى عينيه وتركها وغادر الغرفة
وجلست هي فوق فراشه الذي أصبح فراشها هي خلال الفترة الأخيرة، حيث ظلت تقطن بيته لمدة سبعة أيام
سبعة أيام في الجنة
سبعة أيام في معية نعيمه
سبعة أيام نست فيها ما حدث ومن كانت ومن تكون
هي فقط حبيبته ومن تهنئ برائحة عطره وصوت دقات قلبه ودفئ أنفاسه
واليوم ستكون وسط عائلته

كم تمنت أن تراهم كم أحبتهم من حديثه
ونظرة عينيه وهو يحكي عنهم
كم سرحت بخيالها ورأت نفسها واحدة من
عائلته
وكأن الحياة قررت أن تأخذ صفها
وكأن الدنيا قررت أن تضحك بوجهها
والليلة ستكون واحدة منهم ولو لليلة واحدة
ابتسمت بفرحة وهي تمسك هاتفها تهاتف
إحدى صالات التجميل تحجز لموعد سهرة
الليلة وبدلت ملابسها وخرجت له قائلة:
- طيب أنا لازم انزل أجهز نفسي لحفلة الليلة
- طيب وأنا هاجي معاكي
فاعترضت طريقه قائلة بابتسامة خجلة:
- لا خليك انت دي مشاوير بناتي

- يعني اية بقى؟

قالت بدلال وهي تداعب ياقة قميصه بأطراف أناملها:

- متخافش يابابي بنوتك كبرت وبتعرف تركب تاكسي لوحدها وتروح تعمل شوبينج في محلات البنات

ابتسم وهو يرد:

- بقى كدة

- بليز يابابي توافق

افتعل التفكير وهو يقول:

- مممممم موافق بس بشرط

نظرت له فأشار على وجنته بسبابته فاقتربت بسعادة وتعلقت برقبته بذراعيها وطبعت قبلة على وجنته

- خلاص كدة موافق؟

- متتأخريش

- هكلمك لما أخلص

وهمت بالمغادرة ولكنها توقفت حين سألها:

- مش محتاجة فلوس طيب؟

- لا معايا.. سلام

وغادرت وهي تشعر بحماسة لم تطأ عقلها من قبل

قضت يومها بين التسوق ومركز التجميل وكان عقلها معلق بسهرة الليلة

كيف سيستقبلوها؟ كيف سيكون شعورها وسطهم ؟

كيف سيكون هو ؟ وكيف ستكون هي؟

كان قلبها يدق بشدة وهي تقف في انتظاره ،
وشعرت أنه توقف لحظة رؤيتها لسيارته
تقترب من مكان وقوفها
وترجل من سيارته يرتدي بنطال بلون
كريمي وقميص بلون السماء الفاتح وفوقه
سترة بلونها الغامق
وقف أمامها بعيون متفحصة لرقتها
كانت ترتدي فستان أبيض ينسدل بطول
ساقيها في نعومة يزينه بعض الشرائط
الزهرية من جانبه الأيسر ورفعت خصلات
شعرها لأعلى باستخدام شريط زهري
كدميته وصورتها القديمة
ابتسم وهو ينظر لها بلطف متسائلاً:
- أسيل؟

نظرت له بعيون لائمة وهي ترد:

- انت جاي تاخد واحدة تانية غيري؟

- لا بس بصراحة انتي أحلى بنوتة في الدنيا فيمكن مش مصدق نفسي إن البنت الحلوة دي هتبقى أميرتي في سهرة النهاردة

شعرت بالتوتر للحظة وهي ترد:

- مالك بجد أنا متوترة جداً من السهرة وبفكر جدياً أغير رأيي

- اية؟

وسحبها من يدها نحو سيارته وهو يتابع:

- تغيري رأيك.. وماله.. دول كلهم مستنينك خلاص

قالت بعد أن ركبت:

- وانت كدة بقى بتهديني ولا بتوترني زيادة ؟

إكرام يوسف

فامسك بيدها وقربها من فمه وقبلها ثم قال وهو ينظر بعينيها:

- انتي معايا يبقى مينفعش تقلقي من حاجة .. مفهوم ؟

حاولت أن تقتنع بحديثه وهي تومأ برأسها في إيجاب

وانطلق بها لمنزل عائلة التوهامي

*****

في حي أرستقراطي هادئ كانت تقبع فيلا التوهامي، من الخارج كان الأمر عادي ومع أول خطواتها داخل المكان كانت هناك بعض مظاهر الإحتفال كالأضواء اللامعة المتراقصة على صوت موسيقى مناسبة

للحفل وبعض اللافتات التي تحمل التهاني لصغيرة العائلة

ومع بداية رؤيتهم لمالك كانت التهليلات وقدموا إليه لينهال عليه سيل من القبلات والأحضان وهي تقف تراقب بصمت وقلب يخفق بشدة من أثر التوتر، لكنه شد على يدها في اللحظة المناسبة وهو يقربها منه قائلاً وهو ينظر بوجوه الجميع:

- أقدملكم أسيل

فابتسمت لنظراتهم الباسمة وتوجهوا واحدة تلو الأخرى لتصافحها بود وكان صوته مرافق لها

- دي أماني أختي الكبيرة والحنية كلها

فردت أماني وهي تربت على كتفه:

- مفيش حد في حنيتك انت ياحبيبي

فابتسم وهو يتابع:

- ودي آيات وتقدري تقولي إننا ناقر ونقير

فاحتضنته ريهام وهي تقول:

- ربنا يخليك ليا ياحبيبي ونفضل على طول نتناقر

ابتسم وهو يقرصها في وجنتها بأنامله برفق

ثم تابع وهو يشير إلى الصغيرة:

- ودي بقى ياستي أوزعتي وأخر العنقود

فقاطعته الصغيرة وهي تقترب من أسيل قائلة:

- وأجمل واحدة في البيت

- وأكتر واحدة لمضة كمان

قالها مالك وهو يتابعها وهي تقترب من أسيل وتحتضنها وهي تهمس بصوت مسموع نسبياً لها:

- وأخويا أجمل واحد في الدنيا

فابتسمت أسيل لها وهي ترد بهمس مماثل وكأن أصبح بينهم أسرار

- عارفة

فضحكت الصغيرة وضحكوا جميعهم ودخل حينها رجل وقور بهيئة شامخة وقال بنبرة مرحبة :

- مالك عاش من شافك

فتوجه مالك نحوه يحتضنه وهو يقول:

- وحشتني ياحاج والله

- ياواد يابكاش.. دة انت من ساعة ما عرفت الجميل وانت نسيتنا خالص

قالها وهو يشير بطرف عينه إلى أسيل التي كانت تقف في الخلف برفقة إخوة مالك

فأشار مالك نحوها وهو يقول بفخر:

- أقدملك بقى أسيل

انتقلت أسيل بنظراتها من مالك إلى والده وهي تتجه نحوهما بخطوات تحمل توترها وبابتسامة واهنة مدت يدها لتصافح الرجل الذي شد على يدها وناوشها قائلاً:

- يرضيكي كدة يا أسيل من ساعة ما مالك عرفك وهو بايعنا كدة خالص؟

كادت أن تنطق لكنه تابع وهو لازال يشد على كفها:

- هو صحيح مفيش وجه مقارنة ما بين الجمال دة كله وبينا بس برده .. ولا يعني هو من لقى أحبابه نسي أصحابه

واتبع كلماته بغمزة من إحدى عينيه تعلم الآن من أين أتى بها ابنه ، ثم ردت وهي تبتسم بخجل:

- لا ميرضنيش طبعاً ياعمو

ونظرت لمالك الذي بادلها نظرة يصطنع فيها الشر، فضحكت بخفوت و بادلها هو بأخرى

وربت والده على كتف كلايهما وهو يقول:

- ربنا يخليكم لبعض ياولاد ويفرحنا بيكم قريب

فبادلوه الابتسام وتلاقت نظراتهما تحمل
حديث لا يسمعه الحضور وأمسك هو كفها
يطمئنها أنه لا يزال على العهد
ودخلت أنثى أخرى علمت من الوهلة
الأولى أنها زوجة أبيه
- فطومة
قالها أبيه وهو يشير لها أن تقترب، فاقتربت
بدلال وهي تأكل أسيل بعينها، وقفت جانب
زوجها الذي قال بفخر:
- فطومة مراتي يا أسيل
وأنحنى برأسه يقربها من أسيل متابعاً:
- عشان تعرفي إن مش مالك بس اللي نمس
وكرر غمزته، ورد مالك مازحاً:
- من شابه أباه ياحاج

وضحكوا ثلاثتهم لكن أسيل شعرت بالحنق
حين اقتربت فاطمة من مالك تحتضنه
وتقبله من وجنتيه قائلة:
- وحشتنا يامالك
لم يرد واكتفى بابتسامة صفراء وهو ينظر
لها، وتوجهت هي نحو أسيل لتصافحها
قائلة:
- هتنوري العيلة يا أسيل
وكانت نظراتها تحمل عكس حديثها،
فحشرت أسيل الابتسامة فوق ثغرها دون
أن تنطق
وتنفست بأريحية حين قال الأب:
- يلا ياولاد عشان نحتفل

وتوجهوا جميعاً إلى طاولة جانبية وُضع عليها بعض الأطعمة والمشروبات المناسبة للحفل

وهناك وجدت رجلان كانا قد وصلا للتو أحدهما زوج أماني والأخر كان زوج آيات فصافحهما مالك وعرفهما على أسيل

كانت تشعر بالود وسطهم رغم اكتشافها أن الحفلة عائلية، هي فقط من كانت الغريبة بينهم، لكن أُلفتهم غمرتها من أول وهلة

- يلا ياولاد

قالها الأب بحماس، فرد مالك مسرعاً:

- لا استنوا اية دة فين عمر ابنك يا أماني؟

- تعب من كتر اللعب من الصبح ونام

- بتهزرى.. نص ساعة وتدخلي تصحيه..
انتي مش عارفة هو واحشني أد اية
- وانت كمان وحشته أوي ياحبيبي
- طب يلا بقى
قالتها مريم بتزمر
فاحتضن مالك وجهها وهو يقول:
- يلا ياحبيبتي
ووقفوا جميعهم حول الطاولة وهي كانت
جانبه حين مد يده وأمسك بيدها فنظرت
بعينيه فبثها ابتسامة وبادلته أخرى وحينها
بدأ الجميع ينشد مع الموسيقى
Happy birthday to you

وتعلقت عيناها بالحضور واشتعل قلبها بدفئ الأسرة وارتسمت على وجهها ابتسامة شغوفة وحلم عقلها بالكثير

عروس تلبس الفستان الأبيض بجانبها فارسها الوسيم ذو البذة السوداء وزينة وزغاريد وتبريكات وهما يمشيان وسط الحضور بسعادة حتى وصلا إلى مقعدان مميزان بالمكان

وجلسا فأمسك هو يدها يقبلها وهو يقول :

- نورتي بيتنا يا أسيل

خرجت من أحلامها على كلماته وهي تنظر بعينيه بسعادة وبريق أمل يلمع بعينيها وصرخة داخل قلبها أن حياتها ستكون أجمل معه ، فابتسمت له دون رد

وهنؤا مريم بعيد ميلادها وأخرج مالك من جيبه علبة صغيرة ففتحتها مريم بسعادة لتجدها عقد رقيق يحمل أول حرف باسميهما فقالت الصغيرة:

- مالك

وقال هو:

- مريم

في نفس اللحظة وابتسما واحتضنها وأسيل تراقبهما وداخلها يتمنى لو كان لديها أخ مثل مالك في حنانه واهتمامه وتفهمه

وأخرجت بدورها علبة أنيقة من حقيبتها وأعطتها لمريم قائلة:

- كل سنة وانتي طيبة يامريم

ابتسم لها مالك ونظرت لها مريم بسعادة وهي تقول:

- وانتي طيبة

وبحماس الطفولة فتحت العلبة لتجد فيها مجموعة من الاسطوانات تحمل عليها صورة مطرب مشهور تعشقه تلك الفتاه ذات العشرة أعوام، فصرخت بفرحة:

- كاظم الساهر

فقال مالك مازحاً:

- ياسلام ياست أسيل دة كدة مريم هتقع في غرامك على الأخر

- مش مريم بس كلنا حبينها من أول ما شوفناها

كانت تلك الكلمات من أماني التي اقتربت من أسيل وحوطت خصرها بذراعها بوجه مبتسم

شعرت أسيل بالسعادة وبدفئ وحفاوة لم تشهدهم من قبل

وجلسوا جميعاً يتناثرون الأحاديث في جو أسري مميز وفريد بالنسبة لها

الأسرة .. الدفئ ..الأب .. الأخ

رجال كانوا في حياتها كالظلال

والآن ترى مثلهم على أرض الواقع لكنهم هذه المرة ليسوا ظلال في حياة زويهم

واندمجت معهم في الحديث دون أن تنتبه
لنظرات فاطمة التي كانت تتابعها وداخلها
تشتعل مشاعر الحقد
فلماذا لم تكن هي مكانها؟
لماذا أصبحت هي من نصيب الشايب وتلك
الأسيل من نصيب الجوكر؟
فهي أيضا كانت هناك تعمل لديهم
سكرتيرة، وظيفة متعبة رغم شعور البعض
بعدم أهميتها
مواعيد وأوراق ودوام بلا أوقات محددة
فأينما وُجد المدير وُجدت هي
الحاج رائد التوهامي صاحب الشركة رجل
لطيف ويعاملها بلطف وابنه ذلك الشاب
اليافع الوسيم ورغم أنه كان يصغرها

بعامين لكنها حلمت به ذلك الفارس ممشوق القوام بالتأكيد سيكون منقذها من فقر مدعق تعيشه هي ووالدتها

ظنت الأمر سهل فها هو يلاطفها ويشيد بمفاتنها وأحياناً يضاحكها ونست أنه يفعل ذلك مع الجميع، ذلك الفتى الطائش الذي يعبث بعقول الفتايات دون أن ينتبه لقلوبهم التي تتعلق بحلم هو بطله

وقررت أن تضرب عصفورين بحجر وتتقرب من الحاج حتى يرى فيها ما يجعله يرغب فيها زوجة لابنه، لكن دائماً ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فالحاج راغب فيها بالفعل .. لكن لنفسه وفارق السن ؟

- الراجل مايعبوش إلا جيبه
وكان هذا رد أمها وأحد الجارات
وحلمها ؟
بعيد المنال وبالأحرى محال
وتزوجت الكهل وظل حلمها يداعب خيالها
وكان واقع يذهب ويجئ ويجلس ويتحدث أمامها
ولم تستطع منع نظراتها من معانقة ملامحه
ولم تقدر على كبح لجام رغبتها فيه
فتسللت واختلست النظرة وسرقت اللمسة
وكانت نظرته جحيم ويده التي قبضت على ذراعها ألم تستشعره حتى الآن

وحديثه الذي حمل المهانة المبطنة بتحذير
رادع بأن تُلقى في الشارع بعد أن أصبحت
صاحبة المكان

والآن تجلس صاحبة المكان تشاهد حلم
مراهقتها يضيع من بين يديها ويذهب
لأخرى لا تفوقها جمالاً
فلماذا إذاً فضلها ؟
لماذا لم تكن هي عروسه؟
وأسئلة أخرى شحنها قلبها الملئ بالضغائن
داخل عقلها دون إجابة

وانتهى الحفل وغادر مالك وأسيل بزعم أنه سيصلها إلى منزلها

فهو اعتاد الكذب لأجلها لكن لا يشغله الأمر فكل ما يشعله هو سعادتها

وركبا السيارة فنظر لها بابتسامة قائلاً:

- شكراً انك جيتي معايا

- شكرا !!

قالتها باستغراب ثم تابعت بغنج:

- هي مش الكلمة دي ممنوعة

رفع حاجبه وهو ينظر لها ثم قال بمزاح:

- هو كدة بقى أنا أقول اللي أنا عايزه وانتي متقوليهاش

- ظالم

قالتها بضجر طفولي، وتابع وهو يملس على وجنتها بظهر يده:

- جدااا

واستشعرت أنامله بأعين هائمة ثم قالت:

- برده بحبك

ولم يستطع منع نفسه من إجتياح حمرة شفاها دون استئذان

وهي وقعت أسيرة سطوة شفتيه

وأخرى كانت تحمل نظرتها الألم وهي تتابعهما من شرفة المنزل

*****

الليل والسماء ورحلة فلكية بين النجوم في صحراء حبهما

ومقعدا سيارته قد عدل وضعهما للخلف
وهما مسترخيان فوقهما بأعين متعلقة
بالنجوم
هو يحدث النجوم كعادته
- أحبها ولم أعد أطيق بُعدها.. نفذ صبري ولا
أراها سوى زوجتي
وهي أصبحت مثله تعشق الحديث لنجومه
- أنا أعلم أنه مختلف لكني لازلت في حيرة
ودخان لفافته رسم أمامها خيال زوج حنون
يحبها ويفهمها حتى دون أن تنطق
وحديث النجوم أصبح لايجدي
فهي تريده وتعترف بذلك
وألقت برأسها فوق صدره في صمت فنظر
لها دون حديث واكتفى بضمها، مرت

بضعة دقائق قبل أن تستجمع شجاعتها وترفع رأسها لتنظر لعيناه في ظلمة الليل الساحرة ثم قالت بعد أن ابتلعت ريقها :

- أنا بحبك أوي ومقدرش أعيش من غيرك

لم يفهم مقصدها ولكنه رد وهو يداعب خصلات شعرها:

- وأنا كمان ياحبيبي

كانت تشعر بالتوتر وهي تحاول ترتيب كلماتها، ثم قالت وهي تحاول أن تنظر لأي شئ سوى عينيه:

- انت كل حاجة في حياتي.. أنا حاسة إنك لو بعدت عني ممكن أموت

فضمها وقبل جبينها قائلاً:

- بعد الشر عليك ياحبيبي

فرفعت رأسها مجدداً لتسأله ببلاهة وهي لا تعرف كيف توضح له مقصدها:

- بجد يامالك مش هتسبني؟

وشعر بغرابة في حديثها فقال وهو يخترقها بنظراته:

- انتي عمالة تلفي وتدوري ليه يا أسيل؟ قولي انتي عايزة اية على طول

كانت ضربات قلبها متسارعة وتراجعت للحظة وخرجت كلماتها متلعثمة وهي ترد:

- عادي يامالك مفيش حاجة

- أسيل

قالها بحسم

فنظرت له بعيون معاتبة:

- انت عارف فبطل ترخم عليا

- عارف اية ؟

قالها بهدوء وهو يداعب وجنتها بأنامله، وانسابت كل خلاياها إثر لمسته، وكأن صوتها يأتي من عالم الأحلام:

- انت بتعرف كل حاجة من غير ما أقول

اقترب يلفح وجهها بأنفاسه المشتاقة لرحيقها وبصوت خافت همس:

- أنا عايز أسمع أسيل عايزة اية

وشعرت باليأس وأنه لامفر من محاصرته فردت بخجل:

- انت عارف انه مش سهل يعني عليا إني أطلب الطلب دة

فرد بلوم:

- بس أكيد مش أصعب من إني أطلبه وانتي ترفضي

وشعرت بالحزن وهي تومئ برأسها مؤيدة لكلامه، ونكست رأسها في صمت، فرفعها هو بأنامله وهو يخترقها بنظراته وهو يقول بجمود:

- ها قولي عاوزة اية؟

ورغم أن قلبه كان يرقص طرباً لكن وجهه كان بارد كالثلج، أما تلك المسكينة أسيل غرقت في ماء وجهها وتضاعفت ضربات قلبها وردت وهي تنهج كأنها كانت تصارع مشاعرها المتضاربة:

- أنا موافقة

- على اية؟

هادئ بشكل مميت، فردت وكأنها تكاد تبكي من فرط توترها:

- إننا نتجوز

نظر لعينيها طويلاً دون رد، لحظة صمت أرعبتها، لكنه رد:

- جننتيني يا أسيل

وابتسامة أشرقت فوق وجهيهما، وضمها بقوة وهو يتابع:

- أوعدك هتكوني أسعد واحدة في الدنيا

وردت وهي داخل حضنه:

- وأنا متأكدة إني هكون أسعد واحدة معاك

** ** ** **

.. الفصل الحادي والعشرون ..

المرأة كالزهرة
وكل زهرة لها رائحة خاصة بها
وسحرها الخاص بها
ولكي تظل تنشر سحرها بكل مكان لابد لها
من ساقي يرويها بانتظام ويرعاها

وهي كانت زهرة زابلة
وهو كان الساقي
فرعاها فترعرعت وانتشر سحرها ليغمره
حتى أصبح لايرى بالكون سعادة سوى في
عيناها

وتدثرت الزهرة في حضن ساقيها وهما يجلسا على الأريكة وسكون الغرفة يحاوطهما

فقط ينعمان بعبق الحب المخيم على المكان

- أنا فرحانة أوي

نطقتها بسعادة فملس على وجنتها وهي تتابع:

- حاسة إن سعادة الدنيا كلها مش هتكفيني

ونظرت بعينيه بعمق وهي تسمعه يقول:

- خلاص انتي هتبقي بتاعتي وأنا هبقى بتاعك لأخر العمر

- يارب كل حاجة تمشي زي ما احنا عايزين

- قلقانة من اية ؟

ردت ببعض الضيق:

- مش عارفة .. حاسة اني قلقانة من ماما

تنهد وهو يقول:

- ماما

ثم نظر في وجهها وهو يتابع:

- موافقتك على جوازنا نسيتني الموضوع المهم اللي كنت عايزك فيه

فاعتدلت في جلستها وهي ترد:

- اه صحيح اية هو الموضوع ؟

- هتفضلي قافلة موبيلك كدة كتير ؟ طيب على الأقل طمنيهم عليكي

صمتت فتابع بلطف:

- مش معنى اني سايبك براحتك يبقى أنا موافقك على اللي بتعمليه

ردت بسرعة وعصبية بعض الشئ:

- أنا مغلطش يامالك هي اللي أجبرتني وحاصرتني بطصلتها

أمسك كتفيها بذراعيه وهو يقول بهدوء مضاد لعصبيتها :

- مهو عشان كدة أنا سيبتك تهدي

شعرت بالخجل من عصبيتها فما ذنبه هو فيما فعلته والدتها وابتسمت بخجل وهي ترد:

- أنا مش عارفة من غيرك كنت عملت اية

ابتسم وهو يحتصنها قائلاً:

- كنتي هتعملي حواجبك

فضحكت وهي تضغط برأسها على صدره وهي تقول:

- مهما هتفضل ترخم عليا برده هفضل أحبك

فأمسك وجنتها بإصبعيه وهو يقول:

- بطلي تهربي ويلا عشان تفتحي تليفونك

- لا

قالتها ببعض الدلال

فوضع كفه على فمه وهو يصطنع الدهشة وهو يرد:

- انتي بتقولي لا يا أسيل !

ردت بارتباك:

- أنا بس عايزة أفتحه بكرة الصبح أول ما أصحى والله.. بليز يامالك

- بكرة الصبح أول ما تصحي يا أسيل

- حاضر ياقلبي

قالتها بطفولة فرد وهو يقترب بوجهه من وجهها:

- انتي عارفة إنك إحلويتي أوي النهاردة
ابتسمت وهي تقول بخجل:
- بجد ؟
- اه بجد وأتوقع إن دة مش كويس علشانك
ابتلعت ريقها وهي تنظر بعيناه وهو يقترب منها ويلتقط شفتاها في قبلة طويلة لم تشعر بجسدها خلالها، كانت تطير في السماء لا تشعر بالأرض تحتها وانفجر بركان رغبتهما ووصل للعنان فاستند بجسده فوق جسدها بعد أن طرحها على الأريكة وغابا في لحظة عنفوان وكأنها كانت فاقدة للوعي وكأنه كان يعشق جنونه معها وضمها إلى جسده بشدة وتسللت يده أسفل ملابسها فانتفضت وشعر برعشة جسدها

بين يديه فانتفض وكأنه كان فاقداً لوعيه
ونهض وقامت هي الأخرى متشبثة
بأطراف قميصها
كان وجهه محتقن بالدماء كأنه كان يصارع
رغبته فيها حين نطق:
- يلا عشان تنامي
ابتلعت ريقها وهي ترد بخفوت:
- تصبح على خير
تنفس بهدوء كأنه يستجمع قوته ثم رد
بنصف ابتسامة:
- وانتي من أهله
ودلفت مسرعة إلى الغرفة ووقفت خلف
بابها وهي لازالت ترتعش ودقات قلبها
تتضاعف، لازالت تشعر بضمته، بجسده

بيديه التي كانت تتحسس جسدها بنشوة بقبلته العنيفة، وابتسامة قفزت فوق شفاها وهي تلمسها بأطراف أناملها وتوجهت إلى المرآة تنظر للمعة عينيها وحمرة وجنتيها وشفاه المكتنزة التي تظن أنها أصبحت أجمل عقب قبلته

واحتضنت نفسها تهدئها وهي لازالت تبتسم وتوجهت إلى فراشها وأغلقت الضوء وتدثرت ونامت، فربما يكون هناك في حلمها ويكمل ما بدأه بقبلة

أما هو فظل ناظر أمامه قليلاً وعقله يفكر بباب غرفة تسكنها حبيبته ومن ستصبح زوجته قريباً، وانتهى العراك داخله بتسدحه

على الأرض ورفع جسده بذراعيه في خمسون ضغطة أنهكت قواه وتوجه بعدها بأنفاسه المتهدجة إلى الحمام وأسكن ثورة جسده بمياة باردة وتوجه إلى الفراش ونام

وفي الصباح خرجت تبحث عنه فوجدته يجلس على الأريكة يتابع بعضاً من أعماله على حاسوبه المحمول وما إن رأها حتى وضعه أمامه على المنضدة ومد يده لها فاقتربت فجذبها من يدها وأجلسها فوق قدمه وبدأ يمسد خصلات شعرها المبعثرة بيديه وهو يقول:

- نمتي كويس ؟

ابتسمت بخجل وهي تتذكر حلم قضته معه طوال الليل واكتفت باماءة في إيجاب ورفع وجهها بأنامله واقترب بوجه منها ونظر بعينها متسائلاً:

- مالك؟

- مفيش عادي يعني

- طيب انا كنت عايز أقولك حاجة

رفعت عينيها تنظر له بكل انتباها فتابع:

- أنا أسف

ونظرتها باتت مستفهمة فأكمل:

- امبارح كنا هنأفور بس أنا مسكت نفسي

والخجل غمرها فخفضت وجهها فرفعه مرة أخرى وهو يكمل:

- أنا عايز أتجوزك دلوقتي حالاً انتي فاهمة محدش عارف المرة الجاية ممكن يحصل اية

وكان يغمز بإحدى عينيه

فهربت من نظراته وأخفت رأسها داخل صدره فضمها وهو يتنهد ثم قال:

- امتى بقى تبقي مراتي

وتابع فجأة كأنه أدرك شيئاً لتوه:

- انتي فتحتي تليفونك ؟

- لسة

قالتها بضعف

- ليه بقى ؟

- خلاص هقوم أفتحه

وقامت وأحضرت الهاتف وجلست جانبه
بعد أن فتحت هاتفها وتعمد هو أن ينشغل
بالعمل على حاسوبه ليتركها تقرأ وابل
الرسائل الذي صدح بها هاتفها
العديد من الرسائل نصفهم من والدتها
والنصف الأخر لأخيها
معظمها لا تحتوي سوى على زمها وسبها
والحديث عن أخلاقها التي فسدت وعن
أمنية والدتها في موتها والخلاص منها
وتحرج أخيها من تصرفاتها أمام زوجته
وأخيراً
أسيل أنا في مصر
طارق
والتاريخ منذ ثلاثة أيام

مسحت عبرة نزلت على وجنتها وهي تقول بصوت مختنق:

- طارق هنا في مصر

فنظر مالك لها وهو يقول:

- بجد ! طب كويس

وبتر كلماته حين لاحظ عيناه المترقرقة بالدموع فضمها سريعاً وهو يسألها بأسى:

- في اية؟

ولم ترد ولكنه أدرك فتابع:

- معلش بكرة كل حاجة هتبقى أحسن لما نتجوز ويطمنوا عليكي

وكأن حضنه صرح لدموعها الحبيسة بالإنطلاق، وبعد لحظة من تربيته وبكاءها رفعت رأسها تنظر بوجه والدموع تملئها

- أنا مفيش حد بيحبني غيرك.. أنا مليش غيرك يامالك

فضمها مرة أخرى وهو يشعر بالحنق لأجلها ورد:

- انتي أغلى ما في دنيتي يا أسيل.. ميهمكيش أي حاجة أو أى حد طول ما انتي في حضني وطول ما انتي معايا

فنظرت له قائلة:

- ربنا يخليك ليا ياحبيبي

- ولا يحرمني منك أبداً

وقبلة على جبينها وضمة أخرى ربما تلك الأخيرة يهدأ بها قلبه الذي أصبح يأن لأجل حبيبته

ورنين هاتفها أخرجها من حضنه ومسحت دموعها وهي تنظر له قائلة :

- دة طارق

- نايس حاولي تهدي وردي عليه

قالها بهدوء وهو يتابعها وهي تسحب بأنفها شهيق وتخرجه ببطئ وقد سكنت قليلاً

ورفعت الهاتف على أذنها بعد أن فتحت الإتصال ولم تنطق فقط جاءها صوت أخيها بلهفة :

- أسيل

فردت بهدوء:

- أيوة ياطارق

وهنا قام مالك من جانبها وترك لها تلك المساحة الخاصة مع أخيها الذي زعق بها :

- انتي فين يازفتة.. بقالي تلت أيام هنا وسايب شغلي عشان سيادتك ومش عارف ألاقيكي

قلبها صدأ من قسوة قلوبهم وتعنيفهم الدائم لها فردت بجمود:

- مكنش في داعي تتعب نفسك وتسيب شغلك وتيجي على فكرة

ونبرته كانت بقسوة ليالي لم ينامها وأيام يدور في الشوارع بحثاً عنها:

- انتي فين؟

ورعشة قلبها ظهرت على حروفها:

- عند واحدة صاحبتي

- ساكنة في أي داهية ؟

ولأول مرة يقسو عليها

في السابق كانت قسوته في صمته والآن بات يحملها صوته

- قابلني كمان نص ساعة في الكوفي اللي جنب البيت

- بقولك انتي فين؟

وارتعشت من هول صوته فردت :

- في الشارع ياطارق وجيالك

وانهت المكالمة وركضت نحو مالك الذي كان يقف في الشرفة ورعشتها أهابته وحروفها كانت مختنقة بدموعها

- أنا هنزل أقابل طارق

- ممكن تهدي وتفهميني بس بتعيطي ليه

- عمال يزعق ومصمم يعرف أنا فين ويجيلي

فضمها إلى صدره وهو يقول بحنان:

- طب بس بطلي عياط

رفعت وجهها تنظر في عينيه

- أول مرة يزعقلي كدة.. أنا خايفة يامالك

وسقط قلبه إثر نظراتها المرتجفة وضمها ثم قال بعد برهة:

- متخافيش أنا هاجي معاكي

رفعت وجهها تنظر له بدهشة

- اية؟ ازاي ؟ كدة هيعرفوا اني كنت عندك وبعدين هقوله انت مين أصلاً

- أنا واحد بحبك وعايز أتجوزك.. ثم مين قال إني لما أروح معاكي يبقى انتي كنتي بايتة عندي.. عادي إحنا كنا مع بعض في الشغل وأنا جيت معاكي عشان أطلب إيدك منه

- انت أكيد مجنون

- هو اللي يعرفك يفضل فيه عقل يابطتي

قالها بابتسامة فعدتها ابتسامته رغم ألمها وقالت :

- أنا متوترة وحاسة الموضوع مش هيعدي على خير دة متعصب جداً وأنا مش قادرة أتوقع رد فعله

أمسك وجهها بين يديه وهو يقول:

- متقلقيش طول ما أنا معاكي.. يلا روحي اغسلي وشك وغيري هدومك وأنا كمان هجهز عشان منتأخرش عليه

أومأت برأسها في إيجاب وذهبت لتفعل ما قاله لها وعقلها لايكاد يستوعب ما يحدث ولا يستطيع أن يتوقع ما سيحدث

*****

- يامخلفة البنات ياشايلة الهم للممات

كلمات والدته ترن بعقله وهو يجلس وحيداً في المقهى بوجه محتقن وأصابع يدق بها على الطاولة أمامه وعقله يدبر لعقاب رادع لتلك الملعونة التي فضحته أمام زوجته وعائلتها

لايعلم أحد طريقها منذ أسبوع

فأين ستكون ذهبت أخته المطلقة الطائشة ؟

وألف سيناريو يَحكي عن شرفه الذي دنسته أخته بالوحل

والأهم .. سمعته

وظهرت الطائشة خطواتها توازي خطوات شاب وهذا ما أدهشه

اقتربا من مكانه ووقفت أمامه بوجه تحاول أن تخفي فيه توترها

- حمد الله على سلامتك ياطارق

- مين دة ؟

قالها ببعض الغضب وهو يشير إلى مالك الذي رد بهدوء مع ابتسامة وقورة:

مالك التهامي صاحب شركة ماجيكو اللي بتشتغل فيها أسيل

ومد يده في مصافحة لطارق الذي تمكن الغضب منه وهو يرسم بعقله حكاية رب عمل يضاجع موظفته سراَ

جر مالك المقعد أمام أسيل لتجلس وجلس هو الأخر وتابع في ظل صدمة طارق وتوجُس أسيل التي تتابع ملامح أخيها

- أنا عارف إن اللقاء دة عائلي وأسف إني اخترقته بس بصراحة أنا ما صدقت إن أسيل قالتلي إنك هنا في مصر فقلت أجي أقابلك قبل ما ترجع

- وياترى عايزني في اية ؟

نظر لأسيل وابتسم ثم قال:

- عايز أطلب منك إيد أسيل

وكأن الجو أصبح بارداَ فجأة ليطفئ نيران كانت تشتعل داخله وتبدلت نظرته وهو ينظر لكليهما وكأنه نسي كل شئ نسى غيابها ولوم أمه وزوجته وسمعته ورد:

- بس المواضيع دي ما بتتاخدش كدة يا أستاذ مالك

- أكيد طبعاً هاجي أنا ووالدي ونطلبها من بيتها أنا بس قلت أجي ألحقك وبصراحة أنا مستعجل جداً

وابتسامة موجه لأسيل التي بادلته أخرى بخجل

- أنا ممكن أمد أجازتي شوية ونتفق على معاد تشرفونا فيه

- بكرة

قالها مسرعاً فابتسم طارق وهو يرد:

- وهو كذلك

وقام مالك مصافحاً إياه وهو يقول:

- أنا أخدت رقم تليفونك من أسيل وبكرة إن شاء الله هكلمك

ونظرة لأسيل وهو يقول:

- خليكي اليومين دول أجازة عشان تعدي مع أخوكي براحتك أكيد واحشك

وابتسامة بلهاء منها وهي لا تصدق ما يحصل حولها وغادر هو

غادر ساحرها الذي غير بعصاه السحرية كل شئ من الأسود للأبيض

- انتي موافقة ؟

وسؤال أخيها جعلها تنتبه

فأومأت برأسها في إيجاب وتابع هو:

- فكري كويس أنا مش عايزك تتصدمي مرة تانية

وذكرى مقيتة مرت بخيالها وهي ترد:

- فكرت كويس متقلقش

وأمسك كف يدها وهو يقول:

- أنا عايز أطمن عليكي يا أسيل وأتمنى تكوني مع الراجل اللي يصونك

فابتسمت وهي ترد:

- ومالك هو الراجل دة

وابتسامتها كانت مشرقة بالحب ونظرة لم يراها أخيها بعينيها من قبل جعلته يبتسم هو الأخر قائلاً:

- مبروك ياحبيبتي

وضمة من أخيها ربما طمئنتها وربما تفتقدها، المهم أنها أراحت قلبها

*****

السعادة مجرد لمسة لكنها تغير كل شئ بك تحملك على أعناقها وتسافر بك في بلاد المرح

لم تعلم كيف مر الأسبوع ربما تكون
السعادة خطفتها فلم تدرك الوقت معها
كان أسبوع ملئ بالتفاصيل بداية من
مصالحتها مع والداتها ومحاولة إقناعها
بزواجها من مالك والتأكيد عليها بألا تذكر
أمام عائلته أنها مطلقة
فهذا سيظل سرها هي ومالك فقط
- وجوازة اية دي اللي بتعملولها التمثليات دي
كلها ؟
واستنكار منها مع امتعاص شفاها
لكن الأمر مر وعدت زيارة مالك ووالده
على خير
وأُبرم الإتفاق على كل شئ

ستقام حفل لخطبة العريس والعروس في نهاية الأسبوع، ويتم التجهيز للزيجة خلال الشهور القادمة

والآن هي تجلس على مقعد عالي نسبياً أمامها مرآة كبيرة وتقف جوارها فتاه رفيعة بشعر أصفر صارخ وبلمسات أناملها الدقيقة تضيف لمسات التبرج الأخيرة للعروس فكل شئ للحفل جاهز وجميع الحضور بانتظارها في الخارج

- خلاص ياجميلة كله تمام

فرفعت عينها لتنظر لنفسها بالمرآة بتأمل

- ما شاء الله يا أسيل زي القمر

وكان ذلك الصوت من نسرين التي أمسكت كتفيها واقتربت تتابع:

- يابختك يامالك

فضحكتا وقالت الفتاه:

- يلا عشان تخرجي

فوقفت أسيل ونظرت بالمرآة لمرة أخرى وخرحت بخطوات متأنية من تلك الغرفة التي أعدها مالك لها في فيلا أبيه كي تقضي فيها اليوم لإتمام تجهيزات الخطبة اللازمة لها بعد إصرار والده على إقامة الخطبة في حديقة منزلهم

وفُتح باب الغرفة فرأته ورأها كان مثل حاصدين الأوسكار وهو في بذته السوداء الرسمية فخطفها بوسامته

وكانت كالنجمة في السماء بثوبها الفضي الطويل وقد رفعت خصلات شعرها إلى الأعلى لتكون كالأميرات في طلتها وبالفعل هي أميرة الليلة وهو ملك أحلامها التقط يدها وتلقفها بشفاه في قبلة ووضعها على ساعده وهمس في أذنها قبل أن تخطو إلى الخارج :

- هو أنا ينفع أخدك وأهرب ؟

فابتسمت وتلقت نظرة العشق من عينيه وقالت بمزاح:

- بس أنا عايزة أحضر الحفلة وأكل جاتوه

فانفرج فاهه ضاحكاً دون قصد مع أول خطواتهم في حديقة المنزل فاتُقِطت أول صورة لهما ضاحكان

والتفوا حولهم الأقارب والأصدقاء بوجوههم الباسمة يباركون للعروسان

السعادة كانت في العيون والقلوب كانت ترفرف في السماء وقلبيهما تعلقا بنجمة شهدت قصة حب بدأت في الظلام والآن أنارت للجميع

ورقصة على موسيقى هادئة وعيناهما تعانقت في الخفاء والعهد كان في همسه لها

- من النهاردة انتي بتاعتي أنا وبس يعني مش هتخرجي من حضني أبداً

وصدره استقبلها

والسعادة تطايرت حولهما لتشمل الجميع

*****

.. النهاية ..

نهاية سعيدة والكل يبتسم وخفقات قلوبهم
تتراقص
فمن منا لا يحب النهايات السعيدة

ولكن لحظة هذه ليست النهاية
فلازال للحديث بقية

ورغم أننا جميعاً نعشق النهايات السعيدة ونتمناها

لكنه كان هناك وسط الحضور عيناه عرفتها وعقله يتذكرها جيداً

- أجل هي نفسها أسيل

** ** ** **

.. الفصل الثاني والعشرون ..

كان يجلس على مقعده المعتاد بملامح
متجهمة وكأنه لا يشعر بها حوله
فقد كانت تتحرك حوله بكعبها العالي الذي
يصدر ضجة عارمة بالمكان ورائحة
عطرها النفاذة حيث أفرغت ما يقارب من
نص زجاجة عطرها فوق ملابسها
ورغم الغليان الذي كان يفور داخل صدرها
ارتدت غلالتها وتبرجت وطرحت خصلات
شعرها فوق كتفيها
فهي تريد أن تنسى ما حدث أو ربما تحاول
التغافل عنه الليلة بعد أن تقضي ليلة تحت
ظل رجل خمسيني ذو أنفاس متهدجة وأداء

روتيني بطئ، لكنها تحتاجه الليلة فربما تدفن مشاعرها المكبوتة مع رغبتها في الفحولة في فراشه

نظرة أخيرة على وجهها في المرآة

- ليتك لم تتسرعي فاطمة وتدفني حالك تحت كهولته

وقررت ألا تفكر وتنساب في عالمها وتوجهت إليه وأدركت ما تحمله ملامح وجهه وهو يجلس بوجه مبهم دون حراك

- حبيبي ماله بقى مكشر ليه ؟ في حد يبقى مكشر كدة بعد يوم الخطوبة الحلو دة

رد بوهن:

- لا عادي مفيش حاجة

- اية هي العروسة مش عجباك ولا اية ياتوتو

- أسيل ؟

قالها بوجه مقتضب فشعرت أن هناك خطب ما ورغم دهشتها لكن داخلها كان يتراقص

وردت:

- في اية احكيلي

- مش عارف أقولك اية يافطوم .. ومش مصدق إن مالك أبو عقل كبير اللي ممشي الشركة كلها بعقله يقع الوقعة دي

اصطنعت الدهشة وهي تقول:

- ليه هي مالها أسيل ؟

وأرجع ظهره للخلف وهو يتذكر

ذلك الرجل الوقور صديق طفولته وهو يتوجه نحوه في الحفل مهنأً إياه بوجه شارد فسأله هو :

- اية مالك يادكتور في اية ؟

- لا أبداً بس مستغرب بصراحة شوية

- من اية احكيلي

- بتهيألي نحكي جوة أحسن

- تمام اتفضل

وتوجها الرجلان إلى الداخل دون أن يشعر بهما أحد وفي غرفة مغلقة بدأ الصديق حديثه

- مكنتش متوقع بصراحة إنك توافق على الجوازة دي

فرد هو بدهشة:

- ليه بتقول كدة أسيل بنت كويسة ومالك عارفها من فترة وبتشتغل معاه من فترة في الشركة

- ما أنا عارف وأنا اللي كلمتك عنها عشان تشغلها في الشركة

نظر له بتوجس وهو يقول:

- هي دي ؟

فاومأ الأخر في إيجاب مؤكداً

- مريضة نفسية ؟

سأله بريبة ، فرد :

- مش بالظبط بس عقدها كتير والأهم إنها مطلقة وسلوكها منحرف

- اية؟

قالها بصدمة وهو لا يكاد يصدق

- مالك خبى عليك مش كدة؟ زي ما توقعت بالظبط

وتابع وهو يتفقد ببصرة وجه صديقه:

- مالك ذكي وبيعرف كويس ياخد الحاجة اللي هو عايزها وبدام خبى يبقى الموضوع كبير .. حاول معاه بالهداوة انت عارف ابنك عنيد أد اية

- أنا مش مصدق إن دة اختيار مالك .. مش مصدق إن أعقل ولادي يعمل كدة

- بالهداوة ياحاج عشان ميعندش.. متكلمهوش في حاجة غير لما تفكر كويس وتشوف هتعمل اية

كانت تنظر له بدهشة وهو يقص عليها ما حدث وما قاله صديقه الطبيب

- وناوي تعمل إية .. هتسيبه يتجوزها..

وتبقى دي جوازة الحيلة اللي مستنيها تحصل من سنين ؟

- أكيد لا مش هسيبه يتجوزها دي مطلقة

وكمان كانت بتسهر في بارات واحتمال هو يكون مش عارف حقيقة انحرافها دة

- واحتمال يكون عارف

نظر لها بشك فتابعت هي تبث السم في أذنه:

- وعشان نضمن إننا ننجح في بعده عنها مش لازم مالك يعرف إنك عرفت عشان ميصرش على رأيه وانت عارف ابنك

ودماغه وجربته لما صمم يروح يعيش لوحده ويسيبك .. واهي دي النتيجة راح حب واحدة صايعة وجايبها يلبسهالنا كلنا

- مش هيحصل ومش هتكون مراته

- يبقى نفكر بالعقل عشان منخسرهوش

*****

تمددت على الفراش جانب أخيها مهند فهي قد اضطرت للبقاء في منزل والدتها في الفترة السابقة ووجود أخيها طارق هناك ساعدها على ذلك

كان يوم مرهق لكن كل تعب زال مع سعادتهما

ورغم ظلام الغرفة أضاء هاتفها بحروفه

- وحشتيني

ونور ابتسامتها كان أكبر

- حبيبي انت كمان وحشتني أوي

وكان قلبها يتراقص بفرح فأخيراً أصبحت له أمام الجميع، وكتبت

- حاسة إني بحلم مش قادرة أصدق إننا اتخطبنا بالسرعة دي

- بالسرعة دي ؟ يابنتي دة أنا طلع عيني لغاية ما وافقتي .. بس هانت كله هطلعه عليكي بس لما تبقي في بيتي

- اية دة انت مفتري أوي

- جداااا .. بس بعشقك يامجنونة

فابتسمت وكتبت

- انت بايت عند باباك

- لا طبعاً روحت

- يابختك انا كمان نفسي أروح بيتي
- أخوكي مسافر امتى ؟
- بكرة
- لو مرتاحة عندك خليكي أحسن .. وأنا هبقى مطمن عليكي أكتر
- هو الوضع عادي .. بس ماما مش هتسكت وأكيد هتضايقني في أي حاجة فالأحسن إني أمشي وقتها هكون مرتاحة أكتر
- خلاص اللي يريحك

وتابع

- يلا بقى عشان تنامي عشان وحشتيني ومستنيكي بكرة في الشغل
- اية دة هو أنا مش أجازة ؟

- لا خلاص خلصت ياروحي.. مش هقدر على بعدك تاني

وابتسمت بسعادة وأغمضت عينيها ونامت وحلمت بالملك الذي ربعها ملكة على عرش قلبه وطوقها داخل حضنه

*****

يُقال أن أسهل الطرق إلى أي شئ هو الخط المستقيم

وإن كان للحيلة طرق ملتوية فليتبعها وليكن ما يكن

البداية يجب أن تكون سريعة

وطريقه سيكون نحوها هي لا نحوه

لم يعرف كيف استطاع أن يصبر ثلاث أيام على تنفيذ ما خطط له هو وزوجته

يجب أن تطرق على الحديد وهو ساخن
هكذا كان مذاق سم حيته
وخطواته ترجلت من سيارته الفارهة أمام بناية كبيرة يجلس على بوابتها حارس بهيئة بسيطة
- حضرتك طالع فين ولا مؤاخذة يابيه ؟
- فيه واحدة ساكنة هنا اسمها أسيل؟
- أيوة في الدور التالت شقة ٦
- شكراً
وتوجه الرجل إلى الداخل مع ضرب الأخر كفاً بكف وهو يتمتم:
- وياترى مين دة كمان ؟

وعلى باب منزلها كان الطارق وهي خرجت بملابس منزلية غير مرتبة وشعر معقوص للخلف بدون اهتمام لتجده أمامها وبتلقائية ابتسمت رغم استغربها من مجيئه المفاجئ لها، لكنها قالت:

- ازي حضرتك ياعمو اتفضل

ودخل هو دون أن يتحدث وجلس على الأريكة وجلست جانبه قائلة ببلاهة:

- اية المفاجأة الحلوة دي

وتابعت وهي تهم بالوقوف:

- حضرتك تشرب اية ؟

لكنه أوقفها بأن أمسك يدها وجعلها تجلس مرة أخرى، وقال بوجه جامد :

- خليكي أنا جاي أقولك كلمتين وهمشي على طول

صمتت وهي تتابع ملامح وجهه، فتابع بوجه قاسي :

- أنا عرفت كل حاجة عنك

وشعرت بالأرض تهتز تحت قدميها فتابع:

- عرفت إنك مطلقة وعندك مرض نفسي وعرفت كمان إنك بتترددي على الديسكوهات والبارات

ولسانها عُقد داخل فمها وأذنيها لا تصدق ما تسمعه

وكجلاد يتقن عمله تابع بحزم:

- مش مهم تعرفي عرفت كل دة منين الأهم إنك تبعدي عن ابني لإني استحالة أوافق على الجوازة دي

ودموعها لبت نداء قلبها الجريح وانهمرت دون قصد منها

- أنا عارف إنك بنت عاقلة ولو مش عايزة مالك يتأذي وأهله كلهم يعادوه وتتسحب منه الشركة اللي هي مستقبله فإبعدي عنه

والدموع فقط كانت ردها ، وجملة أخيرة ساقها لها وخرج :

- لو يهمك زعل مالك ياريت ميعرفش إني جتلك هنا

وانتهت حياتها بانتهاء زيارة عصفت بالدنيا حولها

والقرار واضح دون جدال
هي ملطخة بالذنوب
والآن حان وقت الحساب
*****

للصمت وجهان
أحدهما أحمق لا يدرك ما يقوله
والأخر فقد النطق
وهي فقدت النطق وحتى القدرة على
الحراك
وظلت طوال ليلتها جالسة مكانها بدموع
منهمرة وعقل لا يحسن التدبير
القرار .. فراق
ولم يكن بيدها أن تختار
ولم يكن هناك اختيارات

رنين هاتفها لم يهدأ وشاشته لم تحمل سوى صورته واسمه

وهي تبكي وتنتحب و تقيم مراسم الدفن

لحب وُلد في سواد الليل ومات حين طلعت الشمس

وحتى هاتفها فقد طاقته من كثرة الرنين

وعيونها لم تجف بعد

وبعد القليل من الوقت كان ما توقعته طارق على بابها

وكان هو ولهفته وحضنه ارتمت فيه دون شعور ونحيب وارتعاشة دون أن تنطق بكلمة

وقلقه تضاعف

- أسيل اهدي ياحبيبي.. قولي بس في اية؟

وقبلة على جبينها

- اية اللي حصل ؟

سؤال واجابته تبدو سهلة

هل تصرخ بوجهه قائلة أن والده قرر أن يحرمها الحياة جواره

هل تبكي وتضرب على صدره منادية بعدل

لكنها هي من فرطت في كل شئ وهذا جزاءها

العدل دائماً يأتي في الوقت الذي تنسى فيه أنه وُجد ليقتص

وهي ظالمة

ولم تظلم سوى نفسها

رفعت عينيها المليئة بالدموع وأخيراً خرج صوتها

- أنا بحبك أوي يامالك

وضمة منه لرأسها وهو يأكد:

- وأنا كمان بحبك أوي ياحبيبي

وبدأ عقلها يدرك الأمر ويرتب أفكاره وكانت أولها

- متقلقش عليا أنا كويسة أنا بس اتخانقت مع ماما ومكنتش عايزة أرد عليك وأقلقك عشان مكنتش عارفة أبطل عياط

- وانتي لما متردیش كدة بقى مش هتقلقيني ؟

كانت نبرته تحمل الحدة ونظرته تحمل اللوم وتابع بحسم:

- إياكي يا أسيل أتصل بيكي في أي وقت ومترديش .. مفهوم ؟

وأومأت برأسها في إيجاب وقلبها لا زال يأن لدنيا تراها للحظات أخيرة

- المهم دلوقتي تبطلي عياط وتدخلي تغسلي وشك وتنامي ومتفكريش في أي حاجة وبكرة لما نتقابل في الشغل نبقى نتكلم

وإيماءة أخرى منها وقبلة منه على جبينها

- أنا عارف إن بطتي هتسمع الكلام .. مش كدة ؟

وشبح ابتسامة ظهر فوق ثغرها وقبلة أخرى ورحل

وهي تحركت بجسدها ونفذت ما قاله
وأغلقت عقلها عن التفكير ، فغداً يحتاج إلى
كل خلية فيه

*****

وفي موعد العمل كانت تنظر لهيئتها بالمرآة
وتستعد للقاءها الأخير معه
كانت ترتدي بنطال من خامة الجينز الفاتح
وبلوزة باللون الأسود ونثرت خصلات
شعرها خلف ظهرها وتبرجت وكأنها حفلة
الوداع
وتوجهت إلى مكتبه فور وصولها إلى
الشركة وارتمت بحضنه مع أول لقاءهما
وكأنها تحاول أن تشبع من رائحته

ومر يوم العمل كأي يوم عادي على الجميع إياها

هي فقط من كانت تحمل الوداع لكل شئ بالمكان حتى أثاثه والجدران

ودعت نسرين بابتسامة وضمة استقبلتهما الأخيرة بتلقائية وهي لا تعرف ما تنويه أسيل

واستقلت جانب مالك في السيارة وقالت وهي تنظر أمامها:

- الليلة هبات عندك

وعيونه ابتسمت وهو ينظر لها وقال مداعباً:

- لدرجادي مش قادرة على بعدي

وكأن كلماته تذبحها فنظرت بعينيه وداخلها يصرخ

الموت في بعدي عنك

وحشرت ابتسامة فوق ثغرها وقالت:

- بحبك أعمل اية ؟

وقبلة منه فوق كفها وهو يرد:

- وأنا بموت فيكي ياحبيبي

وانطلق بسيارته إلى منزله وهناك دخلت غرفته وتأملت كل شبر بها وناجتها

يامن تخيلتك سكني وموطني

ضميه عني وضمدي جراحه

كوني جنة لن أكون فيها

وانسيني كي ينساني

فأنا لا أستحق أن أكون ظلاً على جدرانك

وارتمت على فراشه تنتحب في هدوء وتشد على أطرافه كأنها تناشدها ألا تتركها وطرقاته على الباب نبهتها وصوته جعلها تنتفض

- يلا حبيبي أنا حضرت السفرة

فردت بصوت جاهدت حتى لا يشعر ببكاءها فيه:

- خلاص يامالك جاية ثواني

وبسرعة بدلت ملابسها وارتدت منامته جففت دموعها ووضعت بعض مساحيق التبرج حتى تخفي أثار البكاء في ملامحها وخرجت على صوت صيحاته

- يلا أنا واقع من الجوع

فاقتربت منه بابتسامة قائلة:

- حاضر خلاص أنا جيت أهوه
وجلست جانبه فهمس وهو يضع قطعة
صغيرة من اللحم المشوي في فمها :
- أنا بحذرك من دلوقتي لما نتجوز لوجعت
وملقتش حاجة أكلها احتمال كبير أكلك
وضحكت وداخلها بركان من القهر
فهو يداعب خيالها بزيجة لن تحدث
زيجة قُتلت قبل أن تبدأ
حاولت أن تكون جامدة وتكمل ليلتها كما
رتبت
سهرة في حضنه أمام التلفاز
ليلة هادئة وناعمة
وعواصف من المشاعر داخلها

وبراكين قررت إخمادها وقالت بابتسامة مصطنعة وهي تداعب ذقنه المشذبة بأناملها:

- هو أنا ممكن أطلب طلب بس متقولش لا

نظر لها وهو يقول :

- معنديش الكلام دة .. قولي الأول وبعدين هقرر

- وحياتي

قالتها بدلال فرد:

- قولي طيب

- انا عايزة أشرب حشيش

نظر لها بعتاب فتابعت باستماتة:

- بليز يامالك .. وحياتي .. عايزة أنسى نفسي في حضنك الليلة

- أسيل بلاش أحسن وإحنا في البيت
- وحياتي وحياتي
فطبع قبلة على وجنتها وهو يقول :
- وأنا معنديش أغلى من حياتك ياحبيبي
وحياتها ستفقدها قريباً بغيابه
نفضت الأفكار عن عقلها وهي تتابعه يجهز لها لفائفها
وناقوس أعرن يدق داخلها
إن كانت ملطخة بالذنوب فلتكون أخرها مع من تحب

الحب لا يرى لكنه يتألم
وباسمه ترتكب المعاصي

لفافة واثنان وثلاثة
وحفنة من الكلمات المبعثرة والهذيان
وسقطت في بئر ليس له أخر
بئر من النسيان
وحملها هو إلى فراشه وكاد يخرج لولا أنها
أمسكت بذراعه في لحظة وعي لعقلها
وقالت برجاء:
- متسبنيش يامالك .. إوعي تسيبني
فربت على كفها قائلاً:
- أسيبك بس وأروح فين هو أنا ليا غيرك
ياحبيبي
وشق صدرها بحنانه وتناست ألمها
وأصرت باستماتة:
- خليك هنا أنا عايزة أنام في حضنك

وشعر بشئ ما يخالجها فأومأ برأسه في صمت وضمها إلى صدره واستكان جانبها فغلبها النعاس ولم تشعر بنفسها سوى في الصباح

ذراعه تحاوطها وأنفاسه تدفئ رقبتها وجنة داخل حضنه قد حان وقت أن تتركها

حاولت ببطئ أن تنزع نفسها من أسفل ذراعه وبهدوء حملت ملابسها

ورحلت مع نسمة حزينة وورقة باهتة وخط بائس لجملة واحدة

سامحني مش هقدر أكمل معاك

** ** ** **

.. الفصل الثالث والعشرون ..

هل في الموت راحة ؟
أم أن ما بعد الموت لا يستوعبه عقل البشر؟
وإن كان في موتها راحة ، فهل عليها
الإختيار ؟
هل علينا الإختيار بين الموت والحياة ؟
وأين هي الحياة بالنسبة لتلك البائسة ؟
كانت تجلس في حوض الإستحمام بقميص
قطني قصير من اللون الأبيض ولطخ
بالقليل من اللون الأحمر
ومدت ساقيها أمامها وهما قد فقدا لونهما
الأصلي وصبغا بلون الدم

ناظرة أمامها بعينين رحلا عن عالمنا
ودموع جفت وشفاه جافة ووجه أشبه بالموتى
مدت ساعدها أمامها تنظر بعيون غائرة
على خطوط الحياة فيها ، أوردة بارزة
تحمل الحياة داخلها بلون الدم ، ويدها الأخرى تمسك السكين
وفقط لمسة وينقطع الوريد وتنتهي الحياة بصفحة حمراء قاتمة
قربت سكينها بهدوء من وريدها
طرفة عين وينتهي كل شئ
لكن يدها اهتزت لفزع قلبها وخافت ورمت السكين وهربت كعادتها

فهي هشة ضعيفة لا تقدر حتى على
مواجهة خط الدماء بيدها
وانتهى الأمر بسيل أخر من الدموع كانت
قد ظنتها جفت

*****

الوقت هو أهم ما تملك
ساعات دقائق أو حتى ثوان كلها ثمينة على
من يقدرها فقط
وهو يدرك قيمة الوقت ويقدره
وفي موعده اليومي للإستيقاظ كان يتمطأ
داخل فراشه وهو يشتم رائحة الفواكة
بخصلات شعرها
لكنه تحسس الفراش فلم يجدها وأدرك أن
الرائحة علقت بالوسادة

قام وهو ينظر حوله وعلى وجه نصف
ابتسامة لتذكره ليلة أمس
كم كانت صغيرة داخل حضنه وكم أحب
النوم بين رائحتها ونبضات قلبها
خرج من الغرفة يبحث عنها
- أسيل .. حبيبي
هنا وهناك ولم يجدها ، استغرب الأمر
ولكنه ظن أنها ذهبت لتشتري بعض
الأغراض من الخارج وذلك قبل أن يتوجه
إلى المنضدة جانب الفراش وُضع عليها
هاتفه وجانبه ورقة صغيرة تحمل أكبر
صدمة في حياته
وبالأحرى أكبر خدعة

الثمن كان قلبه
والمقاومة الأولى صرخة
- لييييييه ؟
ويده ضربت الحائط حتى تكبدت، وفتح هاتفه وبحث عن اسمها، واتصال كان يتوقع نتيجته
هاتف مغلق وخديعة مكتملة باسم الحب
كانت جدران الغرفة تدور حوله وهو لا يعلم كيف ومتى ولماذا حدث ذلك معه ؟
استند بيده على طرف فراشه وجلس منكس الرأس وهو لا يقوى حتى على التفكير
كل أحلامه تتحطم على الأرض أمامه
والحب
والدفئ

والحنان
وبراءة كانت تسكن عيناها
وطفلة تشبثت به وأكدت مراراً
- إوعى تسيبني
لتفعلها هي

استطاعت واستغنت وتركته خلفها
ولم يستطع أن لا يصل لإجابة لتساؤلاته ،
فبدل ملابسه وخرج من المنزل قاد سيارته
إلى منزلها فهي وحدها القادرة على إجابته
*****

طرقاته على الباب جعلتها تنتفض
وهو ظل يطرق
وهي اكتفت بضم ساقيها إلى صدرها ودفن
رأسها فيهما وارتعاشة مع نحيب دامي

وهو يطرق ويطرق ولا يريد سوى إجابة
ونفذ صبره وفكر أن يكسر الباب ويحملها
من خصلات شعرها ويصرخ بوجهها
بتساؤلاته علها تجيب
لكنه اكتفى بورقة صغيرة كورقتها وخط
فيها باتقان
شكراً على الرسالة
ومررها من أسفل الباب وغادر
وهي ظلت تنتحب حتى بعد أن رحل
فإن كانت لا تستمع للموت فلن يكون هناك
صوت للحياة

*****

وقفت بوجه منزعج بعد أن أغلقت هاتفها،
فنظرت لها الأخرى قائلة :

- فيه اية يانسرين قالك اية جاي ولا مش جاي ؟

- مش جاي

- اية بيتقل علينا عشان عريس ولا هيقضي اليوم مع البرنسيسة أسيل ؟

نظرت لها نسرين شذراً وهي ترد:

- اسكتي ياسماح .. وملكيش دعوة ويلا عشان نخلص شغلنا

واتجهتا إلى العمل وبدأت نسرين مع مصطفى باملاء الأوامر على بعض الموظفين كما بلغهما مالك بخطة العمل لنهاية الأسبوع فهو سيكون في أجازة لكن صوته شغلها كثيراً، هالها الحزن الدفين فيه وهو لم يمهلها فرصة حتى

لتسأل، وعندما سألت عن غياب أسيل أيضاً تَهَرَب

- لابد أن هناك خطب ما

قالها عقلها، لكنها صبرت فضولها لنهاية الأسبوع حينما يعود ، وركزت كل جهودها في ملئ الفراغ الذي تركه هو وتلك الأخرى التي هاتفتها كثيراً ودائماً هاتفها مغلق

- ربما تكون مشكلة صغيرة بين عاشقان وسيعود الحال إلى ما كان عليه

هكذا حدثت حالها وهي تتذكر تلك المشاعر اللطيفة بين العشاق التي دفنتها في طي الكتمان وهي تتابعهما وتتمنى لهما السعادة

*****

الأيام تمر ببطئ على كلاهما
هي بين دموع وحسرات ودماء
وهو بين ظلام ووحدة وأنين وذكريات دافئة لن ينساها
مد ساقيه على الطاولة أمامه وهو ينفث دخان سيجارته في الهواء وينظر إلى أعلى في سقف المكان قائلاً للجالس جانبه منذ ساعة دون أن ينطق بحرف:
- عارف يامصطفى لما حد تكون واثق إنه مش هيقدر يبعد ويبعد دة يحسسك باية؟
صمت الأخر وهو يتابع ملامح صديقه والنار التي تخرج من جوفه:
- يبقى انت أخدت أكبر قلم في حياتك
- فترة وهتعدي يامالك زي اللي قبلها

نظر له بطرف عينه وبشبه ابتسامة ساخرة ردد:

- زي اللي قبلها

قال الأخر محاولاً تغيير الموضوع :

- ما تيجي نسهر انا وانت في أي مكان تاني فاكك عن دة شوية

- لا

قالها وهو يقوم ويهم بجمع أشياءه من فوق الطاولة ويغادر متابعاً:

- أنا عايز أنام

ولكنه قام خلفه متسائلاً:

- مالك أنا مش عايز أسيبك وانت في الحالة دي .. متأكد إنك هتروح تنام

ابتسامة باردة شقت جفاف شفتاه وهو يرد:

- انت عبيط يابني .. متخافش أنا كويس
وركب سيارته وغادر
بلا وجهة ولا هدف كما حياته التي كانت
تدور فقط حولها حتى العمل كان معها
وأصبح الآن كل شئ دونها
وظلام الشوارع قاسي كوحدة قلبه
وهي فقط من سيجد عندها ضوءه

تلك النجمة هناك تداعب لمعة عينيه
المشتاقة للدموع
تسأله عنها وعن لوعتها وعن حبها وعن

.....

والإجابة
لم يكن شيئا مما كان

والنتيجة كسابقتها
قلب لا يتعلم من أخطاءه
والليلة سيبني بدل الباب جدار ربما
خرساني والأحسن فولاذ
والحب انتهى ولم يولد بالأساس
ليس هناك ما يسمى بالحب
هو مجرد خُدعة
وهو لن يعرض قلبه مجدداً لهذا الهراء
*****

وانتهى الأسبوع
وفي الصباح استيقظ مبكراً على غير عادته
وقف أمام المرآة يتابع ملامحه الباهتة
وأمسك بشفرة الحلاقة وقرر الانتهاء من
تلك المهزلة

والآن أصبح بذقن حليق ولامع
ووجه أخر غير مبتئس
وحائط فولاذي وقلب يتعافى ويهنئ بالسلام الداخلي
وهو وفقط
وذكرى لن تُنسى، فهو لا يعرف النسيان

وفي العمل كان حازم آمر صارم كعادته

كان منغمس في أوراقه حينما دخلت عليه مكتبه وقالت بود:
- حمد الله على السلامة
رفع وجهه ينظر بوجهها ثم قال :
- الله يسلمك يانسرين

فجلست أمامه وهي تقول:

- طيب مش هتحكيلي

- لا

- ليه؟

- مفيش حاجة تتحكي

- وفين أسيل ؟

- معرفش

- يعني أسجلها أجازة ولا انت رفدتها ؟

والمرأة هي المرأة يملئها الفضول وهوايتها المراوغة

فنظر لها بنفاذ صبر قائلاً:

- سجليها أجازة مفتوحة

وعاد لأوراقه وزفرت هي بيأس من أن تخرج منه كلمة وقالت قبل أن ترحل :

- المهم انك كويس.. مش كدة يامالك ؟

نظر لها وقد استفزه سؤالها ورد:

- انتي شايفة اية؟

فعادت لتقف أمامه مرة أخرى وهي تقول بتحدي :

- ومن امتى مالك بقى بيبين اللي جواه ؟

- متردیش على سؤالي بسؤال

ردت بغيظ :

- أوكى أنا شايفاك كويس

- خلاص يبقى أنا كويس

- عارفة انك مش هتحكي بدام مش عايز تحكي مهما عملت .. خلاص براحتك

وزفرة تحمل غيظها ورحلت تلك المرة بالفعل

أما هو فعاد إلى عمله مرة أخرى

وأيام متشابهة تمر
وهو أصبح كحاسوبه يعمل طوال الوقت
ويغمس عقله بكل ما فيه في الورق
والحسابات والتصاميم
وفي الليل يضع رأسه على الوسادة
ويغمض عينه فيراها تبتسم بحضنه فيفتح
عينيه فيراها تنام منكمشة بين ذراعيه فيقوم
وهو يشعر بالبرد رغم حرارة الجو ، فربما
قلبه يحن للدفئ في وجودها
فيحاسبه ويعاتبه على تعلقه بها حتى الآن
ويعاقبه بلفافة من تبغه تقتل الحياة داخله
وينفث دخانها في الهواء فترسم ملامحها

وهي تبتسم بنعومة وصوتها يسري في أذنه بدلال

- عايزة أشرب حشيش

وينظر للفافة بيده ويدعسها في المرمدة فحتى لفافته تذكره بها

لكنه لن يستسلم لحزنه ولم يتعود أن يهزمه شئ

وإن هزمت هي قلبه فهو أقوى من قلبه ومنها

ارتدى قميص قطني وبنطال وحذاء رياضيان وخرج في الشارع وبدأ يركض وهو لا يرى أمامه سوى صورتها كان وكأنه يركض خلفها

لا ليرجعها له أو حتى يسألها عن هروبها فلم يعد يهمه بعد
هو فقط يريد أن يصفعها كما صفعت قلبه وحطمته بعد أن فتح لها بابه الموصد
*****
وهي لم تختلف أيامها أيضا فنهارها بكاء وليلها دماء ،لا تخرج من المنزل ولا تستقبل أحد أخر كلمات سمعتها من أمها مع شهقة حين أخبرتها بنبأ فسخ خطبتها من مالك واكتفت أنه لا يوجد سبب وأنها حرة في ذلك
قليل من اللقيمات تساعدها على العيش وقطرات من الماء تبلل بها شفاها عند الحاجة، ومنزلها بات أشبه بمنزل الأشباح

لا شئ في مكانه، حتى هي أصبحت رثة هزيلة كالمومياء

طرقات على الباب وجهت عيناها الغائرة والمتلحفة بالسواد نحو باب المنزل

وتحركت نحوه فهي تعلم أنه عرفة البواب أتاها ببعض الكافيين الذي طلبت منه أن يبتاعه لها فمخزونها المنزلي منه قد نفذ

وهي لم تعد تجد للنوم مكان في جفونها وباتت في حاجة ماسة له ، تأكدت من إحكام منامتها وتوجهت لتفتح، ولكنها تفاجئت حينما رأت من كان يطرق على الباب

لكن صدمة الأخيرة لا تقارن بصدمتها هي، فتوجهت نحوها بفزع قائلة:

- أسيل اية اللي انتي عملاه في نفسك دة ؟ انتي كويسة؟

تسائلت بفزع ،فردت أسيل بهدوء وصوت متعب:

- أنا كويسة يانسرين تعالي

وأفسحت لها المجال لتدخل ودخلت وهي تتابع الفوضى في المكان وجلست على الأريكة وقالت أسيل:

- تشربي شاي؟ معنديش غيره .. بصراحة منزلتش جبت طلبات البيت

فمدت نسرين يدها وسحبت أسيل من يدها لتجعلها تجلس جانبها وقالت بقلق:

- مش عايزة أشرب حاجة.. أنا عايزة أعرف مالك وازاي بقيتي كدة؟ يابنتي انتي بقيتي شبة الميتين

فابتسمت أسيل بألم وهي تردد كلمتها باستنكار:

- شبه !

فنهرتها قائلة:

- انتي بتعملي في نفسك كدة ليه عايزة تموتي ؟

فتذكرت الأخرى محاولة انتحارها الفاشلة وقالت بحزن:

- ياريت.. ياريت يانسرين أموت

فضمتها نسرين وهي تشعر بالألم وقالت :

- بعد الشر عليكي ياحبيبتي

وبكت أسيل بحضنها وترقرقت دموع نسرين مع حديثها

- متشكرة انك جيتي .. أنا مخرجتش من هنا ولا شفت أي حد بقالي تلت أسابيع .. كنت محتاجة أتكلم مع حد

- اتكلمي يا أسيل احكي .. احكي يمكن أقدر أخفف عنك

نظرت لها بعيون تملئها الدموع وردت كعجوز على فراش الموت :

- خلاص مفيش حاجة هتقدر تخفف عني

رتبت على كتفها وهي تسألها:

- اية اللي حصل لدة كله .. ازاي أصلاً سيبتوا بعض بعد كل الحب دة؟

وشهقاتها صاحبت كلماتها :

- كل حاجة انتهت خلاص في ثانية وأنا السبب

- ليه اية اللي عملتيه ؟

مسحت دموعها وهي تفكر قليلاً ثم قالت :

- أنا مش هينفع أحكيلك انتي أكيد هتروحي تقوليله وهو مينفعش يعرف أبداً.. مينفعش

ردت بلوم :

- بقى كدة يا أسيل يعني انتي هتأمنيني على سرك وأنا هروح أقوله؟

- مش كدة متزعليش مني بس الموضوع حساس وليه علاقة بأهله وأنا عارفة أد اية همة مهمين عند مالك

ردت باستغراب:

- اهله .. ليه همة عملوا معاكي اية ؟

ابتلعت غصتها وأجابت :

- باباه جالي هنا بعد الخطوبة بتلت أيام وقالي إنه مش موافق على جوازنا ولازم أسيبه عشان مالك ميخسرش الشركة وكل حاجة

- اية ؟

ردت بصدمة ثم تابعت :

- وانتي عملتي اية ؟

- سيبته يانسرين أومال كنتي عايزاني أفضل معاه ويخسر شغله وأهله وكل حاجة

نظرت لها شذراً وهو تشير بسبابتها أمام وجهها قائلة:

- انتي مقتنعة بالكلام اللي بتقوليه دة؟

- أيوة طبعاً مقتنعة

ورعشة يدها أظهرت العكس

- يعني انتي شايفة إن شغل مالك وأهله أهم عنده منك ؟

ردت بعصبية في محاولة واهية عن الدفاع عن ما صدر منها:

- مش لازم عشان أبقى معاه يخسر كل حاجة

- يقوم يخسرك وانتي تخسريه وتموتي نفسك بالحياة زي ما انتي عاملة في روحك دلوقتي

ولم تستطع الرد :

- انتي مدركة انتي عملتي فيه اية؟ مدركة انتي كسرتيه ازاي ؟

نظرت لها بدهشة وكأنها أدركت للتو فداحة ما اقترفت، فردت الأخري مؤكدة:

- مالك عمره ما بين اللي جواه بس أنا وانتي عارفين كويس انتي كنتي بالنسبة له اية

وخبطت كف فوق أخرى وهي تتابع:

- حرام عليكي يا أسيل .. بجد حرام عليكي

وحروفها كانت واهية كنفسها:

- خلاص يانسرين كل حاجة انتهت وبكرة ينساني وتعدي الحكاية ويعيش حياته

- وانتي بقى هتعملي اية ؟

تسائلت وهي تخترقها بعينها ، فردت الأخرى بانكسار :

- مش مهم أعيش أو أموت مبقتش فارقة كتير

فضمتها نسرين وهي تقول بلهفة:

- بعد الشر عليكي يا أسيل متقوليش كدة تاني

*****

ظلت طوال الليل تفكر في تلك القصة التي روتها عليها تلك البائسة وكيف أطاح سوء تصرفها بقصة حب جميلة عرض الحائط

هو صديقها ومن وقف جانبها في محنتها وهي أصبحت صديقتها بل وأختها الصغيرة ولن تقف مكتوفة الأيدي هكذا تشاهد ضياعهما
وعزمت على كشف السر والبوح بكل شئ لمالك وليكن ما يكون حتى لو عاتبتها أسيل المهم أنها ستعود لمالك وينتهي كل شئ ينتهي بؤسها
وتختفي نظرة الأسى بعينيه

وفي اليوم التالي ذهبت إلى العمل مبكرة عن ميعادها وظلت جالسة على مكتبها في انتظار قدومه ،انتظرت كثيراً وهي تفكر في ترتيب حديثها ودخل عليها قائلاً:

- صباح الخير

فوقفت وارتبكت وهي ترد:

- صباح الخير يامالك

ودخل إلى غرفة مكتبه وهي خلفه كالعادة افتعلت أنها ترتب الأوراق الموضوعة على مكتبه وهي تقول بهدوء:

- أنا كنت عايزة أتكلم معاك في موضوع

فرد باهتمام:

- خير أحمد ابنك كويس ؟

- اه هو بخير والحمد لله

وجلست وهي تتابع :

- الموضوع ميخصنيش أنا

فحدق بها وقد أدرك ما تنوي الحديث عنه،

وما إن نطقت باسمها حتى رد بحدة:

- لو سمحتي يانسرين أنا مش عايز أي حديث من أي نوع عنها

- بس هي عملت كدة غصب عنها صدقني

رد بشفاه ممتعصة :

- غصب عنها ازاي بقى حد ضربها على إيدها وقالها تسيبني وبالمنظر الغبي دة .. بتهرب مني .. بتهرب مني أنا؟

قال جملته الأخيرة بعصبية فقالت هي :

- أيوة في حد غصبها يامالك

فصمت، وتابعت هي :

- باباك راحلها وقالها لازم تسيبك لانه مش موافق على جوازكم .. وقالها لو معملتش كدة أهلك كلهم هيخاصموك وكمان هيسحب منك إدارة الشركة

نظر لها بصدمة وهو غير مصدق

- انتي بتقولي اية؟

- أيوة يامالك دي الحقيقة أسيل سابتك وضحت عشان انت متخسرش أهلك والشركة

وقام فجأة وتركها وترك المكان ورحل بحال غير حاله

** ** ** **

.. الفصل الرابع والعشرون ..

كانت تجلس بأريحية على ذلك المقعد الوثير في حديقة منزلهم حين دخل أخيها بسيارته مسرعاً وترجل منها بسرعة أكبر، فوقفت هي منتفضة تنظر له وقلبها يخفق، توجه نحوها بوجه يحمل الكثير من الغضب وسألها :

- بابا فين يامريم ؟

ردت بتلعثم وهي تشير إلى الداخل :

- بابا جوة .. في اية يامالك ؟

ولم يجيبها ودخل وهو يزعق :

- بابا

وخرج والده من غرفته وخلفه تلك الحية زوجته وقد أدهشهم صوت صراخه

- أنا عايز أتكلم معاك لوحدنا

ونظر الرجل لزوجته وقال وقد علم ما تنم عنها ملامح ابنه

- تعالي في مكتبي

ودخلا الاثنان إلى الداخل وجلسا ليقول والده بهدوء:

- في اية يامالك .. واية العصبية دي كلها ؟

فرد مالك وهو يحاول أن يخرج صوته هادئاً:

- ليه يابابا ؟ ليه عملت كدة ؟

- ليه بحمي ابني من جوازة زي دي؟ عايز تتجوز واحدة مجنونة وبتاعة ديسكوهات وكمان مطلقة

لم تأخذ الدهشة من مالك أقل من ثواني ثم رد على والده :

- وهي عشان مطلقة نحكم عليها بالإعدام مش كدة .. حتى لو كانت كل اللي بتقوله دة .. مش كفاية إني بحبها وإني هاكون مرتاح معاها

- انت الحب عاميك عن حقيقة الوقعة اللي انت هتوقع نفسك فيها يابني

أومأ برأسه وهو يقوم ليقف قائلاً بمرارة :

- عموماً متقلقش ياحاج .. ابنك لسه واقف أهوه ومش هيقع في الوقعة دي زي ما انت عايز

واستند بكفيه على المكتب وانحنى مقترباً بوجهه من والده يسأله :

- انت ضامن إن مفيش واحدة من بناتك تبقى في يوم من الأيام مطلقة زي أسيل ؟

- انت بتقول اية ياماللك !

قالها والده زاعقاً، فرد مالك قبل أن يرحل:

- اطمن ياحاج بناتك بخير

ورحل، وخبط الأخر على مكتبه وهو يدرك ما يدور برأس ابنه ويخشى أن يفعله

وصرخ :

- عنيد

*****

في قصر الملك الشامخ العريق كانت رائحة القرنفل العذبة تدغدغ أنفها رغم تنفسها العالي، شهيق تتبعة بزفير في ظل خفقات قلبها المتلاحقة، فهي لا تسمع سوى صوتها رغم علمها بوجوده معها بالمكان، ولكنها غير متأكدة من ذلك فقد أغمضت عيناها بشريط قاتم اللون فلا ترى منه حتى الضوء بالمكان

كل إنش داخلها يرتعش وهي تجلس معصوبة العينين على ركبتيها أمام عرشه، لا تستطيع الحراك فقد رُبطت يداها خلف ظهرها، لا تستطيع النطق دون سماحه لها بذلك

والملك يجلس على عرشه المهيب يتأملها في صمت مطبق، كم تبدو مشاهدتها هكذا ممتعة بالنسبة له

الآن تسمع صوت دقات حذاءه على الأرض يقترب فتعلو دقات قلبها أكثر

يدنو فيزداد شهيقها وزفيرها ارتعاشاً

رجفة غمرت جسدها حينما لامست أنامله وجهها، وأتبعها بقبضة أنامله على أسفل وجهها ورفعه نحوه وهو يقول بهدوء لا يتماشى مع شدة قبضته:

- هل تعلمي كم أحب رؤيتك بهذا الشكل ياجارية ؟

لم ترد فقط شهيق وزفير صوتهما بدا عالي نسبياً وهي لا تستطيع أن تكتشف كيف

ستبطش يده الأخرى بها، ولكن مفاجأته كانت أسرع، فقط ألقى بوجهها أرضاً ولم يلهمها فرصة للتأوه فقد سبقت قدمه استيعابها للأمر عندما اتخذت مكانها فوق وجهها، وبدأ يزعق:

- عندما يسأل الملك تأتيه الإجابة على الفور

جائته الإجابة مختنقة من أسفل حذاءه:

- أجل ياسيدي

ابتسم في نشوة وهو يضغط بقدمه على وجهها ويستمتع بأناتها

وأخيراً قرر الإفراج عن وجهها فرفع قدمه، فاستقامت في جلستها وبدأ هو يمرر أنامله فوق أثر حذاءه على جانب وجهها، ولم يمنحها الفرصة للراحة، فتبع أنامله الناعمة

على وجهها بقبضة تشبثت بخصلات شعرها المسترسلة لترفعها بخشونة لتستقيم واقفة وهي المقيدة

اقترب من أذنيها هامساً كذئب مخيف:

- حان الآن موعد ليلتك المظلمة يا أسيل

فانتفضت وقامت من فراشها وهي تشعر بالفزع

فقد أخرجها صوت رنين هاتفها من ذلك الحلم، فنظرت نحوه وجدته ينير باسم نسرين فردت بصوت هزيل كروحها:

- ألو

- أنا أسفة ياسيل

وصمتت أسيل فتابعت نسرين :

- أنا بصراحة حكيت لمالك على اللي حصل .. مكنش ينفع أشوفكم بتدبلوا قدامي واقف اتفرج .. مالك كان لازم يعرف

- مكنش لازم يعرف يانسرين .. حتى بعد ما عرف مش هينفع يعادي أهله عشاني

- دي مشكلتكم انتو الاتنين ولازم تحلوها سوا ومينفعش تشليها انتي لوحدك يا أسيل

وصمتت تفكر وتابعت الأخرى بهدوء:

- انتو من حقكم تعيشوا يا أسيل ومن حق حبكم يعيش

- انتي مش عارفة حاجة .. مفيش أمل إن أبوه يوافق

- إديله فرصة يحاول وساعديه عشان تدافعوا عن حبكم يا أسيل

وصوت طرقات على باب المنزل
- في حد برة على الباب أنا خايفة يكون مالك
- خلاص أنا هقفل وانتي افتحيله
واغلقت الهاتف وتوجهت نحو الباب وقبل
أن تصل إليه سمعت صوته الجامد
- افتحي يا أسيل
وارتعشت واضربت ومدت يدها وفتحت
الباب في صمت ونظرتها خانتها وحملت
الاشتياق الذي تحول على الفور إلى الخوف
حين رأت نظرات الغضب في عينيه وهو
يتابع حالتها المزرية إلى أن وقعت عينيه
على ساقيها الملطختان بأثار الجروح
والدماء ، واشتعل الغضب في رأسه أكثر
فدفعها ودخل وأغلق الباب

ووقف أمامها بنظرات تحمل اللهيب ولم ينطق، وبكل غيظ وأسى يحمله كانت يده على وجنتها بصفعة ربما هدئت نيران قلبه وربما لم تكفي

والصفعة تلو الأخرى وهي مستسلمة فقط تبكي بصمت دون حتى محاولة منها لكي تحمي نفسها

وهو كأنه بركان ثائر لا يقوى على كبح حممه المتناثرة

وقبض على خصلات شعرها بيده وأرجع رأسها إلى الخلف ونظر بملامح وجهها التي باتت حمراء بلون صفعات يده وقال بصوت أقرب إلى حامل الموت :

- هو دة بقى إللي انتي سيبتيني عشانه؟

ولم ترد فتابع :

- سيبتيني عشان ترجعي للأرف اللي بتعمليه في نفسك دة !

وترك خصلات شعرها وقبض على رقبتها وأرجعها إلى الخلف حتى جعلها تصطدم بالحائط وقال:

- لو هو دة اللي كان ناقصك معايا فأنا ممكن أوريكي ألم أشد منه بكتير

وارتعبت وحاولت نزع قبضته عن رقبتها وهي تقول بوهن:

- أنا ما سيبتكش عشان كدة

وخفف من حدة قبضته على رقبتها فتابعت وهي تحاول التقاط أنفاسها:

- باباك عرف كل حاجة يامالك .. وقالي إنه هياخد منك الشركة

ويده الأخرى وضعها على فمها لتصمت

وقال بنظرات لم تراها منه من قبل:

- شششششش إخرسي .. مش عايز أسمع صوتك

ودفعها لتسقط أرضاً وتابع:

- ولا طايق حتى أشوفك

ونظرة غضب منه قابلتها نظرت توسل منها، وتركها وغادر بعد أن صفع الباب خلفه ، وهي ظلت مكانها تبكي

وبعد فترة جاهدت حتى تقوم من مكانها وتحسست الألم بوجهها فاكتشفت أن شفاها تدمي وتوجهت إلى الحمام واغتسلت بوهن

ولفت جسدها بمأزر وهي ترتجف خوفاً ولا يكاد عقلها يصدق أن من كان هنا منذ قليل هو مالك

*****

ليل بارد قاسي بظلمة سماءه
حتى نجومه الليلة هجرته وتركته وحيداً
عقله متوقف عن التفكير وعيناه لا ترى في ظلمة السماء سوى ملامحها
ظل هكذا طوال الليل
قلب جفت دموعه وعقل يسيطر باستمامتة
وعندما رحل الظلام رحل هو الأخر إلى منزله وغرفته وفراشه والظلام الذي يسكن داخله

*****

رنين الهاتف جعلها تستيقظ بعد أن أنهكها التعب ونامت رغم عنها ، نظرت في الهاتف لتجده يضئ باسم نسرين ردت بوهن :

- ألو

- ها طمنيني اية الأخبار؟

وحماسها جعل أسيل تبتسم ساخرة وهي ترد:

- الأخبار زي الزفت

فردت نسرين بصدمة :

- ليه ايه اللي حصل .. هو مجاش ؟

وشفاها حملت رعشة وعيناها حملت لمعة العبرات

- لا جه

- واية اللي حصل ؟

تنهدت في محاولة منها لمقاومة الدموع

وهي ترد:

- لما تيجي أبقى أحكيلك

فردت والقلق قد ملئ صدرها :

- طيب أنا هعدي عليكي قبل ما أروح الشغل مش هقدر أصبر لما الشغل يخلص

*****

وجه يحمل ملامح جادة وأصابع تتحرك بدقة فوق الورق تخط هنا وترسم هناك وعقل سلط كل تركيزه على طرف القلم ورشفة من قدح قهوته جعلته يرفع عينه عن الورق ويلاحظ تلك الواقفة أمامه بملامح غاضبة

- في اية ؟

- أنا مش مصدقة إن انت عملت كدة !!

رفع إحدى حاجبيه وترك قلمه وعقد ذراعيه أمام صدره واستند بظهره على مقعده ونظر لها في صمت أجبرها على المتابعة بحدة:

- انت مش ممكن تكون مالك اللي أنا أعرفه.. خلاص خدت حقك منها .. هي دي الطريقة اللي ريحتك .. حتى انت كمان هتبقى عليها؟

وشهيق تسحبه بفمها في محاولة منها السيطرة على انفعالها، ثم تابعت:

- انت عارف إنها عملت كدة عشانك .. حرام عليك

وحملت كلمتها الأخيرة شعور امرأة ذاقت
مرارة الظلم في السابق
وكان هو كالجبل صادم
- خلاص خلصتي وطلعتي كل اللي جواكي
.. ممكن نشوف شغلنا بقى
وأذناها لا تصدق و عيناها تحدق به وهي
تقول :
- يعني انت شايف إن اللي بينا الشغل وبس
يامالك ؟ أوكى تمام أنا هروح أشوف شغلي
ومليش دعوة بيك تاني
ويدها كانت تلوح بعصبية وأنهت حديثها
وهمت بالرحيل فقام مسرعاً ووقف أمامها
بعد أن شعر بأن كلامه ضايقها

- استني بس أنا مش قصدي .. أرجوكي متزعليش يانسرين

وتنفس قليلاً ثم تابع :

- أنا اليومين دول مش متظبط وسوري لو كنت ضايقتك بكلامي .. بس بجد بلاش نتكلم في الموضوع دة .. أنا مش حابب أتكلم في أي حاجة تخصها .. لو سمحتي

وأومأت في إيجاب وهي غير مقتنعة بحديثه

- ماشي يامالك .. أكيد براحتك

وابتسم بحذر وهو يسألها :

- المهم متكونيش زعلانة مني

- لا أنا مش زعلانة منك .. أنا زعلانة عشان اللي بيحصل .. وعارفة مش عايز تتكلم

وتركته ورحلت واليأس يملئها ودموع أسيل
لازالت في ذاكرتها

*****

لو كان القلق والخوف رجل لقتله
حتى لا يشعله بنيرانها
فحتى كبريائه منعه من يسأل نسرين عنها
بعد ما صدر منه رغم قلقه
وأغمض عينيه وهو ممدد على الأريكة
محاولاً أن يلتقط بعض الراحة لعقله
لكن جرس الباب جعله يقوم، وتحرك بملل
نحوه وفتحه ليجدها تقف أمامه بنظرات
ضعف ووجه مبتئس

انتفض قلبه وود لو يضمها داخل صدره ولكن عقله لازال الأقوى واكتفى بنظرة جامدة وكلمة

- تعالي

وتركها ودخل ليجلس مجدداً على أريكته أما هي فدخلت بخطوات حييَّة بعد أن أغلقت الباب واقتربت من مكانه وبهدوء جلست على الأريكة جانبه، وهو يفتعل انشغاله بهاتفه دون حتى أن يوليها نظره ابتلعت غصتها وقالت بصوت مرتعش:

- مالك أنا عملت كدة غصب عني

ونظرته الغاضبة نحوها جعلتها تصمت قليلاً، ولكنها تابعت بحذر تحت سياط نظراته :

- أنا عملت كدة علشانك عشان متخسرش أهلك وشغلك وكل حاجة حلوة في حياتك
- وقررتي بقى تختاريلي .. مش كدة ؟

قالها باستنكار، فردت بضعف:

- أنا مكنتش عارفة أفكر عقلي كان تحت ضغط

نظر أمامه وهو يدعي أن ما تقصه عن عقلها الأبله لايعنيه، فتابعت :

- أرجوك تسامحني يامالك انت .....

وقاطعها بنظرة وكلمة

- مسامحك

وشبه ابتسامة مع عبرة مترقرقة على وجنتها

- بجد يامالك ؟

وتابع بنفس الجمود :

- لو مكنتش سامحتك مكونتيش دخلتي هنا دلوقتي

والسعادة طرحت البساتين داخل عقلها واقتربت منه بلهفة ووضعت كفيها على صدره وهي تقول بشوق :

- أنا بحبك أوي .. والله مش هضايقك تاني أبداً

ويديه اللاتي أمسكت بكفيها وأنزلتهما من على صدره وصوته الذي حمل خشونة لم تعهدها مسبقاً وكلماته

- عارف .. عشان مش هتقدري تضايقيني تاني

وصدمتها في ردة فعله لم تأخذ ثوان من الوقت حين نظر بهاتفه ثم قال :

- أنا معاد نومي جه ولازم أدخل أنام

وقام ليقف وهي تغرق بصدمة جديدة، فتابع بدون اكتراث لأمرها :

- تقدري تباتي هنا لو مش حبة تروحي في الوقت المتأخر دة

قالها وهو يشير على الأريكة، وتركها وولج إلى غرفته

أما هي فقد كانت لا تستوعب شئ ولا يكاد عقلها يصدق ما فعله، ولكن صوته جعلها تقف مسرعة حين قال :

- أسيل

فاتجهت نحوه، ودون أن ينطق وضع بين يديها وسادة وغطاء ودخل مرة أخرى لغرفته وأغلق الباب أمام وجهها

وهي وقفت وهي تتحاول أن تتوازن وقد اهتز الكون من حولها وهي لا تصدق ما يصدر منه ولا حتى تفهمه

حملت الوسادة والغطاء ورجعت إلى الأريكة مرة أخرى وهي تشعر بالضعف والخيبة والغربة في بيته، لكن قلبها صبرها ببلاهة قائلاً لعقلها

- لا تقلق هو يحبني وستمر تلك الأزمة على خير .. فقط نحتاج لمحاولة أخرى

وضمدت كرامتها المهدورة فوق أرضه وتنازل كبريائها أمام زئير كبريائه

وقررت أن لا تستسلم في بداية معركاتها
وضعت الوسادة جانبها وخلعت حذاءها
واستلقت فوق أريكته وتدثرت في غطاءه
وأغمضت وهي تتمنى داخلها غداً أفضل
داخل حضنه
فقد أعياها الفراق وأنهكها الإشتياق
ونامت وهي تتنفس رائحته التي تملئ
المكان حولها

وفي الصباح شعرت بصوت باب المنزل
يفتح فرفعت رأسها تنظر فوجدتها أم صفاء
قد أتت كعادتها كل صباح، وما إن رأتها
حتى توجهت نحوها بابتسامة وهي تقول :
- أستاذة أسيل حمد الله على سلامتك

- ازيك يا أم صفاء

ردت بعد أن قامت لتجلس على الأريكة فتوجهت الأخرى نحوها وقالت بترحاب :

- الحمد لله انكم رجعتوا لبعض .. دة الأستاذ مالك كان هيجراله حاجة ولا كأنه ميتله ميت

صمتت أسيل تفكر بحديثها فتابعت هي بثرثرة معتادة :

- دة كان ياحبة عيني ولا بياكل ولا بيشرب بس يروح الشغل وأجي ألاقي الأكل زي ماهو .. دة غير الهم والحزن اللي كانوا مابيفارقهوش أبداً .. لكن الحمد لله انكم رجعتوا ويارب يتتملكم على خير ويبعد عنكم العين

وابتسمت أسيل دون أن ترد وعقلها منشغل بحديث تلك الثرثارة عن مالك ، وقررت أن تقوم من مكانها، ثم قالت :

- اسبقيني على المطبخ يا أم صفاء

وتوجهت هي إلى الحمام وغسلت وجهها ونظرت إلى المرآة

وقرار داخلها أنها ستحاول معه حتى تصل إلى قلبه مرة أخرى

ودخلت إلى المطبخ وجهزت الفطور بمساعدة أم صفاء

وعندما استيقظ هو كانت قد جهزت كل شئ فنظر إلى مائدة الطعام ببعض الدهشة لكنه لم يعطي أي إهتمام لتلك التي تقف بابتسامة واسعة أمام مائدتها، وجلس دون أن ينطق

بكلمة وجلست هي أمامه تتابعه بحرص،
سحب فنجان القهوة ليرى ورقة صغيرة
وُضعت بعناية تحته رفعها وقرأ ما كتب بها
"هفضل أحبك"
وكانت الصدمة من نصيبها حين ألقى بها
وراء ظهره لتقع أرضاً، وهو غير مبالي
بتلك التي ينهار قلبها مع رميته تلك
ارتشف بعض القطرات من فنجان قهوته
ووضعها جانباً ومد يده ليحمل شطيرة
وضعت أمامه ليظهر تحتها ورقة صغيرة
مثل سابقتها، فرفعها هي الأخرى أمام عينه
ليقرأ ما كتب عليها
"مقدرش أعيش من غيرك"
وكان مصيرها كسابقتها أرضاً

وهي ظلت واجمة دون حتى أن تضع شئ بفمها

يقتلها بسكينه البارد

يقسو على قلبها بقسوة جبروته

وأخيراً رفع نظره لينظر لها متسائلاً وهو ممسك بالشطيرة التي أعدتها لأجله:

- في ورق تاني جوة الساندوتش ولا أكله عادي؟

وكانت الدهشة مصاحبة لصمتها لدقائق، ثم خرجت الحروف بصعوبة من فمها قائلة:

- لا كله عادي

انفرج فاهه عن ضحكة ساخرة وهو يقضم شطيرته ثم قال:

- ومالك متوترة كدة ليه؟ عموماً لو حطالي سم فيه عادي أهو برده هيخلصني من اللي أنا فيه

نظرت له بدهشة ممزوجه بحزن وغضب قائلة:

- أنا لا يمكن أعمل كدة.. مستحيل أكون عايزاك تموت.. ولو فكرت أعمل كدة هيكون السم من نصيبي أنا

ملامحه الباردة كانت تحمل الرد في صمت، فتابعت هي بحرقة:

- لو عايز تخلص من حياتك عشان أنا فيها فأنا ممكن أمشي وأريحك مني

وضع شطيرته في الطبق بهدوء، ونظر لها يخترقها قائلاً ببرودة ليلة شتاء مظلمة:

- مكنتش أعرف انك تقدري تعملي كدة
وتركها ودخل إلى غرفته
ونزلت دموعها رغماً عنها وهي تعرف أنه
يرمي لفِعلتها السابقة حين تركته ورحلت
نظرت إلى وريقاتها الصغيرة بالأرض
وتذكرت أخرى كتبت عليها نهاية حبهم في
ليلة مظلمة لازالت تدفع ثمنها
ولم تسدد الدين بعد
- مش هتنسى .. عمرك ما هتنسى يامالك
وجهت كلماتها نحوه حين خرج مرتدياً
ملابسه ويهم للخروج من المنزل، فاستدار
ينظر لها ، ثم قال بهدوء قاتل :
- كان لازم تعرفي كدة قبل ما تتصرفي من
دماغك.. وأدي النتيجة

وحملت كلمته الأخيرة شبه انفعال، ورغم يأسها قامت واقتربت منه وهي تقول:

- انت قلت انك سامحتني .. خلينا نرجع وأوعدك .....

- معدش ينفع ياأسيل

قالها مقاطعاً إياها، فتسائلت ببؤس طفلة ضلت طريقها إلى المنزل :

- لية؟

- عشان أنا مبقاش في مكان في قلبي لحد.. ولا حتى ليكي

وقبل أن تنهار اختفى

وكأنه يهرب منها، ينجو بقلبه من الأوجاع، يركض بعيداً علُّه ينقذه من الغرق مجدداً في بحرها

ونصر كبريائه على قلبه باسم العقل الذي لا يعرف المشاعر

أما هي فجلست بعد أن غادر وداخلها قد أيقن أن قلبه بات أصلب من الحديد ولن يلين لها
وقررت الرحيل من بيته
بل من عالمه
*****
وضمها منزلها، وضمت دموعها وسادتها وقلبها بات يتمنى لو يصبح مثل قلبه جامد لا يتأثر بفراقه
وباتت أيامها متشابهة تملؤها الحزن وألام الإشتياق وجروح الفراق

- وبعدين يا أسيل .. مش هينفع تفضلي على الحال دة انتي بقالك شهرين على الحال دة وصحتك في النازل .. انتي كدة بتموتي نفسك

قالتها نسرين وهي تجلس جوارها تتابع سواد تجويف عينيها الغائر فردت أسيل :

- وهعيش ليه بقى ؟

- تعيشي عشان نفسك عشان أسيل

قالتها بحدة وهي تنهرها متابعة :

- لازم تفوقي لنفسك وتفكري في حياتك .. محدش هينفعك ولا هيحس بيكي .. حتى مالك قدر يرجع لشغله وحياته وموقفش عشان علاقتكم انتهت

فبكت أسيل بحرقة، وشعرت نسرين أنها قد جرحتها ولكنها احتضنتها على الفور وهي تقول مواسية :

- دي الحقيقة يا أسيل وأنا لازم أقولهالك عشان تفوقي

- مش عارفة أعيش في بُعده يانسرين .. حاولت معاه كتيير ومأخدتش منه غير الإهانة .. أنا ضعيفة أوي وهشة من غيره

- مش لازم تكوني كدة .. مينفعش تتوقف حياتك عشان أي شخص أياً كان .. أنا كنت زيك بس قدرت ووقفت واشتغلت وربيت ابني وعشت ووقفت على رجلي تاني .. انتي كمان لازم تكوني كدة

وكانت أسيل تحدق بها في صمت والدموع تغرق وجهها وعقلها لا يجد الطريق، لكن صوتها هداه :

- انتي لازم ترجعي الشغل تاني

العمل هو الذي أخرجها مسبقاً والعمل هو القادر على إخراجها الآن

"ترجعي الشغل تاني"

ورنت الجملة بعقلها مرة أخرى وقد أدركت شئ أخر هام، فتسائلت باستنكار:

- أرجع الشغل عند مالك تاني ؟

- أيوة .. عندك مكان تاني تقدري تروحيه ويقبلك بخبراتك القليلة وشكل العيانين اللي انتي بقيتي فيه دة ؟

وأحيانا العصا تُوجع لكنها تعلم صاحبها الكثير

وحديثها كان لازع كألم العصا يُوجع لكنه يعلمها الكثير

وتابعت نسرين بهدوء:

- مفيش أي شغل متاح قودامك دلوقتي غير هناك .. وبعدين دة شغل وانتي أكتر واحدة عارفة مالك بيبقى في الشغل ازاي .. يعني اللي بينكم هيكون خارج الشغل

- مين قالك بقى إنه هيرضى إني أرجع الشغل تاني

- مالك مرفدكيش أصلاً عشان يرجعك .. مالك مديكي أجازة مفتوحة وانتي هتقطعي الأجازة وترجعي

ونظرت أسيل للأمام وعقلها يتدبر حديث نسرين بشبة اقتناع

** ** ** **

.. الفصل الخامس والعشرون ..

إن لم يزيدك البُعد حباً فأنت لم تُحب حقاً

نزار قباني

وهو يحبها والبُعد أضناه اشتياقاً
وحتى غطرسته وخداعه لمن حولوه باتوا
يكرهوا ذلك القناع الجديد الذي بات
مصاحباً له هذه الأيام
وقناعه هذا يذوب حينما يكون بمفرده
ويتذكرها
لمستها
شوقها
رعشتها
ودفئ صدره في وجودها
وجداره قائم لا يلين
ولسانه أحمق لا يريد حتى أن يسأل عنها
لكنه يخشى أن يجر السؤال قلبه لما هو
أقوى

ونسرين لا تتركه بنظراتها اللائمة طوال الوقت وهو يتجاهلها وهي لا تنطق بشئ منذ أخر مرة

واليوم قررت الحديث حين تنحنحت في هدوء قبل أن تقول:

- أسيل عايزة تقطع أجازتها وترجع الشغل

وخفق قلبه بشدة وخشى أن يهتز أمامها فرسم البرود على وجهه وهو يرد:

- هي حرة

شعرت بالغيظ، ولكنها تابعت :

- يعني أقولها تيجي امتي ؟

- وقت ما تحب

ودفن نظره مرة أخرى في الأوراق حتى لا تلمح في عينيه نظرة اشتياقه لها

وقامت وهي تقول:

- أوكى أنا هبلغها

وخرجت، وتنفس هو بأريحية وكأن قناعه كاد يخنقه في وجودها وخاصة عندما عرف بعودة أسيل مرة أخرى إلى العمل

ملئ صدره بهواء الغرفة وعاود ملئ نفسه بالجمود حتى يسد الثغرات التي نشبت في جداره

فهو لا زال يخشى على قلبه من خدعة الحب التي غرق فيها رغماً عنه

*****

حُلة رمادية أنيقة يزينها وشاح وردي لفته بعناية حول رقبتها ورفعت خصلات شعرها لأعلى وحذاء بكعب عالي يزيد طلتها

شموخ، وانتهت بلمسات تبرج بسيطة تخفي شحوب وجهها
ووقفت في المرآة تنظر لنفسها بقلب تعالت دقاته ويدين تخفي رعشتهما باستماتة
واقترب صوت الحياة هامساً من خلف أذنها:
- زي القمر يا أسيل
وابتسمت دون أن تكترث لمدحها ونظرت لها بعيون مضطربة وهي تسأل:
- تفتكري هيقولي اية لما يشوفني ؟
فاقتربت منها وشدت على ساعديها وهي تقول بهدوء:

- مش مهم هيقول اية .. مش مهم يقول أصلاً .. انتي مش راجعة عشانه انتي راجعة الشغل عشانك انتي وبس

فأومأت في إيجاب ولازال الخوف متملكها

- يلا عشان منتأخرش

قالتها نسرين، وقبل أن تخرجا أمسكت أسيل يدها فاستدارت تنظر لها، وقالت أسيل:

- شكراً يانسرين على كل حاجة عملتيها معايا .. أنا مليش أخت وأهلي كلهم بعيد عني وانتي فعلاً وقفتي جنبي .. أنا أول مرة أعرف يعني اية أخت

فاحتضنتها نسرين وهي تقول :

- ياحبيبتي ربنا يسعد قلبك

*****

وهناك كان قلب أخر يخفق خلف الجدار
ووسط زحمة الأقنعة
واليوم ارتدى أثلجهم برودة
وقرر أن يضاعف أعماله فجأة منذ أن علم
أنها وصلت إلى الشركة
وطرقات الباب لم تهز شعرة به رغم
انتفاضة قلبه، وكانت نسرين التي قالت
بهدوء :
- أسيل برة
- خليها تدخل
وبرودته وصلتها وتوجهت نحوها فدخلت
أسيل وخرجت هي، ورفع هو وجهه ينظر
لها، واقتربت هي ومدت يدها وصافحته

بثبات استمدته من حديث نسرين لها طوال الطريق، وقالت:

- ازيك

- بخير الحمد لله .. انتي عاملة اية ؟

حوار رسمي مقيت، وهي أكملته:

- كويسة الحمد لله

وقبل أن ينطق بكلمة يخشى أن تخرج من قلبه دون قصد قال بسرعة:

- ها تحبي ترجعي الشغل من امتي؟

- من النهاردة

ولمس عزمها، فرد بنصف ابتسامة:

- عظيم .. تقدري تروحي على مكتبك وأنا هبعتلك الشغل المطلوب منك مع نسرين

وتنفس الصعداء حين رحلت فقد كان حقاً مشتاق لأدق تفاصيلها، وسمح لقلبه بالبراح بعيداً عنها طوال اليوم

أما هي فخرجت من غرفته وهي تشعر بالراحة فقد تخطت ما كانت تخشاه بسهولة وهي مواجهته ورسميتهما في الحديث

خففت من توترها وأراحتها

أو هكذا ظنت

واتجهت إلى مكتبها وسط همزات ولمزات البعض حولها وحول خطبتها التي انتهت بشكل مفاجئ، أحدهم حزين من أجلها وأخر غير مكترث، وهناك دائماً كانت هي بقلب يحمل الفرحة داخله فقد رحلت تلك الأسيل

من طريقها وانتهى ما بينها وبين مالك
حبيب القلب ، قالت بأسى مصطنع ونظرة
لم تخفي فيها الشماتة:
- وانتي عاملة اية دلوقتي يا أسيل؟
وكأنها أصبحت ببرودة مالك فردت عليها
بملامح هادئة :
- انتي شايفة اية ياسماح ؟
وكانت ترى الشماتة تتراقص بين عينيها
وهي ترد :
- أصلي بصراحة اتفجات أوي لما سمعت إن
مالك سابك كدة فجأة
وامتلئ صدرها بالغيظ وجزت على أسنانها
في صمت، وردت ببرود منافي لما داخلها
- كل شئ قسمة ونصيب

ولم تمهلها فرصة للرد حيث أشارت للعامل أن يحضر لها قهوة ووضعت سماعة هاتفها في أذنيها وانغمست في الأوراق أمامها وهي تحاول أن تهدئ من روعها

- ما فيش داعي تعملي مشكلة .. سيبها تهري مع نفسها .. انتي هنا عشانك مش عشانه .. انتي وشغلك ومستقبلك وبس

وأصبح حديثها الدائم لنفسها كحبوب العقار دائماً تأخذها بانتظام حتى تحافظ على ما انبتته داخلها نسرين

خليكي قوية
حبي نفسك
متفكريش غير في نفسك
اسعدي نفسك
بصي لمستقبلك
انتي تقدري
أنا عارفة إنك قوية وهتقدري وزي ما عديتي كل اللي فات هتعدي الأزمة دي كمان

والكلمات سهلة النطق والفعل دائماً أصعب
لكن ربما ترديد تلك الكلمات داخل عقلها سيدربه على الأمر ليصبح أقوى

.....

- صعب أوي لما بتضطر تعامل ناس رسمي بعد ما كانوا نفسك يامصطفى

- مش عايزك تزعل ياصاحبي بس انت اللي اخترت الوضع دة

- كدة أحسن وأريح كتير

- متأكد؟

نفث دخان لفافته في الغرفة بهدوء ثم رد

- أنا عمري ما هعرض قلبي أنه يتجرح مرة تانية

تنهد صديقه ثم قال :

- المهم تكون مرتاح

ونظر بعينيه وهو يساله:

- مش انت مرتاح يامالك ؟

وعيناه كانت صادقة ولسانه تولى أمر الكذب
- جداً
ولم يقتنع صديقه ولكنه اكتفى بإشعال لفافة من التبغ وتتفس دخانها في صمت لأنه يعلم أن صديقه لازال يحتاج إلى الوقت كي يقدر على مصارحة نفسه بما يشعر به حقاً

*****

الحب نسمة مشاغبة تحمل السعادة وتتركك لتتجرع عذاب الشوق والفقدان

وهي ورغم كل شئ لازالت تراه في كل شئ حولها
ابتسامته
صوته

لمسته

حنانه

دفئ حضنه

وضمت هي نفسها حين شعرت بالبرودة وتدثرت في فراشها وحاولت أن توقف بركان أفكارها بصعوبة، ثم نامت

وفي الصباح كانت الابتسامة تشرق على وجهها وهي تنظر لتلك الورقة التي ثبتتها بعناية على طرف مرآتها حتى تراها كل صباح، وقد خطت فيها بعض من أهدافها التي تتوق لتحقيقها وستعيش لأجلها، وتركت مساحة لسطور فارغة ربما تحمل العديد من أهداف أخرى فيما بعد

مياة باردة من الصنبور قطراته تمحي ألامها وتزيل أحزانها وتبعث بداخل ذراتها النشاط

الفشل هو بداية النجاح

ومن حيث وقعت دائماً توجد بداية

فقط إبحث عنها

وهي ستبدأ من جديد

ستبدأ مع أسيل التي لا تعرف غيرها ولا تستطيع أن تكون غيرها

ابتسمت وهي تنظر لصورتها القديمة التي تحمل براءة اشتاقتها، ووتوجت بنظرها لدمية تحمل نفس شرائطها أحضرها لها مالك، فلمست شرائطها بخفقة من قلبها وابتسمت بحنين، وتوجهت بعدها نحو

خزانتها وأخرجت منها ملابسها وارتدتها بهمة، وتوجهت نحو المطبخ لتجهز شطيرة تأخذها معها

أخرجت الخبز وشرعت بتقطيعه وهي تنظر لحد السكين ويغمرها بعض الألم والحزن على ما اقترفت بنفسها في السابق باسم الهروب من مشاكلها ولم تأخذ بالاعتبار أن خير هروب هو الصعود لأعلى والنجاه بمنأى عن الأوجاع وليس الانغماس فيها أكثر

وهذا ما أدركته أخيراً وقررت العمل به

وفي العمل باتت أكثر نشاطاً وتركيزاً على كل معلومة تسمعها، واستعادت كل

مهاراتها السابقة أثناء دراستها وحاولت جاهدة أن تطورها

وهو دائماً كان بعيد يرسل لها أوامره مع نسرين، وهي لا تحاول الإحتكاك به وكان هذا سبباً في استقرارهما نفسيا فقد كان كبركانين عشق يخشى كل منهما الاقتراب من الأخر حتى لا ينفجرا

ويبقى الوضع مستقر بحذر

*****

كانت ترتدي ملابسها وتستعد للذهاب إلى العمل حين رن هاتفها ففتحته لترد قائلة :

- ايوة يانسرين كلمتك كتير مبترديش ليه؟

فردت عليها الأخرى بصوت ناعس :

- أنا راحت عليا نومة .. هلبس وهنزل حالاً
- طيب أنا هستناكي في البيت نروح سوى ضروري
فردت :
- حاضر خلاص هجهز بسرعة
وبعض القليل من الوقت كانتا تقفا أمام منزل أسيل وهي تشير لها على سيارة صغيرة الحجم بموديل عصري قائلة :
- اركبي
- اية دة انتي جبتي عربية .. مبروك
فضحكت أسيل وركبت خلف مقود السيارة في حين ركبت نسرين جوارها وهي تكمل ثرثرتها :
- ما شاء الله حلوة أوي يا أسيل

نظرت أسيل لمقود السيارة بوجوم وهو بين يديها وهي تقول:

- بس دي مش جديدة .. دي عربيتي من زمان بس كانت مركونة

نظرت لها نسرين وهي تقول باستنكار :

- راكناها وسيبانا متبهدلين في المواصلات .. ياقلبك يا أسيل

فابتسمت وهي ترد:

- مكنتش قادرة أسوقها قبل كدة عشان أخر مرة ركبتها عملت بيها حادثة

فردت بذعر :

- اية ؟

فأخرجتها من ذكرها الأليمة لتضحك وهي ترد:

- متخافيش أنا كنت يومها تعبانة لكن أنا بسوق كويس أنا بس محتاجة حد يسليني في الطريق عشان مسوقتش من زمان

- اذا كان كدة ياستي ماشي ثواني واشغلك الراديو

فضحكت أسيل وتابعت نسرين ثرثرتها المعتادة عن ابنها وأحوالها وأهلها وإخواتها

*****

ركن سيارته في جراج الشركة وترجل منها وكاد أن يدخل لولا أنه لاحظ شيئاً، فرفع صوته باسم حارس الأمن، فقدم الرجل على الفور قائلاً:

- أفندم يا أستاذ مالك

- هي عربية مين دي ؟

سأله وهو يشير على سيارة يراها لأول مرة تركن هنا على مقربة منه

- دي عربية الأستاذة أسيل بقالها كام يوم بس بتيجي بيها

والتمعت عيناه وهو يصرفه قائلاً:

- طيب روح انت

وقلبه يخفق، فصغيرته تغلبت على أحد مخاوفها، وكما أنه يلاحظ التزامها في العمل وتميزها عن الأخرين

- برافو يا أسيل

قالها برضا ودخل إلى الشركة وتوجه إلى مكتبه وبمكالمة هاتفية جمع جميع العاملين لإجتماع طارئ

وبعد دقائق التفوا جميعاً حول طاولة الإجتماعات، وبدأ هو حديثه بشكل جاد وهو يخبرهم عن صفقة هامة في تاريخ شركتهم يتمنى الفوز بها لصالح الشركة وعلى كل من مسئولي التصميمات من العاملين الجهد لتقديم أفضل ما عنده لتقديمه للتقييم من قبل العميل، وأكد مراراً على أهمية تلك الصفقة وأنها ستضع الشركة في منزلة مرتفعة وسط سوق الأعمال

كانت هي تسجل المعلومات بنهم وتركز في كل كلمة يلقيها، وربما كانت تلهي قلبها الذي كان يخفق من رؤيته أمامها فهي لازالت عاشقة

أما هو فحاول ألا يوجه نظره نحوها وركز في حديثه جيداً، وفي نهاية الإجتماع لم يستطع منع نفسه من الاقتراب منها قائلاً:

- مبروك انك رجعتي تسوقي عربيتك تاني

وابتسمت بقلب يتراقص طرباً، لكنه أوقف رقصته حين قال بوجه جامد ونبرة صارمة:

- عايز شغل جامد يا أسيل ومن النهاردة تبدأي

وتركها وغادر وعاد إلى ديناميكيته المعتادة في العمل ، ذلك الرجل الآلي سيصيب عقلها بالجنون مؤكد

لكن المهم أنه لا زال يهتم بتفاصيلها رغم البُعد

وصوت ضحكته في الغرفة المجاورة
جعلتها تقترب بحرص وتنظر من بعيد
لتجده يقف مع سماح ويحادثها
حديث لم تسمعه لكنها أدركت أنه لا يهتم
بتفاصيلها وحدها بل بتفاصيل الجميع
حملت النيران التي داخلها وتوجهت إلى
مكتبها وبضغطة على زر الهاتف وبعدها
قالت بصوت يحمل بعض العصبية:
- اسبريسو دبل ياعم ربيع
وجلست خلف مكتبها ووضعت بعض
الأوراق البيضاء أمامها وتنفست بهدوء
وبدأت تخط بقلمها بعض التصاميم
أغلقت صوت قلبها وركزت بعقلها على
الورق

لابد أن تنجح كي تحقق ذاتها كي تعود أسيل التي كانت متفوقة في دراستها لتتفوق أيضاً في عملها

*****

بعض الدغدغات منها جعلته يقع على الفراش ضاحكاً وهو يقول :

- كفاية ياماما كفاية

- حبيب ماما انت

قالتها وهي ترمي بجسدها جانبه وتحتضنه وهي تقول :

- عارف يامهند أنا نفسي في اية

رد بابتسامة مشاغبة :

- في اية ؟

- مممممم نفسي أروح أجيب الجاتو اللي في التلاجة وناكله سوا

وقامت من مكانها وهي تتابع بحذر:

- بس الأول لازم أكل حتة منك .. تفتكر أختار أنهي حتة ؟

وتوجه هو لأخر الفراش وهو يضحك

ففقزت هي جانبه وبدأت نوبة جديدة من الضحك والدغدغات

وهنا دخلت والدتهما لتقول:

- يلا ياولاد الغدا جهز

فتوجها إلى الطاولة وبدأوا في تناول الطعام حين قالت الأم :

- لو بس كنتي تسمعي الكلام وتيجي تعيشي معانا بدل الشحططة اللي احنا فيها دي

فردت عليها:

- خلاص ياماما بعد كدة هبقى أجيلك أنا في الويك إند .. عشان متتعببش نفسك

- وليه الويك إند بس؟ متجيبي هدومك وتيجي تعدي معانا

- خليني براحتي وحياتي ياماما

وامتعص فمها وردت وهي غير مقتنعة:

- طيب

ثم أردفت بعد لحظات:

- وانتي عاملة اية في الشغل ؟

ردت قبل أن تضع قطعة من اللحم بفمها:

- الحمد لله تمام

وسؤال اعتادته في كل زيارة لأمها:

- وبتشوفي مالك وبتتكلموا ؟

ونحت وغزة بصدرها وهي تجيب:

- موضوعي أنا ومالك انتهى خلاص ياماما فمفيش داعي كل شوية تسأليني عليه

فتنهدت والدتها وصمتت، وفقدت أسيل الأمل في أن تشعر بما تعاني يوماً، ولكنها نحت كل مابداخلها من مشاعر سلبية وقالت بروح إجابية استمدتها من قوتها الداخلية:

- اية رأيكم النهاردة تحبوا نتفسح فين؟

- دريم بارك

صرخ بها مهند فضحكت هي وأمها ثم قالت:

- ماشي يادودو بس تاكل طبقك كله

*****

الحب زريعة تغرسها سهام النظرات في القلوب
فيصيب القلب بانتفاضة ويسيطر عليه ويجعله أسيره
وتظل العيون مرسال الحب حتى لو طال الصمت
والصمت طال
وعِنده أجبره
وهي قررت الحفاظ على كرامتها
ورغم طول الوقت لازالت القلوب تنتفض
ولا زالت العيون تتحدث
واجتماع أخر هام بدأه هو بالحديث بوجه بشوش وهو يقول:

- مبروك علينا ياشباب انتو تعبتوا وربنا كَلِل تعبنا ورسيت علينا المناقصة

وبعض التهليل والمباركات والابتسامات المشرقة، وعادوا جميعاً إلى الصمت حين تابع هو:

- المشروع دة هينقل الشركة في مكانة تانية خالص.. وهيعود علينا بأرباح مكناش نحلم نحققها حتى بعد خمس سنين

وتنقل بنظره بين أعينهم وهو يقول:

- صاحب أفضل تصميم اللي رسيت عليه المناقصة هو ....

وتابع في ظل ترقب الجميع وتوجه ببصره نحو عيناها المتعلقة به

- أسيل

وهي كانت لا تصدق نفسها وظلت تنظر بحبال نظراته المعلقة بها حتى اتجهت نحوها نسرين وحضنتها بلهفة وهي تهنئها بنجاحها، وهو أيضاً تلقى التهنئة من الحضور

وقرر أن ينهي الاجتماع بكلماته :

- بكرة إن شاء الله هيكون في إحتفال كبير لكل العاملين بالشركة.. ضروري كلكم تحضروا

وجملته الأخيرة حملت نظرته نحوها وخفق قلبها ورحلت على مكتبها مثل الجميع أما هو فالابتسامة أضاءت ثغره وهو يشاهد على الحاسوب أمامه ما خططته يدها في

التصميم للمرة المليون، وترك قلبه ينطق بحرية:

- انتي أحسن واحدة في الدنيا كلها مش بس في الشركة يابطتي

*****

- يلا يابنتي هنتأخر

قالتها نسرين وهي تقف خلفها، فنظرت هي بالمرآة تتابع طلتها لأخر مرة قبل الذهاب إلى الحفلة

كانت ترتدي فستان بلون سماءه تزينه بعض النجوم اللامعة من أوسطه وأسدلت خصلات شعرها المتكسرة فوق كتفيها ولمسات تبرج تزيدها وضاءة

فهي نجمة الحفل

ونجمته الأفضل
هكذا همس لها قلبها
وضحكت بخفوت لهمسته
ونظرت لنسرين قائلة:
- خلاص أنا جاهزة يلا بينا
كان قلبها يدق بشدة وهي تقود سيارتها إلى وجهة الحفلة وتحاول أن تنظم أنفاسها وفضحتها رعشة يديها، فوضعت نسرين يدها فوق كفها المتشبثة بمقود السيارة، فتوجهت بنظرها إليها فابتسمت نسرين لها بحنان فبادلتها الابتسام ، وتمنت نسرين لها ألا يخذلها مالك الليلة أيضاً

وهناك كان المكان مجهز للاحتفالات قد أستأجره مالك لإقامة هذا الحفل

ودخلت هي بصحبة نسرين، فتوجه نحوهما مالك بابتسامة زادت من وسامته وجعلت قلبها ينهار، إزدردت ماء حلقها وهي تسمعه يقول بخفوت :

- ينفع صاحبة الحفلة برده تيجي متأخر؟

اشتاقته واشتاقت كل ما فيه حتى مزاحه، فابتسمت بارتباك وحمرة وجنتيها فضحتها فابتسم وتابع :

- اتفضلوا ادخلوا

وزحام ونقاشات وتجمعات وضحكات بين الزملاء، وظلت عيناهما متعلقة ببعضهما

وسهام العيون لا تخطأ
وحديث العيون لا يكذب

وارتبكت حين رأته يتجه نحوها وقد كانت تقف لوحدها

قال بهدوء وقد لمس ارتباكها:

- مبروك يا أسيل.. كنت متأكد إنك هتكوني أحسن مصممة بالشركة

وصمتت وهي تنظر بعينيه، فتابع:

- بصراحة أنا مبسوط جدا بقوتك .. ومبسوط أكتر بأسيل الجديدة .. أقصد رجوعك لأسيل القديمة

وكانت كلماته صادقة كما إعتادته وحديث أخر مطول يحمل مدحه لها لكنها لم تسمعه ولم تهتم

كانت فقط تناجيه بعينيها، فهي تنتظر جملة واحدة وسط تلك الكلمات
وتراها بعينيه
"لسة بحبك"
لكنه لم يقلها
ونظر بساعته قائلاً:
- أنا مضطر أمشي دلوقتي.. عندي مشوار مهم
وخذلها مرة أخرى وظهرت خيبة الأمل جلية على ملامح وجهها، ولكنها ورغم كل شئ ابتسمت وهي تودعه

وبعد رحيله سمعت صوت وصول رسالة على هاتفها، وكانت منه وتحمل جملة واحدة

"عارف من غير ما تقولي"

ونظرت نحو باب القاعة فوجدته لازال
هناك، وأرسل لها نظرة أخيرة ورحل
وتركها تسقط في حيرتها
وقد أدركت أنها لم تعد تفهمه
فكيف إذا يعلم ما تحمله داخلها لازال يستمر
في البُعد؟
والاجابة كانت واحدة
هو لازال يرغب في الانتقام منها
وهي لن تكون رهن تصرفات عقله الأخرق
مرة أخرى

** ** ** **

.. الخاتمة ..

طريق مزدحم بالسيارات وساعتها تشير
إلى تأخرها عن موعد عملها
وأخيراً وصلت إلى الشركة وداخلها غصة
تحملها منذ ليلة أمس
بوجه واجم استقبلت تحيات الجميع لها
بابتسامة بلهاء لا تفهمها، ونسرين التي لا
تعلم أين اختفت اليوم
وصلت إلى غرفة مكتبها لتجده هناك
ينتظرها وقد احتل مقعدها، وقد تبدلت
الغرفة حيث باتت مليئة بالورود الحمراء
بكل ركن فيها

إكرام يوسف

وهو قام واستدار ليقف أمامها والذهول كان يحيطها
بنظرة عشق تحملها عيناه أخرج من جيبه علبة صغيرة فتحها واستند على إحدى ركبتيه على الأرض ومد يده بخاتم ذهبي يظهر من علبته الصغيرة تلك
وكلمة ربما لم تكن تسمعها لأول مرة
"تتجوزيني"
وهي لم تكن تصدق نفسها، فأجهشت عيناها بالبكاء
وفجأة ظهر الجميع ومعهم نسرين وبدأو بالتصفيق، وشعر هو بارتباكها وقام واحتضنها وهو يهمس باذنها:
- مش هسمحلك ترفضي

واستسلمت قليلاً، ثم خرجت من حضنه دون أن تنطق، وتجمع حولهم الزملاء يهنؤهم

وبعد لحظات انفض من حولهم الجميع، فنظر لها وهو يعلم ما يخالجها، واقترب وأمسك بكفها ورفعه إلى فمه وقبله في صمت، فسحبت هي كفها وهي تقول:

- خلاص خلصت عقابك يامالك ؟

- أنا مكنتش بعاقبك يا أسيل.. أنا مكنتش عارف أرجع.. مكنتش قادر

- وأنا ؟

صمت، فتابعت:

- فكرت فيا.. فكرت جرالي اية؟

- انتي كمان مفكرتيش فيا لما سيبتيني

- عارفة اني غلطت.. بس غلطي مكنش أد اللي عملته فيا يامالك

فتنهد بألم، ثم أمسك ذراعيها وقال:

- أسيل أنا مش هقدر أعيش من غيرك.. وعايز أكمل حياتي معاكي

ولمس قلبها وعيناه اخترقت عيناها، فقالت بخفوت وقد اغرورقت عيناها:

- متبعدش عني تاني أبداً

فضمها إلى صدره ولكزته هي بقبضة يدها، فاعتصرها هو داخل صدره أكثر وهو يقول:

- وحشتيني أوي يا بطتي

ورفعت هي وجهها تسأله بوجه يحمل القلق:

- وهتعمل إية مع باباك
فابتسم وهو يسحبها من يدها ويتوجه بها للخروج من الشركة
- تعالي عشان ورانا حاجات كتير ومفيش وقت وفي الطريق هحكيلك
ولم تكن تفهم شئ وكل ما كانت تشعر به هو فرحة عارمة بقلبها

وفي سيارته بدأ يقص عليها ما فعله أمس حين تركها في الحفل

توجه بعدها على الفور إلى منزل والده وهناك تحدث معه بمفردهما، وبدأ والده الحديث:

- مبروك يامالك يابني رفعت راسي ياحبيبي
- مش لوحدي يابابا اللي المفروض تشكره على الانجاز دة.. أعتقد إن صاحب التصميم الفائز هو السبب في اللي الشركة حققته من إنجاز
- أكيد طبعا ياحبيبي
- مش عايز تعرف هو مين؟

ولم يعطيه فرصة للرد وتابع:

- أسيل

صُدم والده فتابع مالك:

- أسيل اللي انت حكمت عليها من غير حتى ما تعرفها.. أسيل اللي انت أهنتها وأجبرتها إنها تكسرني وتكسر نفسها.. هي دي أسيل المطلقة المريضة نفسياً بتاعة الديسكوهات

.. هي دي يابابا نفسها اللي حققت الإنجاز دة لشركتك

- يابني أنا عايز مصلحتك

- وأنا مش عايز غيرها وبرضاك يابابا

وتنهد والده دون أن يرد، فقال مالك بهدوء:

- اللي انت سمعته عن أسيل دة كان فترة في حياتها عشان ظروف جوازها وطلاقها كانت قاسية.. لكن صدقني أسيل مش كدة.. أرجوك تثق في اختياري

ولم يفكر سوى دقائق مر عليه فيها حال ابنه خلال الفترة السابقة، وإقتناعه بحديث ابنه عنها جعله يقول بصدق:

- عمرك ما خذلتني يامالك.. وعمري ما وثقت في حد زيك يابني

وهم باحتضانه وهو يقول:
- اعمل اللي يريحك ياحبيبي
فرد مالك بسعادة:
- ربنا يخليك ليا يابابا

ثم غادر منزل والده مسرعاً والفرحة تغمره وقاد سيارته متجهاً نحو منزل والدة أسيل وطلب منها يد أسيل لمرة أخرى وأتفق معها أنه إذا وافقت ابنتها سوف يتمم تلك الزيجة بأقصى سرعة

وبالفعل
بعد أسبوعين كانت حفلة زفافهما
كانت كالملائكة بفستانها الأبيض

وكان مثل الفرسان في حُلته السوداء والموسيقى الهادئة جمعتهم في رقصة وسط الحضور الذي كان بعضه فَرِح وبعضه يملئه الحقد

وهمس هو بأذنها:

- أخيراً بقيتي ملكي

وهي ابتسمت في خجل فتابع بمناوشة:

- إوعي تخبي عني حاجة تاني أبداً

وردها كان بسرعة:

- حرمت

وابتسم ولمس صدق برائتها وطفولتها واحتضنها داخل حضنه وعالمه الذي لن تخرج منه أبداً

تمت بحمد الله

عشق الملك

إكرام يوسف

٢٠١٧/٣/٢٦

إلى اللقاء مع الجزء الثاني في
"قصر الملك"